بذل المجهود

في إفحام اليهود

السموأل بن يحيى المغربي(ت 570هـ)

الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون

ومعه : الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية

للحبر الأعظم

إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي

تحقيق ودراسة

دكتور محمود النجيري



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : **بذل المجهود في إفحام اليهود**

المـــــــؤلف : تحقيق ودراسة د.محمود النجيري

رقـم الإيداع :



الطبعة الأولى 2018



قال الله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

[الأحقاف].

ملخص إفحام اليهود

يضم هذا الكتاب قسمين.

الأول: الدراسة لأهم القضايا التي تناولها.

والثاني: النص المحقق، وهو أربع رسائل.

هدف السموأل من تأليف هذا الكتاب

يظهر أن السموأل كان له أكثر من هدف لوضع «**الإفحام**»، بعضها يتعلق بشخصه، وبعضها يتعلق بالحقيقة الدينية المجردة. وهذه الأهداف هي:

1. أن يكون في قصة إسلامه عبرة وموعظة لمن يطالعها.
2. أن يرى المتأمل في ذلك عظيم لطف الله تعالى، وخفائه عن أن يحاط بكنهه؛ فإنه يختص برحمته من يشاء، ويهدي من يشاء!
3. الرد على أهل اللجاج والعناد، المكذبين بنبوة محمد ﷺ، وإظهار ما يعتور أحكامهم من الفساد.
4. مناظرة اليهود وإفحامهم مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم؛ ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم.

أدلة السموأل على نبوة محمد ﷺ

ذكر السموأل عدة أدلة، ألزم بها اليهود نبوة محمد ﷺ، هي:

1. **دليل التواتر**: حيث بيَّن أن كلا من موسى، وعيسى، ومحمد متساوون في هذا الدليل، فكل منهم نقلت نبوته نقلا متواترًا. ولا يمكن التصديق بنبوة أحدهم، وتكذيب الآخر؛ لأن الدليل واحد.

2. **معجزة القرآن الخالدة**: حيث بيَّن أن من أُعطي ذوْق الفصاحة؛ فإن إيمانه بإعجاز القرآن– إيمانُ من شاهد المعجزة، لا من اعتمد على الخبر. إلا أن هذه درجة لم يرسخ بها كل أحد.

3. **البشارات بمحمد ﷺ في التوراة**. وقد أعماهم الله عن بعضها فلم يُحَرِّفوها؛ لتكون شاهدة عليهم.

أسباب إسلام السموأل

1. قراءته تاريخ الإسلام، واطلاعه على معجزات النبي ﷺ، ووقوفه على سيرته العطرة، وحياة أصحابه الأطهار.

2. تمكنه من اللغة العربية أدى به إلى إدراك إعجاز القرآن، وأنه كتاب منزل من عند الله ﷻ.

3. تحصيله العلمي في المنطق والحساب والهندسة والطب والصيدلة وغيرها وسَّع من مداركه، ورزقه عقلا حرًا، وفكرًا مستقيمًا، ونفسًا تتوق إلى معرفة الحقيقة، والإيمان بها.

4. نشأة السموأل في بيت علم ودين أدى به إلى البحث الديني، والاهتمام بأسباب اختلاف الأديان وأصحابها، والرغبة في الوقوف على الصواب مما اختلف فيه.

5. دَرَجَ السموألُ في بيئة يهودية، ولكنه كان قريبًا من المحيط الإسلامي الأوسع، من خلال العلماء المسلمين الذين درس عليهم، أو الكتب الإسلامية التي دَرَسَها، أو الأمراء والكبراء الذين عالجهم، أو المجتمع الإسلامي وحضارته التي احتضنته.

أهمية كتاب إفحام اليهود

يعد كتاب «**إفحام اليهود**» وثيقة دينية هامة؛ أطلعت المسلمين على أسرار يهودية، يحرص أصحابها على تكتمها، وعدم إذاعتها. كما نشر الكتاب في البيئة الثقافية الإسلامية تفصيلات دقيقة عن اليهود، لم تكن معروفة من قبل، ولم يكن هناك من سبيل للاطلاع عليها من مصدر موثوق به، لولا أن قيَّض الله السموأل لذلك.

والظاهر أن كتاب «**إفحام اليهود**» حقق شهرة كبيرة، وطار ذكره، وانتسخ كثيرًا، وأثر تأثيرًا عميقًا فيمن كتب في مقارنة الأديان بعده عمومًا، وفي جدل اليهود خصوصًا. ومن أبرز من رجع إلى «**إفحام اليهود**» الإمام ابن قيم الجوزية. ونقل منه كثيرًا في كتابه «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان».

د.محمود النجيري

تصدير

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

يضم هذا الكتاب أربع رسائل. ثلاث منها للسموأل، الأولى بعنوان «قصة إسلام السموأل بن يحيى المغربي، ورؤياه النبي ﷺ». والثانية بعنوان «بذل المجهود في إفحـــام اليهـــود». والثالثة رسالة إلى السموأل وجوابها. وأما الرابعة فعنوانها « الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية»، للحبر الأعظم: إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي.

فأما السموأل، فقد كفانا كثيرًا جهد الترجمة لحياته[1]، وذلك بما سطر يراعه في رسالته التي افتتحنا بها هذا الكتاب، والتي عرض فيها لما يلي:

- تعريف بوالد السموأل.
- التعريف بوالدة السموأل.
- رؤيا أمِّ السموأل أنها سترُزق ولدًا.
- العلوم العقلية والنقلية التي حصَّلها السموأل.

(1) من المصادر التي ترجمت للسموأل: تاريخ الإسلام: الذهبي، 9/ 88. الوافي في الوفيات: الصفدي 1/ 49. كشف الظنون: حاجي خليفة 1/ 81. إخبار العلماء بأخبار الحكماء: القفطي، 1/ 93.

- شغف السموأل بالعلم، وانقطاعه للتأليف.

- السموأل طبيبًا وصيدلانيًا.

- شغف السموأل بالتاريخ، واعتباره بأيامه.

- اهتمام السموأل بالأدب، واكتسابه الفصاحة والبلاغة، مما ساعده على فهم القرآن، وإدراك وجوه إعجازه.

- تحكيمه العقل في الكليات. ورفضه تقليد الآباء تقليدًا أعمى.

- إثبات السموأل نبوة موسى، وعيسى، ومحمد بالتواتر. وإعلانه الإيمان بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، بعد إضماره ذلك إلى حين.

- ترك السموأل الرئاسة الدينية التي كانت له في قومه، والتي انحدرت إليه من أبيه.

من هو السموأل؟

السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. ولد في المغرب، ولا يُعرف له تاريخ ميلاد. ثم انتقل منها إلى بغداد. و سكن بلاد العجم مدة بأذربيجان ونواحيها، نشأ السموأل في بيئة علمية، فقد كان والده من علماء الرياضيات، وكان يتوقد ذكاء. ومن هنا شجعه والده على دراستها. وهو ذكر في ترجمته أنه درس كتاب «الأصول» لأقليدس، وكتاب «البديع في الجبر» للكرخي. كما درس معادلات الجبر التي ابتكرها أبو شجاع بن أسلم، عالم الحساب المصري، وغير ذلك. وتأثر السموأل بعلي بن ربَّن الطبري الطبيب (ت 247هـ/ 861م) الذي كان نصرانيًا فأسلم. ووضع كتابه «الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ».

توفي السموأل قبل أن يكتهل بمراغة. واختلف في سنة وفاته، والراجح أنها (570هـ/ 1174م).

***

إنجازاته العلمية:

برع السموأل في العلوم الرياضية، حتى ضرب به المثل فيها[1]. وطوَّر الطريقة التحليلية في علم الجبر، التي مهدت لاكتشاف علم الجبر الحديث. واستطاع أن يؤلف في الرياضيات كتابًا فريدًا، أطلق عليه «الباهر في الجبر». وهو في التاسعة عشرة من عمره، ويتكون هذا الكتاب من أربعة أجزاء، يعرض الجزء الأول منه العمليات الرياضية التي تجري على كثيرة الحدود لمجهول واحد، بينما يتناول الجزء الثاني منه معادلات الدرجة الثانية، أما الجزء الثالث من الكتاب فقد خصصه لشرح الكميات غير القياسية، وانفرد الجزء الرابع بتطبيق الأسس الجبرية على عدد من المسائل الرياضية وغير الرياضية؛ فقد كان المغربي أيضا من مشاهير أطباء الأمة الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد مارس الطب والصيدلة معًا، وقدم الكسور العشرية في كتابه «القوامي في الحساب الهندي».

(1) ضرب القلقشندي بالسموأل المثل في كتابه صبح الأعشى (1/ 566) قال: «.... أو سلك في علوم الهندسة طريقا لقال إقليدس: هذا هو الخط المستقيم، وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك، وولَّى وهو كظيم، وحمد المؤتمن بن هود عدم إكمال كتابه الاستكمال، وقال: عرفت بذلك نفسي، وفوق كل ذي علم عليم. أو عرَّج على علوم الهيئة؛ لاعترف أبو الريحان البيروني أنه الأعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح: هذا العالم قطب هذه الدائرة. أو صرف إلى علم الحساب نظره، لقال السموأل بن يحيى: لقد أحيا هذا الفن الدارس، وانجلت عن هذا العلم غياهبه، حتى لم يبقَ عَمَهٌ لِعامِه، ولا غمة على ممارس».

قال عنه الموفق عبد اللطيف إنه: «بلغ في العدديات مبلغًا لم يصله أحد في زمانه. وكان حاد الذهن جدًا؛ بلغ في صناعة الجبر الغاية القصوى».

مصنفات السموأل:

قال السموأل في ترجمته لنفسه ما يدل على نبوغه المبكر، وشغفه بالعلم، ومحبته للكتب، وتبريزه في علوم كثيرة: الرياضة والحساب، والجبر والمقابلة، والهندسة والمساحة، والطب والصيدلة، واللغة والأدب، والفلسفة والمنطق، والدين.

وقد هيأ له ذلك بالإضافة إلى البيئة العلمية والدينية التي نشأ بها، وانقطاعه للتأليف- أن يضع عددًا من المؤلفات الفائقة في هذه العلوم في وقت باكر من حياته، وعدّتها خمسة وثمانون مصنفا فِي الحساب والمساحة والجبر والهندسة والنجوم والطبّ والأدب وغير ذَلِكَ. منها:

1. بذل المجهود في إفحام اليهود.
2. المفيد الأوسط في الطب.
3. كتاب الباه.
4. نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب.

5. الباهر في الجبر.

6. إعجاز المهندسين. صنفه في سنة سبعين وخمسمائة.

7. الموجز في الحساب.

8. كتاب في المياه.

9. القوامي في الحساب الهندي.

10. القوانين في الحساب.

11. المثلث القائم الزاوية.

12. المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلفة لاستخراج مقدار مجهولها.

***

متى بدأ تأليف هذا الكتاب؟

قال السموأل عن اليوم الذي أشهر فيه إسلامه:

«وفي عشـــية ذلك اليوم، أعني عيد النحر[1]، ابتدأتُ بتحرير الحُجج المفحمة لليهود، وألفتها في كتاب، وسميته بـــ «إفحام اليهود». واشتهر ذلك الكتاب، وطار خبره، وانتسخ مني في عدة بقاع نسخ كثيرة، بالموصل وأعمالها، وديار بكر، والعراق، وبلد العجم. ثم أضفت إليه بعد وقت فصولا كثيرة من الاحتجاج على اليهود من التوراة، حتى صار كتابًا بديعًا، لم يُعمل في الإسلام مثله في مناظرة اليهود البتة».

هدف السموأل من تأليف هذا الكتاب:

قال السموأل في مقدمته:

(1) رأى السموأل النبيّ ﷺ في ليلة الجمعة، تاسع ذي الحجّة، ثمان وخمسين وخمسمئة، فأصبح فأسلم.

«وأنا أذكر سـبب ما وفقني الله له من الهداية، وكيف انسـاقت بي الحالُ منذ نشـأتُ، إلي انتقالي عن مذهب اليهود؛ ليكون عبرة وموعظة لمن يقع إليه؛ ولِيعلمَ متأمله أن اللطف الإلهي أخفى من أن يُحاط بكُنْهه[1]؛ فإن الله يَخُص بفضله من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويهديه صراطا مستقيمًا».

«والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة: الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد. على أن الأئمة- ضُوعِفَ ثوابهم- قد انتُدِبوا قبلي لذلك، وسلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسـالك. إلا أن أكثر ما نُوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جُعل إلى إفحامهم طريقًا- مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم؛ ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم».

ومن هنا يظهر أن السموأل كان له أكثر من هدف لوضع «الإفحام»، بعضها يتعلق بشخصه، وبعضها يتعلق بالحقيقة الدينية المجردة. وهذه الأهداف هي:

5. أن يكون في قصة إسلامه عبرة وموعظة لمن يطالعها.

(1) كنهه: كنه كلِّ شـيءٍ قَدْرُه، ونهايتُه، وغايَتُه. يقال: اعْرِفْه كُنْهَ المعرفةِ. وفي بعض المعاني: كُنْهُ كلِّ شـيءٍ وَقْتُه، ووَجْهُه. تقول: بلَغْتُ كُنْهَ هذا الأَمر. أَي غايَته. وفعلت كذا في غير كُنْهِه. وأَنشد شاعرنا:

وإنَّ كلامَ المَرْءِ في غير كُنْهِه لَكالنَبْلِ تَهْوِي ليس فيها نِصالُها (لسان العرب 13/ 536)

6. أن يرى المتأمل في ذلك عظيم لطف الله تعالى، وخفائه عن أن يحاط بكنهه؛ فإنه يختص برحمته من يشاء، ويهدي من يشاء!

7. الرد على أهل اللجاج والعناد، المكذبين بنبوة محمد ﷺ، وإظهار ما يعتور أحكامهم من الفساد.

8. مناظرة اليهود وإفحامهم مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم؛ ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم.

أدلة السموأل على نبوة محمد ﷺ:

ذكر السموأل عدة أدلة، ألزم بها اليهود نبوة محمد ﷺ، هي:

4. **دليل التواتر**: حيث بيَّن أن كلا من موسى، وعيسى، ومحمد متساوون في هذا الدليل، فكل منهم نقلت نبوته نقلا متواترًا. ولا يمكن التصديق بنبوة أحدهم، وتكذيب الآخر؛ لأن الدليل واحد.

5. **معجزة القرآن الخالدة**: حيث بيَّن أن من أُعطي ذوْق الفصاحة؛ فإن إيمانه بإعجاز القرآن- إيمانُ من شاهد المعجزة، لا من اعتمد على الخبر. إلا أن هذه درجة لم يرسخ بها كل أحد[1].

6. **البشارات بمحمد ﷺ في التوراة**. وقد أعماهم الله عن بعضها فلم يُحَرِّفوها؛ لتكون شاهدة عليهم[2].

أسباب إسلام السموأل:

6. قراءته تاريخ الإسلام، واطلاعه على معجزات النبي ﷺ، ووقوفه على سيرته العطرة، وحياة أصحابه الأطهار.

---

(1) للقرآن أوجه إعجاز يمكن أن يلحظها غير المتمكن من العربية، بل غير العربي. فإن المتمكن من الفصاحة، والواقف على البلاغة، يدرك إعجاز القرآن من الناحية اللغوية. وهناك جوانب إعجاز أخرى: طبية، وفلكية، وتاريخية، وتشريعية، وغيبية، لا يقتصر إدراكها على صاحب اللسان العربي. بل كل دارس لجانب من هذه الجوانب يقف على طرف من معجزة القرآن. ونضرب مثلا بالفرنسي «موريس بوكاي»، الذي درس درسًا معمقا الكتب المقدسة الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، في ضوء العلم الحديث. فخرج بنتائج مذهلة في هذا الجانب.

(2) سيورد السموأل بعض هذه البشارات في كتابه. وهناك كتب كثيرة، قديمة وحديثة أفردت للبشارات بمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل. مثل: الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، لعلي بن ربن الطبري. مسالك النظر في نبوة سيد البشر، لسعيد بن حسن الإسكندراني. محمد ﷺ في الكتاب المقدس، لعبد الأحد داود الآشوري.

7. تمكنه من اللغة العربية أدى به إلى إدراك إعجاز القرآن، وأنه كتاب منزل من عند الله ﷻ.

8. تحصيله العلمي في المنطق والحساب والهندسة والطب والصيدلة وغيرها وسَّع من مداركه، ورزقه عقلا حرًا، وفكرًا مستقيمًا، ونفسًا تتوق إلى معرفة الحقيقة، والإيمان بها.

9. نشأة السموأل في بيت علم ودين أدى به إلى البحث الديني، والاهتمام بأسباب اختلاف الأديان وأصحابها، والرغبة في الوقوف على الصواب مما اختلف فيه الناس.

10. دَرَجَ السموألُ في بيئة يهودية، ولكنه كان قريبًا من المحيط الإسلامي الأوسع، من خلال العلماء المسلمين الذين درس عليهم، أو الكتب الإسلامية التي دَرَسَها، أو الأمراء والكبراء الذين عالجهم، أو المجتمع الإسلامي وحضارته التي احتضنته.

منهج السموأل في الكتاب:

يمكننا أن نقسم مناهج علمائنا في مقارنة الأديان إلى ثلاثة رئيسية:

1- المنهج السلفي.

2- المنهج العقلي.

3- منهج الإلزام.

أما **المنهج السـلفي في مقارنة الأديان**، فرائده الإمام أحمد بن تيمية. وعلى هذا المنهج السلفي الأثري سار ابن القيم- وكان طبيعيًا أن يفعل، إذ هو سلفي من أهل الحديث والسنة، وتلميذ مخلص لابن تيمية، وترى ابن القيم يستشهد باستمرار بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الرد على أهل الكتاب، وإجراء المقارنات بين الإسلام وغيره من الأديان.

أما **المنهج العقلي في مقارنة الأديان**، فرائده أبو بكر الباقلاني. وهو الذي نقل الحجاج مع المخالفين إلى ميدان العقل النظري، بعد أن كان مَنْ تقدمه يستند إلى النصوص؛ فلا نجد عند الباقلاني سوى مقارعة الدليل بالدليل على الصورة الجدلية الخالصة المستقلة عن النصوص، ولا تتقيد إلا بالمنطق وتمحيص أصول الآراء من الناحية العقلية.

وأما **منهج الإلزام في مقارنة الأديان**، فهو أكثرها استخدامًا في دراسات علمائنا. استخدمه ابن حزم في كتابه: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، وأبو عبيدة الخزرجى في كتابه: «مقامع هامات الصلبان»، والسموأل بن يحيى المغربي في كتابه: «بذل المجهود في إفحام اليهود»، والقرافي في كتابه: «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، والغزالي في كتابه: «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل».

وهو منهج يعبر عن سمو فكري، و قدرة علمية، وسماحة خُلقية تميز بها علماء الإسلام، إذ إن أحدهم يضع إلزامًا على نفسه ألا يورد على أهل الكتاب حُجة إلا من خلال كتبهم المسلَّمة عندهم، مع أن أهل الإسلام يعتقدون أنها محرفة ولا حجة فيها يقينا، ولكنها مجاراة الخصم الضعيف، والأخذ بيده إلى الحق من الطريق القريب.

ورائد الإلزام في العصر الحديث من علمائنا في مقارنة الأديان هو الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه المشهور: «إظهار الحق». وهو يقول في مقدمة كتابه هذا عن منهجه:

«إني إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع، فهو منقول عن كتب علماء البروتستانت بطريق الإلزام والجدل، فإن رآه الناظر مخالفا لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك».

ويبين أبو عَبيدة الخزرجى منهجه الإلزامي، والسبب الذي دعاه إلى سلوكه، وهو لا يختلف عما هو موجود في عصرنا الحاضر، فيقول:

«وقد قدمت في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه (أي المسيح) ما ادعى الألوهية، وإنما نقلتُ من أناجيلهم حرفا حرفا -على ما فيها من إضافة الفضل والقوة والحول إلى غير الله تعالى؛ لأن من شأنهم وشأن اليهود إذا قيدوا بشيء ليس مكتوبًا عندهم أنكروه. فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية، ووقفت عليها بنفسي، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها».

ومثل ذلك كان منهج الغزالي، إذ يلزم الخصم بما ألزم به نفسه، فعمد إلى التحليل الداخلي لمادة الإنجيل من خلال عنوان كتابه الواضح: «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل». وفي مقدمته يقول:

«هأنذا أذكر نصًا نصًا، مبينا فصولها المسطرة فيها؛ حذرًا من المناكرة؛ لأن كتبهم غير محفوظة في صدورهم».

ومنهج السموأل في «إفحام اليهود» بلا شك هو الإلزام، إذ هو بارع في معرفة نصوص اليهود، وقد كان منهم؛ فلذلك عمد إلى الاحتجاج عليهم بما عندهم من نصوص، وهو يوضح هذا بقوله:

«على أن الأئمة (الم سلمين)- ضُوعف ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، و سلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسـالك، إلا أن أكثر ما نُوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جُعل إلى إفحامهم طريق مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم» .

ولا يعنى وجود هذه المناهج في جهود علمائنا في حقل مقارنة الأديان أنها متمايزة منفصلة تمامًا، بل إننا نراها في كتبهم متواصلة مؤتلفة، فأصحاب المنهج العقلي يستخدمون أحيانا النصوص، سواء الإسلامية أو اليهودية أوالنصرانية، وأصحاب منهج الإلزام يستخدمون أحيانا كثيرة البراهين العقلية والنصوص الإ سلامية، وكذلك أ صحاب المنهج السلفي يستخدمون أقيسة عقلية ونصوصًا من الكتب المقدسة يلزمون بها الخصوم، إلى جانب النصوص الإسلامية، فجميع هذه المناهج مفتوحة على بعضها، وإنما يميز بعضها عن بعض، المنطلق الذي ينطلق منه الكاتب، والرؤية التي تحكم فكره، والصفة الغالبة على بحثه، والأهداف والنتائج الخاصة بعمله.

بين السموأل وابن القيم:

يظهر أن كتاب السموأل من الكتب التي اشتهرت، وتعددت نسخها في المشرق الإسلامي، حتى أن ابن القيم يعتمد عليه، وبينهما قرنان كاملان من الزمان[1].

وكتاب السموأل «بذل المجهود في إفحام اليهود»، نقل ابن القيم منه أكثر مما نقل من غيره في مقارنة الأديان، حتى أنه نقله إلا قليلا[2].

والموضوعات التي استفادها منه ابن القيم كثيرة، منها ما نقله عن النسخ وإبطاله من وجوه، وابتداع اليهود في عبادتهم: في الدعاء والصلاة والصوم، وإلزامهم نبوة المسيح ومحمدﷺ ، كما نقل كلامه عن أشهر فرقهم وكتبهم، وما أحدثوه فيها. كما نقل البشارات التي أوردها السموأل عن محمد ﷺ في التوراة، وكشف بعض الأسرار، مثل سب اليهود الرسول محمدﷺ . وعيسى والأنبياء وغيرهم.

(1) توفي السموأل سنة 570هـ. وتوفي ابن القيم سنة 751هـ. ومن عجب أن د.الشرقاوي يقول عن العلاقة بينهما (مقدمة التحقيق، ص31): «وبذلك كان السموأل مصدرا علميا مهما لابن القيم. ولم أر من الدارسين لابن القيم من وضعه بين شيوخه الذين نهل من تراثهم. وهي نقطة جديرة بالبحث، وخصوصا أن ابن القيم- رحمه الله- لم ينسب كلام السموأل إلى صاحبه صراحة!! بل سكت عن ذلك في كل المواضع».
وهذا عجيب منه أن يريد وضع السموأل في شيوخ ابن القيم لأنه طالع كتابا له.ولم يكن من دأب علمائنا قديما ولا حديثا أن يفعلوا مثل ذلك. بل لا تكون المشيخة العلمية إلا بالتلقي المباشر من الأستاذ إلى التلميذ!

(2) مما أغفل ابن القيم نقله، فلم يأت به في «هداية الحيارى»، ولا في «إغاثة اللهفان»، ولا غيرهما- ما في إفحام اليهود: وجه إثبات النسخ، ص86 وما بعدها، وكذلك الوجه الآخر في إثبات النسخ، ص99 وما بعدها.

ولكثرة ما نقل ابن القيم عن «إفحام اليهود»، قال محققه محمد الشـرقاوي في مقدمة التحقيق:

«ويمكن القول بأن ابن القيم قد نشر كتاب (إفحام اليهود) في كتبه نشرًا يكاد يكون تامًا أكثر من مرة، وهو بذلك قد أفاد المسلمين بلا ريب. وأما عدم الإشارة إلى السموأل أو غيره، ربما كانت طريقة في التأليف والتصنيف آنذاك!!»[1].

والحقيقة أن ابن القيم أشار للسموأل- وإن لم يذكر اسمه صراحة- أكثر من مرة وشهد له فقال: « قال بعض علمائهم (أي اليهود) الراسـخين في العلم ممن هداه الله إلى الإسلام:...»[2].

(1) إفحام اليهود، ص32.

(2) هداية الحيارى، ص164.

ونقل ابن القيم عن السموأل في كتابيه: إغاثة اللهفان، وهداية الحيارى[1] تحديدًا (يوضح رقم الصفحة وما يقابلها) كالتالي:

اسم الكتاب	هداية الحيارى	إغاثة اللهفان	إفحام اليهود
	167-164	ـــــــ	(102-131، 141، 125، 128-118)
	174-173	ـــــــ	99-97
	208-200	ـــــــ	(124-143، 125-158، 145-171، 174-177 بتصرف كبير
	ـــــــ	(2/ 322- 350)	88-177 مواضع عديدة

(1) زعم د.محمد الشرقاوي أن ابن القيم نقل عن السموأل في كتابه أحكام أهل الذمة. ولم يثبت عندي ذلك.

	ـــــــ	(367–358 /2)	111–145 مواضع عديدة بتصرف واسع

(جدول يبين المواضع التي نقلها ابن القيم عن كتاب إفحام اليهود للسموأل)

ويتميز ابن القيم حين ينقل عن السموأل باليقظة العلمية. كما كان أحسن تقسيمًا، وتأليفا بين الموضوعات، وتنسيقا لها، وانتقاء للألفاظ والعبارات عن السموأل. فهذا الأخير يقع أحيانا في اضطراب واضح، مثلما بدأ بالرد على اليهود في موضوع النسخ، ثم يلزمهم بعنوان آخر- نبوة عيسى من نص التوراة، ثم يعود إلى النسخ مرة أخرى، ثم يعاود بذكر فصل في إلزامهم نبوة محمد وعيسى- عليهما السلام، وهكذا.

ونحن نستفيد هنا في إصلاح النص مما نقله ابن القيم. ونورد تعليقاته عليه؛ لتتم به الفائدة.

أهمية الكتاب:

يعد كتاب «إفحام اليهود» بحق- وكما يقول د.محمد الشـرقاوي: «وثيقة هامة؛ لأنه أطلع علماء المسـلمين على أسـرار يهودية، يحرص أصـحابها- غاية الحرص- على تكتمها، وعدم إذاعتها. كما نشر الكتاب في البيئة الثقافية الإسلامية تفصيلات دقيقة عن اليهود لم تكن معروفة من قبل، ولم يكن هناك من سبيل للاطلاع عليها من مصدر موثوق به، لولا أن قيَّض الله السموأل لذلك»[1].

والظاهر أن كتاب «إفحام اليهود» حقق شـهرة كبيرة، وطار ذكره، وانتسـخ كثيرًا، وأثر تأثيرًا عميقا فيمن كتب في مقارنة الأديان بعده عمومًا، وفي جدل اليهود خصـوصًـا. ومن أبرز من رجع إلى «إفحام اليهود» وناقشه الكاتب اليهودي الهالك «ابن كمونة»[2]، في كتابه «تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث».

(1) إفحام اليهود، مقدمة التحقيق، ص30.

(2) ابن كمونة: هو عز الدولة سعد بن منصور الإسرائيلي البغدادي. كان أديبًا، عالمًا بالفلسفة والمنطق. توفي سنة 683هـ. وكتابه المذكور طعن فيه في نبوة محمد ﷺ؛ فثار عليه أهل بغداد. ولابن الساعاتي رد عليه عنوانه «الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود» (تنقيح الأبحاث، ص12. المنهل الصافي: ابن تغري بردي 1/ 401).

الطبعات التي صدرت لهذا الكتاب:

1. طبعة مطبعة الشرق الإسلامية[1].

2. طبعة بتحقيق محمد أحمد الشامي[2].

3. طبعة بتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي[3].

وما يمكن أن يؤخذ على هذه الطبعة، فهو الادعاءات العجيبة المتلاحقة لصاحب التحقيق. وما أيسر الادعاء! حين يعدد فيمن استفاد من «إفحام اليهود»: القرافي، وابن تيمية. وهو يؤكد:

(1) القاهرة، 1358هـ.

(2) مكتبة الشامي، المنصورة. وتتميز بإرفاقها الرسالة السبعية. ولكن تحقيقها قاصر.

(3) نشر دار الجيل، بيروت. ومكتبة الزهراء، القاهرة، ط3، 1410هـ/ 1990م، ص ص216. وصدرت طبعة أخرى للمحقق عن رئاسة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الرياض، 1407 هـ. وهذه الطبعة هي التي نعزو إلى صفحاتها في هذا الكتاب. وتتميز هذه الطبعة بتصدير للدكتور أحمد العسال (رئيس قسم الدعوة، بكلية الدعوة والإعلام بالرياض)، ومقدمة للمحقق، ودراسة لحياة السموأل، وشخصيته، وأهمية كتابه. ثم تعليقات مفيدة للمحقق، وثبت بمصادر التحقيق. وفهارس بالأعلام الواردة في الكتاب، وملحق بالنصوص التوراتية الواردة فيه، مرتبة حسب ورودها بحروف عبرية. وقد أوردها السموأل عربية. كما تتميز هذه الطبعة أيضا بتضمنها رسالة «قصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ»، و«رسالة إلى السموأل وجوابها».

«أن ابن تيمية- رحمه الله- استفاد بشكل (كذا) غير مباشر- في كتاب «الجواب الصحيح» من فكر السموأل. ولقد سبقه في ذلك الإمام القرافي في كتابه «الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة» في الرد على اليهود والنصارى. فهو يسرد عنه بتصرف في عبارته حينا، وبألفاظه أحيانا»[1].

وفي موضع آخر، يزيد المحقق هذا الأمر تأكيدًا حين يورد السموأل وجهًا في إثبات النسخ، فيعلق عليه قائلا:

«لله دَرُّ السموأل!! فقد ألزمَ وأفحمَ. وقد نقل عنه هذا القرافي الصنهاجي في الأجوبة الفاخرة، وابن القيم في هداية الحيارى»[2].

هكذا دون تحديد أرقام الصفحات التي تثبت الدعوى، يريد أن يقنعنا بعبارات منقبية أن القرافي نقل عن السموأل. والأمر كما قال الشاعر:

(1) مقدمة تحقيق الإفحام، ص31-32.

(2) إفحام اليهود، ص94، هامش (1).

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات فإنها الأوهام

والصواب أن ابن القيم نقل عن السموأل الوجه المذكور[1]. أما القرافي فلم ينقله في كتابه «الأجوبة الفاخرة»، ولا في غيره، ولم يظهر واضحًا أن القرافي وقف على «إفحام اليهود»، وإن خدعت النظرة العجلى إلى فهرست الكتابين الناظرَ بغير ذلك؛ فهناك تشابه ما في الموضوعات عمومًا، إلا أنه لا يمكن القطع بالنقل؛ لوجود الاختلاف الواسع بين الكتابين، عدا موضعًا أو موضعين، كان هناك تشابه ظاهر فيهما[2].

أما ابن تيمية، فلا يمكن الجزم باستفادته من «إفحام اليهود». وهو قد ذكر عددًا ممن استفاد منهم. ولم يعد فيهم السموأل. ولم يَنقل عنه شيئا في «الجواب الصحيح». بل نقول: إنه ربما لم يقف عليه!

4. طبعة بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا[3].

5. طبعة بعناية عبد الوهاب طويلة[4].

---

(1) إغاثة اللهفان 2/ 323.

(2) مثلما في الأجوبة الفاخرة، ص245-247، مع ما في إفحام اليهود، ص147 وما بعدها. وقارن أيضا بين ما في الأجوبة الفاخرة، ص239 وما بعدها، مع ما في إفحام اليهود، ص135 وما بعدها.

(3) نشر مكتبة النافذة، القاهرة، 2005م، ص ص185. ويؤخذ عليه كثرة تخطئته للسموأل بغير حق. كما خطأه في قوله بأن عزرا ليس هو العزير...إلخ مما سيرد ذكره.

(4) نشر دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1410هـ/ 1989م، ص ص216.

والدارس يتبين له قصــور التحقيق الذي أَجرى لهذا الكتاب النفيس، وأن هناك مراجع أساسية أغفلها المحققون، ولم يُخَرِّجوا النصوص المنقولة منها. لذا استعنت الله ﷻ في إخراج هذا الكتاب على هذا الوجه من التحقيق والتدقيق؛ وذلك حتى يتضــح للقارئ المعاني التي أرادها الكاتب، ويقف على أصل كل نص ومصدره.

عملي في هذا الكتاب:

1. التعريف بالسموأل وكتابه.
2. وضع دراسة لأهم القضايا التي تناولها الكتاب.
3. تقســيم الكتاب إلى موضــوعات، وضــعت لكل منها عنوانا. كما وضــعت كثيرًا من العناوين الفرعية التي تعين القارئ على فهم الموضوع.
4. تحرير نص الكتاب، وإصــلاحه عيوبه، وتقســيم فقره، وشــكل المشــكل، والتعرف بالمبهم.
5. التعريف بالأعلام، والأماكن، والأحداث التاريخية.

6. توثيق النصــوص من القرآن الكريم والكتاب المقدس. وتخريج الأحاديث من كتب السنة.

7. التعليق على الكتاب بما يلزم.

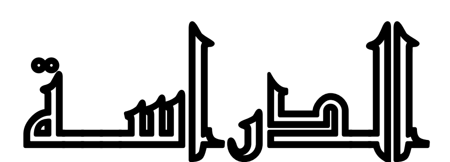
8. إيراد أهم تعليقات ابن القيم وإضــافاته على ما نقل من إفحام اليهود، وذلك في كتابيه: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.

9. تحقيق الرسالة السبعية، وإضافتها للكتاب؛ وذلك للوحدة الموضوعية بين الكتابين. وقد أضافها الشيخ الشامي إلى طبعته من قبل.

10. وضع فهرست للمحتويات.

دكتور محمود النجيري

القسم الأول



ويشمل الموضوعات التالية:

- **نقد مصادر الدين اليهودي وإثبات الوضع والتحريف.**
- **نقد العقائد الأساسية لليهودية.**

نقد مصادر الدين اليهودي وإثبات الوضع والتحريف

تناول السموأل في هذا العرض عددًا من القضايا اللاهوتية اليهودية، منها: قضية التحريف في التوراة، وابتداع الأحبار في مصادر الدين بوضعهم التلمود وغيره؛ واعتماد هذه الكتب مصادر للتشريع. وفي الصفحات التالية نعرض هذه القضايا كما ناقشها السموأل دارسين لها.

أولاً
نقد المصادر اليهودية

تناول السموأل كتابين لليهود غير التوراة هما التلمود، وكتاب «علم الذباحة». فأما التلمود فيبين السموأل في عبارات قليلة في «إفحام اليهود»- كيف تكوَّن. ويستخدم في ذلك المصطلحات القديمة، والطريقة القديمة، فيقول عن اليهود:

«اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما، وهما: المشنا، والتلمود. فأما المشنا، فهو الكتاب الأصغر، وحجمه نحو ثمانمئة ورقة. وأما التلمود، فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بغل»[1].

ومن المعلوم -في الاصطلاح الحديث- أن التلمود يتكون من المشنا والجمارا[2]. فالمشنا هي المتن الفقهي الذي وضعه علماء اليهود، ثم تواتر العلماء اليهود بعدهم، خلفا بعد سلف- على وضع شروح على هذا المتن، وهي التي سميت جمارا. والاصطلاح الذي استخدمه السموأل هو الذي كان شائعا قديمًا.

---

(1) إفحام اليهود، ص161.

(2) كلمة «تلمود» بالعبري معناها: تعليم. وكلمة «مشنا» معناها الدرس والمطالعة. وكلمة «جمارا» معناها الإتمام والتكميل. (انظر: الكنز المرصود في فضائح التلمود: روهلنج، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص40. وانظر أيضا كتاب: من التلمود: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).

والمعلومات التي يعرضها السموأل عن التلمود- نشأة ومضمونًا- غير وافية؛ إذ لم تتضمن شيئا عن تاريخ النشأة، والتطور، ونوعى التلمود: أور شليمي، وبابلي. ولم تُفصِّل مضمون هذا الكتاب، بل اكتفي بذكر المقاصد لوضع التلمود عند علماء اليهود، وضرب مثلا لما احتواه من موضوعات، ثم أشار إلى نشأة فرقة القرائين، ورفضها للتلمود.

وأما كتاب «علم الذباحة»، فهو كتاب كما- بيَّن السموأل- وضعه علماء اليهودية، وابتدعوا فيه أحكامًا، وو ضعوا أغلالا وآ صارًا على بني ملتهم، ومن هذا أنه قد ورد في التوراة: «ولحمًا فريسة في الصحراء لا تأكلوه. وللكلب ألقوه»[1].

والفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرهما من السباع، تسمى عندهم «طريفا»، وهي ما عبَّر عنه القرآن بقوله تعالى في المحرمات: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة :3]. فتأوَّل هؤلاء القوم لفظ الطريفا على كل ما عُدُّوه نجسًا، وحرَّموا أكله. وذلك أنهم أمروا أتباعهم أن ينفخوا الرئة حتى يملئوها هواءً، ويتأملونها: هل يخرج الهواء من ثقب منها، أم لا؟ فإن خرج منها الهواء حرَّموها، وإن كان بعض أطراف الرئة لاصقا ببعض لم يأكلوه.

(1) سفر الخروج 31: 22.

واختلق فقهاؤهم من أنفسـهم هذيانات وخرافات تتعلق بالرئة والقلب، وقالوا: ما كان من الذبائح سـليمًا من تلك الشـروط فهو طاهر. وما كان خارجًا عن هذه الشـروط سـموه طريفا، يعنون بذلك أنه نجس، وأكله حرام.

قالوا: ومعنى نص التوراة: «ولحما فريسة في الصحراء لا تأكلوه، وللكلب ألقوه». أي أنكم إذا ذبحتم ذبيحة، ولم توجد فيها هذه الشـروط، فلا تأكلوها، بل تبيعونها على من ليس من أهل ملتكم. وفسـروا قوله: «للكلب ألقوه». أي لمن ليس من أهل ملتكم فأطعموه إياه بالثمن وبيعوه. وهم أحق بهذا اللقب، وأشبه الناس بالكلاب، كما يُعبر السموأل[1].

وهذا تحريف لمعنى الفقرة المذكورة من التوراة- كما يلحظ السـموأل. ونحن نزيد على ذلك فنقول: إن بالفقرة تحريفا لفظيًا أيضًا؛ إذ ليس في نص التوراة السامرية: «وللكلب ألقوه».

ويحدد السـموأل مقصـدين للحاخاميم في وضـعهم هذه الكتب، وما فيها من تشـديدات كالتالي:

(1) نقلا عن إفحام اليهود، ص165-169 .

1- أنهم أرادوا بذلك المبالغة في مضادة أديان الأمم الأخرى حتى لا يختلط اليهود بغيرهم، فيؤدى بهم هذا إلى الخروج من اليهودية. فإن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم؛ لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام، والكفر بالله[1]. وإنما حَرَّمت عليهم أكل ذبائح الأمم التي يذبحونها قربانا للأصنام؛ لأنه سُمِّي عليها غير اسم الله تعالى[2].

فأما ما ذكر عليه اسم الله، وذبح لله، فلم تنطق التوراة بتحريمه ألبتة. بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الأمم.

2- أن اليهود مبددون في شرق الأرض وغربها، وجنوبها وشمالها، كما قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾[الأعراف: 168]. وما من جماعة منهم في بلدة إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة، يُظهر لهم الخشونة في دينه، والمبالغة في الاحتياط. فإن كان من فقهائهم شرع في إنكار أشياء عليهم؛ يوهمهم قلةَ دينهم، وقلةَ علمهم. وكلما شدد عليهم قالوا: هذا هو العالم. فأعلمهم أعظمهم تشديدًا عليهم[3].

(1) انظر فقرات التوراة في هذا: سفر الخروج 32-33: 23. وسفر التثنية الإصحاحان السابع، والثاني عشر.

(2) انظر فقرات التوراة في هذا: سفر الخروج 12-16: 34.

(3) إفحام اليهود، ص175.

ويمكن أن نضيف **مقصدًا ثالثا** مذكورًا في ثنايا الكلام، غير ما حدده السموأل، وهو أنهم أرادوا بالآصار والأغلال ما يشغلون به قومهم عمَّا هم فيه من ذل وصغار، وخزي تحت الأمم التي كانت تملكهم؛ لذلك شرعوا لهم «الحَزَّانة». وهي الصلاة بالألحان يجتمعون عليها، ويدعون على الأمم فيها بالبوار والهلاك، وينوحون على أنفسهم.

وهذا البيان من السموأل لمصادر الدين اليهودي. ونقده لعلماء اليهودية، أراد به أن يبرز ضعف الثقة بهذه المصادر؛ إذ إنها ليست راجعة إلى الوحي الإلهي. فالتلمود وضعه الحخاميم، وكذلك كتاب «علم الذباحة». بل إنها مخالفة لنصوص الوحي، ومعارضة لمعناه، وفيها التحايل على المعنى الصحيح المراد.

ولذلك يبين السموأل كيف انقسم اليهود إلى فرقتين، متخالفتين في العقائد والأحكام، والمصادر التي يرجعون إليها في دينهم.

أما **الفرقة الأولى،** فهم الربانيون، يعتمدون التلمود وغيره، وعددهم أكثر من غيرهم، ويكثرون من الاستنباط والقياس والابتداع. ويحترفون التشديد والكذب على الله سبحانه، ويدَّعون أن فقهاءهم إذا اختلفوا في مسألة، يوحى الله إليهم بصوت يسمعونه: «الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان».

ويعلق السموأل على هذا بأن هذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم؛ إذ أوهمهم حخاميمهم أنهم خُصوا عن سواهم، وشُرِفوا من الله. فصار الواحد منهم ينظر إلى من ليس على نحلته كما ينظر إلى الدابة(1).

وأما **الفرقة الثانية**، فهم القراءون، فأهل ظاهر. يقفون عند النصوص، لذلك خرجوا على طريقة الربانيين، ورفضوا محالاتهم الشنيعة، وافتراءهم على الله، وعلى التوراة، وعلى موسى. واعتقدوا أن الربانيين بذلك فاسقين، لا يجوز اعتبار خبرهم ولا فتواهم، فخالفوهم في سائر ما أصَّلوه من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة. ومن هنا كان هؤلاء القراءون أقرب إلى الإسلام بل أكثرهم خرج إليه(2).

وهاتان الفرقتان معًا: ربانيون، وقراءون. يُدعون «العبرانيين».

وأما **الفرقة الثالثة** من اليهود، التي لم يذكرها السموأل فهم يهود السامرة، فيخالفون العبرانيين في العقائد والشرائع. إذ يؤمنون بالتوراة وموسى، ولكنهم لا يؤمنون بغير الأسفار الخمسة للتوراة، بل يرفضون الأسفار التي ألحقها العبرانيون بها.

(1) إفحام اليهود، ص174. ويبين الشهرستاني أن الربانيين في اليهود، كالمعتزلة في المسلمين. (انظر: الملل والنحل للشهرستاني، 1/ 252.

(2) إفحام اليهود، ص171 وما بعدها.

وكذلك لا يؤمنون بأنبياء بعد موسى عليه السلام، وهم ادعَوا على العبرانيين تحريفهم التوراة، وادعى العبرانيون ذلك عليهم. وهم يؤمنون بالمعاد والجنة والنار. ويختلفون عن العبرانيين في القبلة، فالعبرانيون يصلون إلى بيت المقدس، والسامرة تُصلِّي إلى جبل جِرِزِّيم ببلد نابلُس. وتزعم أنها القبلة التي أمر الله موسى أن يستقبلها.

وبهذا العرض يكون السموأل قد دخل في صلب الاختلاف في العقائد بين الفرق اليهودية. وهذا الاختلاف راجع إلى المصدر الذي اعتمدته كل فرقة، والمنهج الذي اتبعته في تفسير هذا المصدر الديني، إلا أننا نرى أن السموأل لم يأتِ بشواهد من التوراة على الاختلافات بين السامرة والعبرانيين. ونسوق هنا شاهدين على هذا الاختلاف كالتالي:

الشاهد الأول: في التوراة العبرانية، لا يوجد نصٌّ صريح على يوم القيامة. أما التوراة السامرية ففيها نصٌّ واضح على ذلك، ففي التوراة السامرية قوله:

«أليس هو مجموعًا عندي، مختومًا في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة. وقت تزل أقدامهم. إذ قريب يوم تعنتهم، وتسرع المستعدات إليهم. إذ يدين الله قومه، وعن عبيده يصفح. إذ يرى أن زالت اليد، وانقرض المحاصر والمطلق»(1).

والنص نفسه في التوراة العبرانية هكذا: «34 أليس ذلك مكنوزًا عندي، مختومًا عليه في خزائني؟! 35 لي النقمةُ والجزاءُ في وقت تَزِل أقدامهم. إن يومَ هلاكهم قريبٌ، والمُهَيَّآتُ لهم مسرعةٌ؛ 36 لأن الرب يدين شعبَهُ، وعلى عبيده يُشفقُ حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجوز، ولا مطلق»(2).

والفرق بين النصين واضح؛ إذ إن قول العبرانية: «في وقت تزل أقدامهم» يحتمل الجزاء في الدنيا والآخرة، فهو غامض في هذا الشأن. أما قول السامرية: «إلى يوم الانتقام والمكافأة»، يدل صراحة على يوم القيامة(3).

(1) سفر التثنية 34-35: 32.

(2) تثنية 34-36: 32.

(3) انظر: التوراة السامرية، بعناية د.أحمد السقا، ص14-15، ص392-393. وانظر أيضا للدكتور أحمد السقا: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، البيان العربي، القاهرة، 1977م، 1/ 57.

ومن الدراسات اللاحقة للسموأل، التي تناولت هذه القضية، وكانت لها معارضات مع إفحام اليهود: كتاب «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» لابن كمونة اليهودي- أخزاه الله، وفيه يحاول ابن كمونة أن يُبرر خلو التوراة من التصريح باليوم الآخر بقوله بأنه شيء لا يضر؛ إذ كان قد أنزل على موسى عليه السلام، وخاطب به بني إسرائيل، واستفاض عنهم. فإن قيل: فلِمَ لم يكتبه في التوراة مُصَرَّحًا؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ثم- ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك حكمةً لا نعرفها[1].

وهكذا يغلق ابن كمونة باب الجدال قائلا: إنها أمور إلهية، لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، على الرغم من أنه يجادل أصحاب أديان أخرى غير اليهودية. ولا يصح أن يكون هذا مدخله في الرد عليهم.

أما **الشاهد الثاني** للخلاف بين التوراتين العبرانية والسامرية، فهو في القبلة، ففي العبرانية يُسمى الجبل الذي اتخذوه قبلة «عِيبال» كالتالي:

(1) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ابن كمونة، ص40.

«حين تعبرون الأردن، تقيمون هذه الحجارة، التي أنا أوصـيكم بها اليوم في جبل عيبال، وتُكَلِّسُها بالكِلْس»[1].

وفي السامرية يسمى الجبل «جِرِزِّيم» كالتالي:

«يكون عند عبوركم الأردن، تقيمون الحجارة هذه التي أنا مو صيكم اليوم في جبل جرزيم، وتشيدها بشيد»[2].

أما ا ستقبال اليهود غير السامرة الصخرة، فليس في التوراة الأمر با ستقبال الصخرة ألبتة، وإنما كانوا ينصبون التابوت، ويصلُّون إليه من حيث خرجوا. فإذا قدموا، نصبوه على الصخرة، و صلوا إليه. فلمَّا رُفع صلوا إلى مو ضعه، وهو الصخرة. إذ لم يحدد مو سى لقومه قبلة يتجهون إليها في صلاتهم كما يستقبل المسلمون الكعبة مثلا، بل كل بيت يبنونه للعبادة يقصدونه في الصلاة، كما عبر القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 87].

---

(1) سفر التثنية 27:4.

(2) سفر التثنية 27:4.

وفي التوراة أنهم كانوا يتجهون إلى أية جهة مثل قوله: «مذبحًا من تراب تصــنع لي، وتذبح عليه محرقاتك، وذبائحَ سلامتِكَ غَنمَكَ وبقرَكَ. في كل الأماكن التي فيها أ صنع لا سمي ذكرا آتى إليك وأباركُكَ»[1].

وعادة كان اليهود يعبدون الله في خيمة متنقلة مع ترحالهم. وفي عهد داود عليه السلام بدأ العمل لبناء بيت للعبادة على جبل صهيون بالقدس. وأتمَّ سليمان بن داود- عليهما السلام- البناء، وسُمى البيت: هيكل سليمان[2].

(1) سفر الخروج 20:24. وانظر أيضا: سفر الخروج 36-38: 40.

(2) انظر: سفر أخبار الأيام الثاني 3:1 وما بعدها.

ثانيًا
تحريف اليهود التوراة

اهتم السموأل اهتماما كبيرًا بنقد التوراة التي بأيدي اليهود؛ إذ هي معتمدهم في عقائدهم وعباداتهم، وسائر شئونهم. ويعدها جمهورهم وحيًا وحقا لا شك فيه، ويرفضون القرآن، ويسلطون عليه نقدهم بما بين الكتابين من معارضات.

ويصب السموأل هذا الاهتمام على ما في نصوص التوراة من كذب على الله، وكذب على الناس، جعل اليهود يرتفعون بأنفسهم على الخلق؛ استنادًا إلى نصوص زعموها مقدسة منزهة، وهي مصنوعة مزيفة. وإذا ثبت بطلان الكتاب، سقط حُجج أهله جميعًا؛ ولذلك عقد السموأل فصولا عن التحريف في التوراة، وأمثلته، وأسبابه، والأدلة على وقوعه، كالتالي:

(1) الأدلة على وقوع التحريف:

أورد السموأل عدة أدلة على تحريف اليهود للتوراة التي بأيدي اليهود، ففيها مما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء- مما لا يشك فيه ذو بصيرة، والتوراة التي أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك. وفيها نسبتهم إلى الله تعالى ما لا يجوز، ووصفه بما يستحيل عقلا.

ويستدل السموأل على تحريف اليهود أيضًا: ابتداعهم في دينهم ما ليس فيه من أدعية وصلوات، وصوم، وتعطيل الفرائض، وتبديل أحكام الله. فتواطئوا على الزيادة والنقصان، كما تواطئوا على إنكار نبوة عيسى عليه السلام.

ثم هم تواطئوا أيضًا على الباطل، بادعاء امتناع النسخ على الله تعالى فيما شرعه لعباده، مع أن التوراة وسائر النبوات تكذبهم في ذلك. ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البَدَاء[1]، ثم يقولون: إنه ندم وبكى على الطوفان، وعاد في رأيه، وندم على خلق الإنسان. وهذه مضارعة منهم لإخوانهم من عبَّاد الصليب الذين نزَّهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد، ثم نسبوهما إلى الفرد الصمد. وهذا التناقض يجعلنا نقول إنهم غيَّروا، وبدَّلوا، وحرَّفوا.

(1) البداء: معناه أن يبدو ما كان خافيًا، فيُعلم ما لم يكن معلومًا، وهي عقيدة في التوراة، ولا تجوز على الله سبحانه وتعالى، عالم الغيب والشهادة؛ ولذا كان من أدلة ابن حزم على تحريف التوراة وجود عقيدة البداء فيها، ففي سفر الخروج أن الله قال لموسى: «دعني أغضب عليهم وأهلكهم». وأن موسى رغب إليه، وقال له: «تذكَّر إبراهيم، وإسحق، وإسرائيل، فَحَنَّ السيد، ولم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بأمته» (انظر: سفر الخروج 10-14: 32). الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/ 163.

ويبيِّن السموأل أنهم تواطئوا على تحريف الكتاب[1]، تواطؤهم على كتمان الحق، واعتقاد الباطل، وجحد نبوة عيسى ومحمد- عليهما الصلاة والسلام، وا شتهار ذلك بين طائفتهم في الأرض، مشارقها ومغاربها. كذلك تواطئوا في حق عيسى أنه كان طبيبا ساحرا مُمَخْرِقاً ابن زانية، وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التي أرسل بها، وعلمهم أنه أبعد خلق الله مما رُمى به، وشاع ما تواطئوا عليه. وملئوا به كتبهم شرقا وغربًا.

وكذلك تواطئوا على أن لوطا نكح ابنتيه، وأولدهما أولادًا، وشاع ذلك فيهم جميعهم.

وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال مملكتهم يُصلّون بها، لم تُعرف عن موسى، ولا عن أحد من أتباعه، كقولهم في صلاتهم: «اللهم ا ضربْ ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعًا من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك. سبحانك يا جامع تشتيت قوم إسرائيل...إلخ».

ولم يكن موسى وقومه يقولون في صلاتهم شيئا من ذلك.

وكذلك تواطؤهم على قولهم في صلاتهم في العشر الأول من المحرم في كل سنة ما ترجمته: «يا أبانا. املكْ على جميع أهل الأرض. ليقول كل ذي نسمة: الله إله إ سرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة...إلخ».

---

(1) تواطأ اليهود على تحريف التوراة مرتين، الأولى بعد أن سباهم بختنصر إلى بابل سنة (586) ق.م. وكان قد هدم هيكلهم، وأحرق كتابهم. ويُسَلِّم أهل الكتاب أن عزرا جمع لهم التوراة التي بأيديهم الآن. والثانية في سنة (130م)، حيث اجتمع اليهود على تحريف النسخة العبرانية للتشكيك في صحة النسخة اليونانية التي بأيدي النصارى آنذاك. (انظر: إظهار الحق: رحمت الله الهندي، ص429. ومناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمت الله والقسيس بفندر، ص126.

وكذلك تواطؤهم على شـــرع صـــوم إحراق بيت المقدس وغيره، وفرضـــهم ذلك. ولقد اعترفوا بأنهم زادوها لأسباب اقتضتها، فلما ذهبت الأسباب استمروا على ابتداعهم. وخالفوا بذلك قول التوراة: «لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئا، ولا تنقصوا منه شيئا»[1].

ومن ذلك تواطؤهم على أن المُلْك يعود إليهم، وترجع الملل كلها إلى ملة اليهودية، ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملل[2].

فكيف يُنكر من طائفة تواطأت على تكذيب المسيح، وجحد نبوته، وبهت أمه، والكذب الصـــريح على الله وعلى أنبيائه، وتعطيل أحكام الله، والاســـتبدال بها، وعلى قتلهم أنبياء الله- أن تتوطأ على تحريف بعض التوراة، وكتمان نعت محمد رسول الله ﷺ وصفته فيها[3]؟!

(2) شواهد على تحريف اليهود للتوراة:

ينقل السموأل كثيرًا من النصوص التي تُبيِّن مدى التحريف الذي جنته أيدي اليهود على كتاب الله تعالى، ويعرض عددًا من الأمثلة لهذا التحريف، نورد منها النص التالي في البشـــارة بمحمدﷺ :

---

(1) سفر التثنية 2: 4.

(2) انظر في ذلك كتاب: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية: د.منى ناظم، مؤسسة الاتحاد، أبو ظبي، 1986م.

(3) إفحام اليهود، ص97-99، 127-128.

قوله في التوراة: «نبيًا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك، به فليؤمنوا»[1].

واليهود حرفوا تأويله إذ لم يمكنهم أن يبدلوا تنزيله، وقالوا: هذه بشـارة بنبي من أنبياء بني إسرائيل، **وهذا باطل من وجوه:**

- أنه لو أراد ذلك لقال: «من أنفسـهم»، كما قال في حق محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164]. و قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ **[التوبة: 128]**. ولم يقل: «من إخوتكم».

- أن المعهود في التوراة: أن إخوتهم غير بني إسـرائيل، ففيها: «أنتم عابرون في تُخوم إخوتكم بني العيص، المقيمين في سيعير، إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم»[2].

- أن هذه البشارة لو كانت بشمويل[3]، أو غيره من بني إسرائيل، لم يصح أن يُقال: بنو إسـرائيل- إخوة بني إسـرائيل. وإنَّما المفهوم من هذا: أن بني إسـماعيل، أو بني العيص، هم أخوة بني إسرائيل.

(1) سفر التثنية 18/ 18.

(2) سفر التثنية 4-5: 2.

(3) شمويل، أو شموئيل: هو في التراجم الحديثة صموئيل. وفي العهد القديم سفران باسمه، فيهما قصة حياته، وأهم أعماله.

- أنه قال: « سأقيم لهم نبيا مثلك». ومعلوم أن شمويل- وغيره من أنبياء بني إ سرائيل، لم يكن فيهم مثل موسى، لاسيما والتوراة تقول: «لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى»[1].

وأيضًا في بعض ألفاظ هذا النص: «كلكم له تسمعون»[2]. وشموئيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ؛ لأنه إنما أُرْسِلَ ليقوى أيديهم على أهل فلسطين؛ وليردهم إلى شرع التوراة.

- في هذه البشارة: أنه ينزل عليه كتابًا يَظهر للناس مِن فِيْهِ. وهذا لم يكن لأحدٍ بعد موسى غير النبي ﷺ، وهذا من علامات نبوته التي أخبرت بها الأنبياء المتقدمون. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء].

فالقرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ، وظهر للأمة من فِيْهِ.

- ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى؛ لأنها إنما جاءت بواحد من إخوة بني إسرائيل. وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد، ليس فيهم إله. والمسيح عندهم إله معبود، وهو أجلُّ عندهم من أن يكون من إخوة العبيد.

---

(1) سفر التثنية 10: 34.

(2) في النص الحديث: «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك، من إخوتك مثلي. له تسمعون» (تثنية 15: 18).

- والبشارة وقعت بعبد مخلوق، يُقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم. وغايته أن يكون نبيًا، لا غاية له فوقها. وهذا ليس هو المسيح عند النصارى[1].

- ويبطل حمل هذه البشارة على يوشع بن نون من ثلاثة أوجه. أحدها: أنه من بني إسرائيل، لا من إخوتهم. والثاني: أنه لم يكن مثل موسى. والثالث: أن يوشع نبي في زمان موسى[2].

ومما يذكره السموأل مثالا للتحريف في التوراة قصة لوط عليه السلام وابنتيه. وهي في سفر التكوين[3]، وملخصها أن رسول الله لوطًا خرج من المدينة بعد إهلاك قومه، وسكن في كهف الجبل، ومعه ابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى: لقد شاخ أبونا، فهلمي بنا نسقيه خمرًا، ثم نضاجعه؛ لنأخذ منه نسلا؛ لأنه ليس رجل في الأرض. فرقدت معه الكبرى،. ثم سقتاه خمرًا كذلك في الليلة الثانية، ورقدت معه الصغرى. وحملتا منه بولدين: موآب، وعمون.

(1) يدأب النصارى على تأويل البشارات التي وردت في الكتاب المقدس عن محمد ﷺ يجعلونها لعيسى عليه السلام. ومنها هذه البشارة. ويورد الشيخ رحمت الله الهندي عدة أوجه على أن هذه البشارة ليست بعيسى (إظهار الحق، ص1117). وللشيخ أحمد ديدات مناظرة في هذه القضية، انظر كتابه: محمد ﷺ في الكتاب المقدس، ترجمة: رياض أحمد باهبري، بيت الحكمة للنشر، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

(2) إفحام اليهود، ص111-112. وهذه البشارة مذكورة في جميع الكتب التي عرضت للبشارات بمحمد ﷺ في الكتاب المقدس. انظر مثلا: إظهار الحق، ص1116 وما بعدها. والبشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل 1/ 215 وما بعدها.

(3) سفر التكوين 30-38: 19.

وعلق السموأل على هذه القصة؛ إذ يكشف سياقها عن أنه من أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المئة سنة، قد سُقى الخمر حتى سَكِرَ سكرًا حال بينه وبين معرفة ابنتيه، فضاجعته إحداهما، واستنزلت منيه، وقامت عنه وهو لا يشعر.

وفي القصة أنه لم يشعر باضطجاعها وقيامها، وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحَبَل؛ لأنه من المُحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن في السن، وقد غاب حسُّه لفرط سكْره. ومما يؤكد استحالة ذلك: أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية، فَعَلَقَتْ أيضًا. وهذا ممتنع من المشايخ الكبار: أن يُعلق من أحدهم في ليلة، ويعلق منه أيضًا في الليلة الثانية.

وسبب تلفيق هذه القصة، يوضحه السموأل، وهو العداوة التي مازالت بين بني عمون، وبني موآب من جانب، وبني إسرائيل من جانب آخر[1]. وهذه العداوة: «بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال ليكون أعظم الأخبار فحشًا في حق بني عمون، وموآب»[2].

(1) يروى سفر القضاة (13: 11 وما بعدها) قصة الصراع بين بني إسرائيل، وبني عمون، وبني موآب. وفي سفر التثنية كيف غضب الله على العمونيين والموآبيين المتحالفين ضد بني إسرائيل، وحكم ألا يدخل أحد منهم جماعة الرب حتى الجيل العاشر (انظر: تثنية 3-6: 23).

(2) إفحام اليهود، ص149-151.

(3) سبب تحريف التوراة:

بعد عدد من النصوص التي يوردها السموأل، وفيها وصف الله سبحانه بما لا يجوز من الندم، والغفلة، والشهوانية، والتجسيم- يتجه السموأل إلى بيان السبب الذي أدى باليهود إلى هذا التحريف للتوراة، مستعرضًا واقعة تاريخية ثابتة عن فقد التوراة، وإعادة كتابتها.

وهو يقرر أن علماء اليهود وأحبارهم يعتقدون أن هذه التوراة التي بأيديهم- ليست هي التي أنزلها الله تعالى على موسى بن عمران بعينها. وتفصيل ذلك أن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل؛ خوفا من اختلافهم من بعده في تأويلها؛ المؤدي إلى تفرقهم أحزابًا؛ ولذلك سَلَّمَها إلى عشيرته أولاد لاوي، ودليل ذلك قوله في التوراة: «وكتب موسى هذه التوراة، ودفعها إلى بني إسرائيل. إلى الأئمة من بني لاوي»[1].

فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها، فقتلهم بُختنصَّر على دمٍ واحد. فلمَّا رأى عزرا أن القوم قد أُحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، ورُفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم.

(1) سفر التثنية 9: 31.

فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا الوراق. فيها كثير مما أنزله الله على موسى. ثم تداولتها أمة قد مزقها الله تعالى كلَّ ممزق، وشتت شملها، فلحقها التحريف بأنواعه(1).

ومن العجب أن اليهود والنصارى يقرون أن التوراة كانت طوال مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده. واليهود تقر أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة.

ومن رضي بتبديل حرف واحد من كتاب الله، فلا يؤمن منه تحريف غيره.

واليهود تقر أيضًا أن السامرة حرَّفوا مواضع من التوراة، وبدَّلوها تبديلا ظاهرًا، وزادوا ونقصوا. والسامرة تدعى ذلك عليهم.

(1) إفحام اليهود، ص135-141. وانظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي، ص239-241.

ويتفق ما قرره السموأل من أن التوراة الموجودة بين يدي الناس ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى- مع الدراسات الحديثة في علم مقارنة الأديان. بل إن هذه الدراسات تقرر: أن موسى لم يكتب هذه التوراة، وأن لها أكثر من كاتب، وأكثر من مصدر. ومن ذلك ما كتبه «موريس بوكاي» قائلا:

«كتب العهد القديم لم تتخذ هيئتها الأولى إلا قبل قرون من ميلاد المسيح، ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح- كما يرى الكثيرون»[1].

ويعرض بوكاي عددًا من آراء رجال اللاهوت الغربيين التي تذهب إلى أن موسى لم يكتب التوراة بيده.

وعلى الطريق نفسه، يعرض الدكتور فؤاد حسنين عليّ دراسات هامة للاهوتيين غربيين، نتيجتها التي نخرج بها هي أن الأسفار الخمسة ليست لموسى أولا، ولا لمؤلف واحد ثانيًا. بل هي عبارة عن كتاب يرجع إلى مصادر متعددة، وعصور متباينة. واعتماد التوراة على مصادر متعددة هو الرأي الذي يُجْمع عليه العلماء اليوم، سواء كانوا من رجال اللاهوت أو غيرهم. وأن التوراة تعرضت مع توالي الزمن إلى كثير من التغيير والتحوير[2].

(1) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي، ص25 وما بعدها.

(2) التوراة الهيروغليفية: د.فؤاد حسنين علي، ص46.

وعلى ذلك، فعلماء اليهود وأحبارهم- كما قرر السموأل وغيره- يعلمون يقينًا، ويعتقدون أن هذه التوراة التي بأيدي اليهود، ليست هي المنزَّلة على موسى، إلا أنهم لا يصرِّحون بهذا، ويُموهون على عوامهم، فيدَّعون أنها كلام الله ووحيه. كما قال القرآن فيهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:79][1].

وحادثة بُختنَّصر التي ذكرها السموأل كانت سنة (586 ق.م)، وفيها غزا هذا الملك البابلي القدس، وخرَّب هيكل سليمان، وأسر من اليهود سبعين ألفًا، وقتل منهم عددًا كبيرًا، وأحرق كتبهم المقدسة. وكُتب التاريخ شاهدة بأن حال كتب العهد القديم قبل حادثة بختنصر كان أبتر، وبعد حادثته ما بقي منها غير الاسم. ولو لم يدونها عزرا مرة أخرى لما كان لها وجود مطلقا. وهذا الأمر مسلَّم عند أهل الكتاب[2].

(1) وقد أورد ابن كمونة اليهودي الرأي الظاهر لقومه، بأن التوراة كلام الله في عدة مواضع من كتابه تنقيح الأبحاث، منها ص30، وانظر أيضًا: كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل 1/ 55-58) .

(2) انظر: إظهار الحق، ص448-449.

إلا أننا لا نسلم بأن هذه التوراة التي بأيدي اليهود هي كتاب عزرا؛ إذ تعرضت التوراة التي كتبها عزرا أيضًا لحوادث أفقدتها وجودها نفسه، مثل حادثة الملك أنتيوكس، الذي فتح أورشليم قبل ميلاد المسيح بإحدى و ستين ومئة سنة. وفيها أحرقت كل نسخ العهد القديم. وكذلك جرى في حادثة الملك تيطس سنة سبعين ميلادية[1].

ويقرُّ اليهود بأن سبعين كاهنًا اجتمعوا على تبديل التوراة بعد المسيح في عهد القياصرة، وذلك في سنة (282م)، حين أمر الحاكم بطليموس فيلادلفوس بترجمة التوراة من العبرية إلى اللغة الإغريقية السائدة في مدينة الإسكندرية في هذا الوقت، وسُميت بالسبعينية؛ لقيام سبعين حبرًا يهوديًا بها، والتحريف في التوراة العبرانية كان بزيادتها أربعة عشر سفرًا لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا، ولم يُعرف إلى الآن سبب هذه الزيادة[2].

(1) انظر: إظهار الحق، ص607-608.

(2) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان: إبراهيم خليل أحمد، ص40. وانظر أيضا: دراسات في الكتاب المقدس: د.محمود حماية، ص16.

أما الاختلافات بين التوراتين العبرانية، والسامرية. ففي مواضع كثيرة، وأهم الاختلافات هي أن التوراة السامرية لا تحوي أسفار الأنبياء؛ إذ لا يعترف بها السامريون، ولا يعترفون منها إلا بسفري يشوع والقضاة، إلا أنهما عندهما سفران تاريخيان فقط. كما يوجد اختلاف بين التوراتين العبرانية والسامرية في النص على يوم القيامة، وفي تعيين الجبل الذي أمر الله إبراهيم بذبح ابنه البكر عنده[1].

ويحاول ابن كمونة اليهودي- أخزاه الله- أن يدافع عن تخالف نسخ التوراة التي بأيدي النصارى، عن التوراة التي بأيدي اليهود، بأن النصارى كانوا لا يتعبدون بقراءة التوراة وغيرها من كتب النبوات- على حد تعبد اليهود بها؛ فلهذا وقع عند بعضهم إهمال في النسخ أو في النقل إلى غير لغة التنزيل، كما يقع في كثير من الكتب المصنفة.

ثم يعترف ابن كمونة باختلاف النسخة السامرية، ويبرره تبريرًا سخيفا بقوله:

(1) وانظر الاختلافات بين نص التوراتين في كتاب التوراة السامرية: د.أحمد حجازي السقا، ص343-394.

«والنسخة التي عند السامرة فكذلك أيضًا. وتخالفُ النسختين بشيء يسير؛ لأنهم في الأ صل ما كانوا يتعبدون بها، ثم بعد نقلهم لها من غير ضبط وتحرير رأوا التعبد بها، وهي على تلك الحالة»[1].

وهذا اعتراف واضح من ابن كمونة بتحريف التوراة. وإن أراد أن يستثنى قومه العبرانيين من التحريف باعتنائهم بالتوراة وتعظيمهم لها. إلا أن نتائج الدرس النقدي للتوراة، يُظهر أنها من وضع بشرى- كما قلنا، وأنها ألفتْ على فترات زمنية ممتدة، ونالها التنقيح والتصحيح، واقتبست من الآداب البابلية، والهيلينية، والمصرية القديمة، وأن فيها من القصص الغرامية، والشعر العاطفي، والأساطير، والفلسفة، والأغلاط والاختلافات ما ينبئ عن مصدرها البشرى[2].

(1) انظر: تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ص31.

(2) يرجع في ذلك إلى كتاب: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ص66 وما بعدها. وكتاب: التوراة الهيروغليفية، ص18 وما بعدها.

نقد العقائد الأساسية لليهودية

أثّر الإسلام تأثيرًا عميقا فيمن انضوَوا تحت لوائه من أهل الذمة. ويمكننا أن نستشهد هنا بما قاله الإمام السموأل بن يحيى المغربي، وهو كان حبرًا يهوديًا قبل أن يُسلم؛ إذ يعرض في كتابه «إفحام اليهود» بعضًا ممَّا في التوراة وغيرها من كتب اليهود وتقليدهم الديني، نرى فيه التجسيم، ووصف الله تعالى بما يستحيل، إلى أن يبين أنه على الرغم من كفريات التجسيم هذه، إلا أن أحبار اليهود قد تهذبوا كثيرًا عن معتقدات آبائهم بما استفادوه من توحيد المسلمين، وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم مما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها، وصاروا متى سُئلوا عما عندهم من هذه الفضائح، استتروا بالجَحْد والبُهتان؛ خوفًا من فظيع ما يلزمهم من الشناعة[1]!

ويمكننا أن نرى هذا الأثر واضحًا مما سبق به قلم ابن كمونة اليهودي–أخزاه الله، وهو كان يعيش في العراق في القرن السابع الهجري، حين كتب مبررًا اتخاذ بعض ملوك اليهود الأوثانَ معبوداتٍ، وبناءَ البِيَع لها، فقال:

(1) إفحام اليهود، ص132.

«جميع الملل كانوا يتخذون الصــور، ويدّعون اتصــال الأمر الإلهي بها، وتشــنَّع الآن لارتفاعه من أكثر الملل في زماننا وبلادنا»[1].

وما شَنُع اتخاذ الأصنام، ولا ارتفع في هذا الزمان، وتلك البلدان إلا بفضل الإسلام. ومع هذا التهذيب والتأثير الإســلامي الإيجابي في عقائد اليهود وغيرهم، إلا أن الســموأل وجد مجالا فسيحًا لنقد عقائد اليهودية من خلال ما ورد في التوراة التي بأيدي اليهود، ومن التلمود؛ فانتقد إلحادهم في صفات الله تعالى، وتشويه اليهود للأنبياء والقدح في عصمتهم، وانتقدهم في تمســكهم بالقول بعدم جواز النســخ على الله تعالى، واتخاذهم هذا ذريعة لكفرهم بعيســى ومحمد- عليهما السلام. وسنعرض هذا في الصفحات التالية.

أولا: إلحاد اليهود في صفات الله تعالى

يقدم الســموأل نقدًا للعقيدة اليهودية فيورد عددًا من الانتقادات التي توجه للاهوت اليهودي، والتي نجدها في التوراة وحدها، ومنها ما ينســب صــفة الندم إلى الله تعالى على عمله. ففي التوراة التي بأيديهم:

(1) تنقيح الأبحاث، ص32. وانظر تأويل ابن كمونة لآيات التوراة التي تفيد التجســيم، ص33-35. وهو بمثابة رد مباشــر على ما في إفحام اليهود للسموأل.

«ورأى الله أن قد كثر فســاد الآدميين في الأرض، فندم على خلقهم، وقال: سـأُذهب الآدميَ الذي خلقتُ على الأرض والخشاش وطيور السماء؛ لأني نادم على خلقها جدا»[1].

وقالوا أيضـا: «إن الله تعالى ندم على تمليكه شـاءول على بني إسـرائيل»، وأنه قال ذلك لشموئيل[2].

وينسـبون لله تعالى أيضًـا صـفاتٍ بشـرية أخرى، مثل قولهم: إن نوحًا عليه السلام لَمَّا خرج من السـفينة، بدأ ببناء مذبح لله تعالى، وقرَّب عليه قرابين، وأن الله تعالى اسـتنشـق رائحة القُتار[3]. فقال الله تعالى في ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسـبب الناس؛ لأن خاطر البشـر مطبوع على الرداءة، ولن أهلك جميع الحيوان كما صنعت»[4].

ويمتد نقد السموأل إلى ما في صلاة اليهود من ألفاظ لا تليق بجلال الله تعالى، مثل قولهم في صلاتهم:

«لِمَ تقول الأمم أين إلههم؟ انتبه. كم تنام يا رب؟ ا ستيقظ من رقدتك». فنسبوه إلى الغفلة، والرقود، والنوم.

---

(1) سفر التكوين 5-7: 6. انظر: إفحام اليهود، ص133-135.

(2) سفر صموئيل الأول 10، 35: 15. وفي سفر العدد 9: 23 «ليس الله برجل فيكذب، ولا ابن الإنسان فيندم».

(3) القتار: الدخان من المطبوخ وزنـًا ومعنًى (المصباح المنير).

(4) انظر: سفر التكوين 20-22: 8.

وفي هذه الصلاة يقولون أيضا: «يا إلهنا وإله آبائنا. املك على جميع أهل الأرض؛ ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قدْ مَلَكَ، ومملكته في الكلِّ متسلطة».

ويقولون في هذه الصلاة أيضًا: «وسيكون لله تعالى الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله تعالى واحدًا، واسمه واحدًا»[1].

ويعنون بذلك أنه لا يظهر الملك لله تعالى إلا إذا صارت الدولة لليهود؛ الذين هم صفوته وأمَّته. فأما مادامت الدولة لغير اليهود، فإنه ﷻ خامل الذكر عند الأمم، مطعون في ملكه. مشكوك في قدرته.

وهؤلاء إنما أقدموا على هذه الكفريات من شدة ضجرهم من الذل والعبودية، وانتظار فرجٍ لا يزداد منهم إلا بعدًا. فأوقعهم ذلك في الكفر والتزندق، الذي لا يستحسنه إلا أمثالهم. وتجرَّءوا على الله ﷻ بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم يُنَخونه بذلك؛ لِيَنْتَخِيَ لهم؛ ويَحْمِى لنفسه. فكأنهم يخبرونه ﷻ بأنه قد اختار الخمول لنفسه ولأحبابه، ولأبناء أنبيائه. فينَخُّونه للنباهة، واشتهار الصيت[2].

(1) في المزامير من ذلك كثير، ومنها مزمور 78: 65 «فاستيقظ الرب كنائم. كجبار معيط من الخمر».

(2) إفحام اليهود، ص127-131.

ويحاول ابن كمونة- أخزاه الله- تأويل ما ورد في ذلك في التوراة، كما تفعل بعض الفرق الإسلامية، مثل الأشعرية، والماتريدية في بعض الصفات الإلهية موهمة التشبيه- كاليد والعين. فيقول: إن استنشاق الله قُتار القرابين هو كناية عن تقبلها، كما يقال: سمع الله دعاءه بمعنى تقبَّله.

ومن الواضح أن دفاع ابن كمونة ضعيف؛ إذ إن قبول الله الدعاء يقتضي سماعه إياه. أما تقبله القرابين، فلا يقتضي رسم صورة بشرية شهوية له، وهو يتشمم رائحة الشواء، منتقلا من عليائه إلى المذبح، حيث القرابين!

وأما ندم الرب برأي اليهود، فيتأوله ابن كمونة- أخزاه الله- بقوله:

«ومن يفعل ما يفعله النادم منَّا، يُسمَّى نادمًا بالمجاز. وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بأن الله تعالى لا يصح عليه الندم، فلابد من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه؛ وذاك أنه لمَّا أهلك الله تعالى الخلائق بالطوفان، أخبر قبل ذلك أنه يُهلكهم، وعبَّر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم، تمثيلا بمن يندم على شيء فعله»[1].

(1) تنقيح الأبحاث، ص34.

ويظهر التكلف جليًا في محاولة ابن كمونة تأويل الندم، ولكنه لا يمل محاولة نفي التشبيه عن اليهود. ويريد توكيد أن معتقدهم نفي التشبيه، وإن شذ منهم مَن يُخالف، فلا عبرة به. ويَدَّعِي أن ما ورد في توراتهم وكتب أنبيائهم وأحبارهم مما صُرِّح فيه بالتشبيه، فإنه قد ورد عند المسلمين أضعاف ذلك، مما هو أصرح بالتشبيه، ولاسيما في كتب الحديث[1].

والدراسات الحديثة تصبُّ نقدها على ما نسبه اليهود من صفات لله تعالى، وأنهم صوروا إلههم «يَهْوَه» جبارًا عبوسًا، وطاغوتا ما انفك يطالب بالقرابين والُمحْرَقات والدم. ويقارن جوستاف لوبون بين الله (إله المسلمين)، ويَهْوَه (إله اليهود) قائلا:

«والله في سموه وجلاله وروحه، هو خلاف يَهْوَه الضاري، الذي لم يكن بغيرته وهزال انتقامه غير أخ صغير لِمُوْلَك، وكاموش»[2].

ويرجع لوبون هذا الأمر إلى تأثر اليهود في ديانتهم بالأديان الوثنية التي كانت محيطة بهم، وخصوصًا الأكاديين والفينيقيين. بل إنهم عبدوا آلهة الشعوب المجاورة لهم، فعبدوا البعل، والعشتاروت. وكلها ذات صفات بشرية[3].

(1) تنقيح الأبحاث، ص99-100.

(2) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص66.

(3) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص66.

ونجد في التوراة مصداق ذلك واضحًا؛ إذ ينسبون إلى بيت يعقوب نفسه عبادة الأصنام في النص التالي:

«فقال يعقوب لبيته، ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا، وأبدلوا ثيابكم. ولنقمْ ونصعد إلى بيت إيل ... فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم، والأقراط التي في أذانهم، فطمرها يعقوب»(1).

وبعد موسى مباشرة، عبد بنو إسرائيل الآلهة الوثنية، فقال لهم يشوع:

«فالآن اخشوا الرب، واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر الأردن وفي مصر، واعبدوا الرب»(2).

ومن الغريب أنهم نسبوا إلى سليمان عليه السلام عبادة هذه الآلهة، فكتبوا في التوراة: «فذهب سليمان وراء عَشْتورت إلاهة الصيدونيين، ومَلْكوم رجس العمونيين ... حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكَمُوش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمُولَك رجس بني عمون»(3).

(1) التكوين 2-4: 35.

(2) يشوع 14: 24. وانظر: سفر القضاة، الإصحاح الثالث.

(3) سفر الملوك الأول 5-7: 11.

ويطيب للمؤرخ «وول ديورانت» أن يسخر من هذه الصورة البشرية لإله اليهود؛ فقد صاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهًا صارمًا، ذا نزعة حربية، صعب المراس[1]. ثم جعلوا لهذه الصفات حدودًا تكاد تبعث «الحب» في القلوب: ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء، وشاهد ذلك أنه يطلب من اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يُهلك أبناءهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين[2]؛

(1) الخروج 3: 15.
(2) الخروج 12-13: 12.

لذلك لا يرى أنه معصــوم من الخطأ، ويرى أن أشــنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان؛ ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم(□)، وعلى ارتضائه أن يكون شاءول ملكا(□)؛ وتراه من حين إلى حين شَرِها غضوبًا متعطشًا للدماء(□)، متقلب الأطوار، نَزِقا نَكِدًا: «أتراءف على من أتراءف. وأرحم من أرحم»(□). وهو ير ضى عمَّا ا ستخدمه يعقوب من ختل وخداع في الانتقام من «لابان»(□). وهو في حين لا يـ سمح أن يروا منه إلا ظهره(□). وق صارى القول: إنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا(□).

ثانيًا: تشويه اليهود للأنبياء

انتقد السموأل اليهود في بعض ما قالوه عن نفر من الأنبياء: موسى، وعيسى، وداود، ولوط، ومحمد- عليهم الصلاة والسلام.

---

(1) التكوين 5-7: 6.
(2) صموئيل الأول 10-11: 15.
(3) تثنية 10-18: 20.
(4) الخروج 19: 20.
(5) التكوين 30، 31.
(6) الخروج 21-23: 33.
(7) قصة الحضارة 2/ 340، 372.

ومن قدح اليهود في الأنبياء يأتي السموأل بما نسبوه للتوراة؛ أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها، ونجَّى لوطا بابنتيه فقط، ظن ابنتاه أن الأرض قد خلتْ ممن يستبقين منه نسلا. فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا شيخ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البشر، فهلمِّي نسقى أبانا خمرًا، ونضاجعه لنستبقى من أبينا نسلا: ففعلتا ذلك بزعمهم.

فنسبوا لوطا النبي ﵇ إلى أنه سكر، حتى لم يعرف ابنتيه، ثم وطئهما، وأحبلهما، وهو لا يعرفهما. فولدت إحداهما ولدًا أ سمته «موآب»، يعنى أنه من الأب. والثانية سمت ولدها «بني عمِّي»، يعني أنه من قبيلها[1].

وينتقل السموأل إلى قصة أعجب من هذه، وهي ما عندهم في التوراة أيضًا؛ من أن يهوذا بن يعقوب النبي زوَّج ولدَه الأكبر امرأة يقال لها «ثامار»، فكان يأتيها مستدبرًا، فغضب الله تعالى من فعله، فأماته، فزوجها يهوذا ولده الآخر، فكان إذا دخل بها أنزلَ على الأرض، علمًا منه بأنه إن أولدها كان أول الأولاد مدعوًا باسم أخيه، ومنسوبًا إلى أخيه. فكره الله تعالى ذلك من فعله، فأماته أيضًا. فأمرَها يهوذا باللحاق ببيت أبيها إلى أن يكبر ولده «شيلا»، ويُتم عقله، حذرًا من أن يصيبه ما أصاب أخويه، فأقامت في بيت أبيها.

(1) إفحام اليهود، ص147-148. والقصة في سفر التكوين 30-38: 19.

ثم ماتت من بعدُ زوجةُ يهوذا. وصــعد إلى منزل يقال له «تمناث» ليجزَّ غنمه، فلمَّا أُخبرت المرأُة ثامارُ بإصعاد حموها إلى المنزل، لبست زي الزواني، وجلست في مستشرف على طريقه؛ لعلمها بشَبَقه. فلما مَرَّ بها خالها زانية، فراودها، فطالبته بالأجرة، فوعدَها بجدي، ورهن عندها عصاه وخاتمه، ودخل بها، فعلقت منه.

فلما أُخبر يهوذا أن كِنَّتَه عَلِقَتْ من الزنا، أَذِنَ بإحراقها، فبعثتْ إليه بخاتمه وعصاه. فقالت: مِنْ رَبِّ هذين أنا حامل. فقال: صدقتِ، ومِنِّي ذلك.

واعتذر بأنه لم يعرفها، ولم يســتحل معاودتها، ولا تســليمها إلى ولده، وعلقتْ من هذا الزنا بفارص. قالوا: ومن ولده داود النبي. ومن نسل داود النبي يكون مسيحهم المنتظر[1]!

ففي ذلك من نسبتهم الزنا والكفر إلى بيت النبوة ما يقارب ما نسبوه إلى لوط عليه السلام. وهذا كله عندهم وفي نص كتابهم. وهم يجعلون هذا نســبًا لداود وســليمان- عليهما الســلام، ولمسيحهم المنتظر! بل إنهم ينسبون سليمان عليه السلام إلى تعليم السحر وممارسته، وأنه كان ملكا ساحرًا. على الرغم من أن أباه داود عندهم كان ملكًا مسيحًا لله[2].

(1) لفق النصارى نسبة المسيح إلى داود في إنجيل متى 1-16: 1.

(2) إفحام اليهود، ص52-155. وقصة يهوذا في سفر التكوين 12-30: 38. وما ذكروه عن سليمان في سفر الملوك الأول 1-13: 11.

ويورد السموأل أيضًا بعض ما كان من اليهود مع عيسى عليه السلام؛ إذ اختلفوا في أمره بما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره. فمنهم من يقول: إنه كان رجلا منهم، ويعرفون أباه وأمه[1]. وينسبونه لزانية! وحاشاه، وحاشا أمه الطاهرة الصِّدِّيقة البتول.

ومن اليهود من ادَّعى أن أبا عيسى إنما كان يوسف النجار.

ومن اليهود من يزعم أن عيسى كان من العلماء بالطب، وأنه كان يداوي المرضى بالأدوية، ويوهمهم أن الانتفاع إنما حصل لهم بدعائه، وأنه كان قد عرف اسم الله الأعظم، يُسَخِّر به كثيرًا من الأشياء[2].

وقد دافع الإسلام عن عيسى من أقوال أعدائه اليهود في حقه وحق أمه؛ فأنزله بأشرف المنازل، وآمن به وصدقه، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروح منه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة، سيدة نساء العالمين في زمانها. وقرر معجزات المسيح وآياته،

(1) في إنجيل مرقس (3: 6) أن اليهود قالوا: «أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب، ويوسى، ويهوذا، وسمعان؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا؟».

(2) إفحام اليهود، ص103-108.

وأخبر بتخليد من كفر به في النار، وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسـوله ونزهه وصـانه أن ينال إخوان القردة منه، بل رفعه إليه مؤيدًا منصـورًا، لم يشـكه أعداؤه بشـوكة، وأسـكنه سـماءه، وسـيعيده إلى الأرض؛ ينتقم به من مسـيح الضـلال وأتباعه، ثم يكسـر به الصـليب، ويقتل به الخنزير، ويُعْلِي به الإسلام[1].

ومن جانب آخر، ينتقد السموأل اليهود في كفرهم بمحمد ﷺ، حيث ادعوا أنه رأى أحلامًا تدل على أنه صـاحب دولة، فسـافر إلى الشـام في تجارة لخديجة، واجتمع هناك بأحبار اليهود، وقصَّ عليهم أحلامه، فعلموا أنه صـاحب دولة، فأصـحبوه عبد الله بن سـلام، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة. ونسبوا الفصاحة والإعجاز اللذين في القرآن إلى عبد الله بن سلام. وأن من جملة ما دبره عبد الله بن سلام: أن الزوجة تحل للمطلق ثلاثا بعد أن ينكحها رجل آخر؛ ليجعل أولاد المسلمين «مَمْزيريم»: أولاد زنا؛ لأن شرعهم: أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت زوجًا غيره، فأولادهما أولاد زنا.

وليس بمسـتنكر من أمة قدحت في معبودها وإلهها، ونسـبته إلى ما لا يليق بعظمته وجلاله، ونسبت أنبياءه إلى ما لا يليق بهم، ورمتهم بالعظائم أن ينسبوا محمدًاﷺ وبجَّل وكَرَّم وعظَّم- إلى ذلك. وقد كانوا يتنوعون بأنواع الحيل والكيد والمكر عليه وعلى أصحابه والله سبحانه يرد ذلك كله عليهم. وأرادوا قتله مرارًا، والله تعالى يُنجيه من كيدهم.

(1) هداية الحيارى، ص250. وانظر: إغاثة اللهفان 2/ 320.

وكانوا يعاهدونه ﷺ ويصالحونه. فإذا خرج لحرب عدوه نقضوا عهده؛ فقاتلهم وأجلاهم من ديارهم وأموالهم؛ وسبى ذراريهم ونساءهم. ولا يمكن لأحدهم مع هذا أن يؤمن بنبوة موسى عليه السلام إن لم يؤمن بنبوة محمدﷺ [1].

أما عن عبد الله بن سلام، فإنه أسلمَ حين مقدم النبي ﷺ المدينة لمَّا رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها، وشاهدها فيه، وترك الأغراض التي منعت المغضوب عليهم من الإسلام؛ من الرياسة؛ والمال؛ والجاه بينهم.

وهذه القصص التي عرضها، نراها مشتهرة بين من كتبوا في نقد التوراة من علمائنا قديمًا وحديثا.

ولا يمكن في عقيدة المسلمين أن يقع من أحد من الأنبياء كفر أو شرك.

ويحاول الهالك: ابن كمونة اليهودي تبرير ورود مثل هذه القصص في التوراة فيقول:

(1) إفحام اليهود، ص146-147.

«إنا لا نُسَــلِّم أن قصــة آدم، ولوط، ويهوذا، ممتنعة الوقوع عند العقل، ولاســيما في ذلك الشهوات؛ فإن الشهوات تختلف بحسب الأزمنة، وما يُستبعد وقوع مثله في زمان، لا يستبعد في آخر».

ثم يضيف: «وما من قصة مذكورة في التوراة إلا لفائدة ضرورية في الشريعة؛ إما لتصحيح رأي؛ أو عمل من الأعمال المهمة في انتظام الاجتماع، أو غيره»[1].

ولم يحاول ابن كمونة أن يُفَصِّــل هذا الكلام المجمل، ولا أن يُبيِّن لنا: كيف يســتســيغه العقل؟ وما هي الحكمة، أو الفائدة من قصص تنسب للأنبياء شرب الخمر، والزنا، واللعن، والكذب، والخيانة، وقبح الســيرة؟ وهذه الشــرور التي تنســب للأنبياء تضــعف الثقة بهم، وتجعلهم أشرارًا مضلين، لا راشدين، ولا مرشدين. فأين الحكمة من إرسالهم؟ بل نجد ابن كمونة ينفي العصــمة بكل جرأة عن داود وسـليمان، ويُجَوِّز عليهم الخطأ، بزعم أنهما لم يكونا من المرسلين، ولكن كانا من النبيين فقط[2].

(1) تنقيح الأبحاث، ص35، 37.

(2) تنقيح الأبحاث، ص47.

ويحكم جوستاف لوبون على بعض قصص التوراة بأنها خرافية، لا يُزعم صدقها، ولا يُبالى فيها بالغلط التاريخي، ولا غاية لها سوى افتتان القارئ. ويصفها أيضًا بأنها أقاصيص داعرة ضارية. وبدلا من تعليم أسمى مبادئ الأخلاق تجد تاريخًا من العهارة والقبح، ومن حيل يعقوب، وزناء بنات لوط، وسفاح داود، والبغاء في المشارف، وضروب التقتيل بلا رحمة، وما إلى ذلك من أنباء ذلك الشعب المتوحش التافهة[1].

ثالثا: اليهود بين حظر النسخ وتبديل الشريعة

النسخ في الإسلام خاص بالأحكام المطلقة غير المؤقتة، وغير المؤبدة، فالحكم المؤبد لا يُنسخ. وكذلك الحكم المؤقت لا يعد منسوخًا إذا تغير، أو انتهت مدته[2].

ومثال الحكم المطلق: حكم شرب الخمر، وأكل الشحوم، والجمل، والأرنب، وذي الوبر في التوراة[3]. إذ غيَّر الإسلام حكمها، أي نسخ هذا الحكم السابق في التوراة، فحرم الخمر قليلها وكثيرها، وأباح أكل الشحوم والجمل والأرنب وغيرها[4].

(1) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص22.

(2) انظر: إظهار الحق، ص643 وما بعدها.

(3) من المطاعم المحرمة في التوراة: «إلا هذه فلا تأكلوها، مما يَجْتَرُّ، ومما يشق الظِلْفَ المنقسم، الجمل والأرنب والوبر؛ لأنها تجتر، لكنها لا تشق ظلفا، فهي نجسة لكم» (تثنية 7: 14).

(4) يبين القرآن عددًا من المحرمات على اليهود التي أحلتها شريعة الإسلام في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام:146].

ويعتقد اليهود أن موسى كان يتدين بدوام شريعته، وأنها لا تُنسخ أبدًا، وأن هذه الشريعة الموسوية لم تنسخ الشريعة التي أمر الله بها الأمم من لدن آدم ونوح- عليهما السلام، بل أكدت الوصية بها، وزاد الله عليها ما خصَّ به بني إسرائيل دون غيرهم من الأمم، وخصص سبط لاوي- ولاسيما هارون ونسله- بفرائض وتكاليف غير لازمة لسائر بني إسرائيل(1).

ومعنى النسخ عند النصارى مختلف؛ إذ يعنى إزالة القديم المعيب الناقص- بالكامل، ويوضح هذا ما قاله بولس في رسالته إلى العبرانيين:

«فإنه يصير إلى إبطال الوصية السابقة [أي التوراة]. من أجل ضعفها، وعدم نفعها»(2).

وقول بولس أيضًا: «فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب، لما طُلب موضع لثانٍ... فإذا قال جديدًا، عتَّق الأولَ. وأما ما عَتَقَ وشاخ، فهو قريب من الاضمحلال»(3).

فالتوراة عندهم ضعيفة، عديمة النفع ومعيبة، وقريبة من الاضمحلال.

(1) تنقيح الأبحاث، ص25، 49.

(2) الرسالة العبرانية 18: 7.

(3) الرسالة إلى العبرانيين 7، 13: 8.

وعلى الرغم من أن النسخ يلحق بباب الأحكام لا العقائد، إلا أنه هنا يمكن لنا أن نسلكه في باب العقائد؛ ذلك لأن اليهود تعلقوا بالقول بحظر النسخ على الله تعالى، وتابعهم على ذلك النصارى، حتى صار عقيدة قائمة من عقائدهم، على الرغم من أنهم اضطربوا فيه. وهو في حقيقته راجع إلى ظنهم بأن النسخ مخالف لنفي البداء عن الله تعالى. أي أن الأمر يدور أساسًا في محور العقيدة في الله وصفاته، بل إننا نجد اليهود نقلوا القول بحظر النسخ من مجال الشريعة إلى مجال الاعتقاد فعلا؛ بأن امتنعوا عن قبول نبوة من أتى من الأنبياء ناسخًا شيئا مما هم عليه.

والسموأل نراه يجادل اليهود في دعواهم عدم جواز النسخ في الشرائع، ويحاججهم من عدة أوجه[1]. يقول محاجًا اليهود:

«فإن قالوا: إن التوراة حظرت أمورًا كانت مباحة من قبل، ولم تأتِ بإباحة محظور، والنسخ المكروه هو إباحة المحظور؛ لأنه من أبيح له شيء فامتنع عنه، وحظره على نفسه فليس بمخالف، وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه؛ لاستباحته المحظور»[2].

(1) إفحام اليهود، ص86-89.

(2) إفحام اليهود، ص88.

وجواب السموأل على ما تقدم هو:

«إنَّ مَن أحلَّ ما حظره الشرع، في طبقة المُحرِّم لما أحلَّه الشرع؛ إذ كل منهما قد خالف المشروع، ولم يقرأ الكلمة على معاهدها. فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام ومَنْ تقدمه على استباحته، فجائز أن تأتى شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظورا».

ويذكر السموأل وجها آخر للرد عليهم، هو أن المحرم لعينه يحرم في كل وقت، كالسبت مثلا لم يحرم لعينه، فلم يحرم على نوح وإبراهيم(1).

أوجه إثبات النسخ:

ينتقل السموأل إلى عرض عدد من الأوجه لإثبات النسخ؛ إلزامًا لليهود من التوراة؛ أو حجاجًا عقليًا محضًا، كالتالي(2):

(1) المرجع السابق، ص88-89.

(2) إفحام اليهود، ص86-89، 93-94.

الوجه الأول:

يقال لهذه الأمة الغضبية: هل تقرون أنه كان قبل التوراة شريعة، أم لا تقرون بذلك؟

فهم لا ينكرون أن يكون قبل التوراة شريعة[1].

فيقال لهم: فهل رفعتِ التوراة شيئا من أحكام تلك الشرائع المتقدمة، أم لا؟ فإن قالوا: لم ترفع شيئا من أحكام تلك الشرائع، فقد جاهروا بالكذب والبَهْت. وإن قالوا قد رفعت بعض الشرائع المتقدمة، فقد أقروا بالنسخ قطعًا.

الوجه الثاني:

وأيضًا يقال للأمة الغضبية: هل أنتم اليوم على ما كان عليه موسى عليه السلام؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: أليس في التوراة أن من مسَّ عظم ميت، أو وطئ قبرًا، أو حضر ميتا عند موته، فإنه يصير من النجاسة بما لا مخرج منه، إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها[2]؟ فلا يمكنهم إنكار ذلك.

فيقال لهم: فهل أنتم اليوم على ذلك؟

(1) استدل السموأل على أنه كان قبل التوراة شريعة مما ورد في سفر التكوين (6: 9) أن الله شرع لنوح القصاص في القتل، ونصه: «سافك دم الإنسان، فليُحكم بسفك دمه؛ لأن الله تعالى خلق الآدمي بصورة شريفة».

(2) انظر: سفر العدد 16: 19 وما بعدها.

فإن قالوا: لا نقدر عليه. فيقال لهم: لم جعلتم أن مَن مَسَّ العظم والقبر والميت طاهرًا يصلح للصلاة، والذي في كتابكم خلافه؟

فإن قالوا: لأنا عدمنا أسباب الطهارة، وهي رماد البقرة، وعدمنا الإمام المطهِّر المستغفر.

فيقال لهم: فهل أغناكم عدمه عن فعله، أو لم يغنكم؟

فإن قالوا: أغنانا عدمه عن فعله.

قيل لهم: قد تبدل الحكم الشرعي من الوجوب إلى إسقاطه لمصلحة التعذر.

وهذا العرض من السموأل، نجد الهالك: ابن كمونة وكأنه كان يرد عليه وهو يقول: إن للنجاسة ثلاثة معان عندهم في العبرانية. فتطلق على العصيان، وعلى القذارات، وعلى المعاني المتوهمة.

وعلى هذا المعنى الأخير، يريد ابن كمونة أن يحمل ما أتى في التوراة عن نجاسة من مسَّ عظم ميت، أو وطئ قبر ميت، أو حضر ميتا عند دفنه. ويرى أنها لا تمنع من الصلاة، وحمل المصحف. ويغفل ابن كمونة أن التوراة تقول في عقوبة من لم يتطهر من هذه النجاسة:

«وأما الإنســـان الذي يتنجس ولا يتطهر، فَتُباد تلك النفس من بين الجماعة؛ لأنه نجَّس مَقْدِسَ الربْ»[1].

ومعنى هذا أن ابن كمونة يُجادل بالباطل؛ لأن قتل المتنجس هنا- أي حكم التوراة- لا يعنى أن النجاسة معنىً متوهَما، ولكنها نجاسة حقيقية. والغريب أن كل ما قاله ابن كمونة بعيد عن أصل المشكلة التي كان يجب عليه أن يعالجها، وهو أنهم تركوا ترتيب التطهر الذي شرعته التوراة، وهو رماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها. وهذا الترك هو عين نسخهم لدينهم.

ومن جانب آخر، نرى ابن كمونة اليهودي يعترف بأنهم نســخوا في دينهم على مقتضــى مصــلحة أوجبتها أحوال خاصــة، فأبطلوا بعض شــريعة التوراة على شــريطة ألا يســتمر ذلك الإبطال، وهذا الإبطال المؤقت هو النســخ بعينه الذي يقول به المســلمون، ومهما حاول ابن كمونة تبريره بأنهم يتبعون في ذلك الأنبياء المتبعين لشــريعة موســى، وأن التوراة أمرت باتباع هؤلاء الأنبياء، فلا حجة له فيما قال؛ فالنسخ له مفهوم محدد في كل الأذهان[2].

(1) سفر العدد 19/ 20.

(2) تنقيح الأبحاث، ص46-47.

الوجه الثالث:

قالت الأمة الغضبية: التوراة قد حظرت أمورًا كانت مباحة من قبل، ولم تأتِ بإباحة محظور. والنسخ الذي ننكره ونمنع منه هو ما أوجب إباحة محظور؛ لأن تحريم الشيء إنما هو لأجل ما فيه من المفسدة، فإذا جاء مَنْ أباحه علمنا بإباحة المفسدة أنه غير نبي، بخلاف تحريم ما كان مباحًا، فإنا نكون متعبدين بتحريمه.

قالوا: وشريعتكم جاءت بإباحة كثير مما حرمته التوراة، مع أنه إنما حُرِّم لما فيه من المفسدة.

والردَّ على هذه الشبهة: هو أن إباحة الشيء في الشريعة تابع لعدم مفسدته، إذ لو كان فيه مفسدة راجحة لم تأت الشريعة بإباحته، فإذا حرمته الشريعة الأخرى وجب قطعًا أن يكون تحريمه فيها هو المصلحة، كما أن إباحته في الشريعة الأولى هو المصلحة[1]. فإذا جاز أن تأتى شريعة التوراة بتحريم ما كان إبراهيم ومَنْ تقدمه يستبيحه[2]، فجائز أن تأتى شريعة أخرى بتحليل بعض ما كان في التوراة محظورًا.

وإذا أردنا أن نورد شاهدًا واضحًا من التوراة على النسخ بتحليل محرم، نجد في سفر الأحبار:

(1) يرد الباقلاني ردا عقليا لإثبات أن المصلحة والمفسدة متغيرة من وقت لآخر. فيقول: «ليس يمتنع أن يكون مثلُ الصلاح في وقت فسادا في وقت آخر، ومثلُ الطاعة في وقت معصية في وقت آخر. ومثل الحَسَن في وقت قبيحًا في غيره. ألا ترى أن الأكل والشرب والعلاج بالكي طاعة، حسن= =صواب مصلحة عند العطش والجوع وحدوث الأمراض المقتضية للعلاج. وفعلُ ذلك أجمع عند الشبع والري والصحة والغنى عن التداوي- قبيح وسفه ومعصية لله ﷻ» (التمهيد، ص145).

(2) نكاح العمة والأخت والجمع بين الأختين كان مباحا قبل التوراة، ثم نُسخ في شريعة موسى ﵇، وقد تقدم أن آدم كان يزوج الأخ أخته، وأن إبراهيم تزوج أخته سارة. والدليل على أن زواج العمة كان مباحًا، أن عمران تزوج عمته يوكابد كما في سفر الخروج (20: 6): «وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى». وهذا الزواج حرام لقوله في سفر الأحبار (12: 8): «عورة أخت أبيك لا تكشف، إنها قريبة أبيك». وقد جمع يعقوب ﵇ بين الأختين في نكاح صحيح، على ما في سفر التكوين (30-21: 29). إذ تزوج ليئة وراحيل ابنتي خاله لابان. وحرمت ذلك التوراة الموسوية، ففي سفر الأحبار (18/ 18): «ولا تأخذ امرأة على أختها للضِّر لتكشف عورتهما معهما في حياتهما». وسيأتي بعد سطور شاهد من التوراة على تحليل ما كان محظورًا.

«أيما رجل من بني إسـرائيل ذبح ثورًا، أو خروفًا، أو عنزًا في المحلة، أو ذبح خارجًا من المحلة، ولا يأتي بقربانه إلى باب قبة الزمان ليقربه قربانا للرب، فليُحسـب على ذلك الرجل سفك دم من أنه أَهْرَق دمًا، ويهلك ذلك الرجل من شعبه»[1].

وفي سـفر التثنية: «فأما إن شـئت تأكل، وتسـتلذ بأكل اللحم، فاذبح وكُلْ، كالبركة التي أعطاك الرب إلهك في قراك... وإذا أوسـع الرب إلهك تخومك- مثلما قال لك، وأردت أن تأكل اللحم وما تشـتهيه نفسـك، وكان بعيدًا المكان الذي اصـطفاه الرب إلهك ليكون اسـمه هناك، فاذبح من البقر والغنم الذي لك- كما أمرتك. وكلْ في قراك كما تريد، كما يؤكل من الظبي والأيل، هكذا تأكل منها، فيأكلوا منها جميعًا، كان طاهرًا، أم غير طاهر»[2].

وينقل الشـيخ رحمت الله الهندي هذا الشـاهد- كما أوردناه- في «إظهار الحق»، ثم يُبين أن حكم سفر الأحبار، نُسخ بحكم سفر التثنية. وحكم سفر الأحبار المنسوخ هو وجوب الذبح في المذبح المخصـص عند قبة الزمان، وهي خيمة الاجتماع. وحكم سـفر التثنية الناسـخ هو جواز الذبح في كل مكان. فما كان واجبًا جاز، فتحولت الحرمة أيضًا إلى الإباحة.

---

(1) الأحبار 3-4: 17.

(2) التثنية 20-22: 12.

وينقل الشـيخ رحمت الله في هذا الموضـع نفسـه، عن أحد علماء الكتاب المقدس، ويدعى «هورن»، في تفسيره لهذه الفقرات قوله: «نسخ موسى في السنة الأربعين من هجرتهم قبل دخول فلسطين ذلك الحكم (أي حكم سفر الأحبار)، بحكم سفر التثنية نسخًا صريحًا. وأمر أنه يجوز لهم بعد دخول فلسطين أن يذبحوا البقر والغنم في أي موضـع شـاءوا، ويأكلوا»[1].

الوجه الرابع:

ويقال أيضًا: لا يخلو المحرَّم إما أن يكون تحريمه لذاته وعينه، بحيث تمنع إباحته في زمان من الأزمنة، وإما أن يكون تحريمه لما تضـمنه من المفسـدة في زمان دون زمان، ومكان دون مكان، وحال دون حال.

فإن كان **الأول**، لزم أن يكون ما حرمته التوراة محرمًا على جميع الأنبياء في كل زمان ومكان، من عهد نوح إلى خاتم الأنبياء- عليهم السلام.

(1) انظر: إظهار الحق، ص671-672.

وإن كان **الثاني** ثبت أن التحريم والإباحة تابعان للمصـالح، وإنما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والحال، فيكون الشيء الواحد حرامًا في ملة دون ملة، وفي وقت دون وقت، وفي مكان دون مكان، وفي حال دون حال. وهذا معلوم بالا ضطرار من الـ شرائع، ولا يليق بحكمة أحكم الحاكمين غير ذلك. ألا ترى أن التحريم للسـبت لو كان لعينه، لكان حرامًا على إبراهيم ونوح وسـائر النبيين؛ وكذلك ما حرمته التوراة من المطاعم والمناكح وغيرها، لو كان حرامًا لعينه وذاته، لوجب تحريمه على كل نبي وفي كل شريعة.

الوجه الخامس:

ويتعجب السموأل بحق من أن هذه الأمة تحجر على الله تعالى أن ينسخ ما يشاء من شرائعه، وهم قد تركوا شـريعة موسـى عليه السلام في أكثر ما هم عليه، وتمسـكوا بما شـرعه لهم أحبارهم وعلماؤهم.

ويضـرب السـموأل أمثلة بما أحدثوه في صـلواتهم وصـيامهم، فمن ذلك أنهم يقولون في صلاتهم ما ترجمته هكذا: «اللهم ا ضربْ ببوق عظيم لِعِتْقِنا[1]. واقبِضْنا جميعًا من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك. سبحانك يا جامع شتات قوم إسرائيل»[2].

(1) إفحام اليهود، ص97 وما بعدها.

(2) إفحام اليهود، ص96-97.

ويقر ابن كمونة بطاعة اليهود لعلمائهم وحكامهم فيما هو «زيـــادة» علـــى ما فرض في التوراة، ويســتند في ذلك على أن التوراة أمرت بطاعة هؤلاء. ويســرد بعض العقائد اليهودية الغريبة، مثل اعتقادهم أن هؤلاء الأئمة والحكام مؤيدون بسكينة الله، وإن لم يكونوا من الأنبياء فقليلا ما فارقتهم النبوة، أو ما يقوم مقامها من سماع كلام لا يعلم قائله، يسمى بالعبرانية: «بث قول»، وغير ذلك. و ما زادوه على ما فرض في التوراة أنه كان بوحي من الله، وذلك ممكن عنده[1].

وقد شدد السموأل النكير على اليهود الذين يعتقدون هذا، وو صفهم بأنهم كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موســى، وأنهم أصــحاب حماقات ورقاعات، منها زعمهم أن الفقهاء منهم يدَّعون أنهم إذا اختلفوا في مسألة، يوحى الله إليهم بصوت يسمعونه: «الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان». وأن هؤلاء الفقهاء حصــروا أتباعهم في مثل ســم الخياط، بما وضــعوا لهم من التشديدات والآصار والأغلال، المضافة إلى الآصار والأغلال التي شرعها الله عقوبة لهم[2].

(1) تنقيح الأبحاث، ص47.

(2) إفحام اليهود، ص171-175.

الوجه السادس:

تعطيل اليهود بعض أحكام التوراة. وقد تضمنت التوراة أوامر كثيرة جدًا، هم مجمعون على تعطيلها وإلغائها، فإما أن تكون منسوخة بنصوص أخرى من التوراة، أو بنقل صحيح عن موسى عليه السلام، أو باجتهاد علمائهم، وعلى التقادير الثلاثة تبطل شبهتهم في إنكار النسخ.

وبعد هذا العرض لجهود السموأل في الرد على اليهود في مسألة النسخ، نقول: إنه كان أمام ناظريه دليلان لم يلتفت إليهما مع خطرهما- فيما نرى. والملحوظ أن كل الشواهد التي ذكرها السموأل للنسخ هي من قبيل نسخ الحكم بعد العمل به، ويظل هناك النسخ قبل العمل بالحكم، ونسخ الشريعة كلها.

فأما النسخ قبل العمل بالحكم، فدليله الذي يرد دعوى اليهود بعدم النسخ من أساسها، هو أن الله سبحانه أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده بكره، ثم نسخ هذا الحكم قبل الذبح وحال الامتثال لتنفيذ الأمر، وافتدى ولد إبراهيم بذبح عظيم[1].

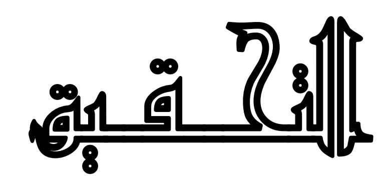
(1) انظر: سفر التكوين 1-14: 22.

وأما دليل نسخ الشريعة كلها، فقد مر بنا في بيان الأدلة على تحريف اليهود المعنوي للتوراة: أنهم حرفوا ما أتى في سفر التثنية: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به»[1].

ففي هذا النص تصريح بأن ذاك النبي المنتظر سيبلغهم أوامر الله التي عليهم أن يتبعوها. وهي بلا شك ستكون ناسخة لما سبقها.

(1) تثنية 18/ 18.

القسم الثاني



يضم هذا الكتاب أربع رسائل. ثلاث منها للسموأل:

■ **الأولى بعنوان:** «**قصة إسلام السموأل بن يحيى المغربي، ورؤياه النبي ﷺ**».

■ **والثانية بعنوان:** «**بذل المجهود في إفحام اليهود**».

■ **والثالثة** رسالة إلى السموأل وجوابها.

■ **وأما الرابعة فعنوانها:** «**الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية**»، وهي للحبر الأعظم: إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي.

الرسالة الأولى

قصة إسلام السموأل بن يحيى المغربي ورؤياه النبي



في ليلة عرفة، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة هجرية

تحقيق ودراسة

دكتور محمود النجيري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. رب يسر، وأعن يا الله!

قال **السموأل**:

بعد حمد الله، والصلاة على نبيه محمد المصطفى.

إن العناية الإلهية لتسوقه، مَنْ تسبقُ في علم الله هدايته، حتى يوجَد منه الاهتداءُ، في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى وجودُه منه فيه[1].

وأنا أذكر سبب ما وفقني الله له من الهداية، وكيف انساقت بي الحالُ منذ نشأتُ، إلي انتقالي عن مذهب اليهود؛ ليكون عبرة وموعظة لمن يقع إليه؛ ولِيعلمَ متأمله أن اللطف الإلهي أخفى من أن يُحاط بكُنْهه[2]؛ فإن الله يَخُص بفضله من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويهديه صراطا مستقيمًا.

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:125].

(2) كنهه: كنه كلِّ شيءٍ قَدْرُه، ونِهايتُه، وغايَتُه. يقال: اعْرِفْه كُنْهَ المعرفةِ. وفي بعض المعاني: كُنْهُ كلِّ شيءٍ وَقْتُه، ووَجْهُه. تقول: بلَغْتُ كُنْهَ هذا الأَمر. أَي غايَته. وفعلت كذا في غير كُنْهِه. وأَنشد شاعرنا:

وإنَّ كلامَ المَرْءِ في غير كُنْهِه لَكالنَبْلِ تَهْوِي ليس فيها نِصالُها (لسان العرب 13/ 536)

(1)

ترجمة السموأل لنفسه وقصة إسلامه

[تعريف بوالد السموأل]:

وذلك أن أبى كان يقال له: الرآب[1] **يهوذا بن آبون**، من مدينة **فاس**[2] التي بأقصى المغرب.

والرآب لقب وليس باسم. وتفسيره الحبْر.

و كان أعلم أ هل ز ما نه بعلوم التوراة، وأ قدرهم على التوسع في الإنشاء والإعجاز، والارتجال لمنظوم العبراني ومنثوره.

(1) رآب: راباي (Rabbi)، كلمة عبرية (ترد في صيغة الجمع إلا أنها تدل على المفرد؛ وذلك للتعظيم)، معناها الحرفي «سيدي»، أو «أستاذي»، وهي من كلمة «راف» العبرية ومن الجذر السامي «رب» بمعنى «سيد» (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د.عبد الوهاب المسيري. نسخة إلكترونية).

(2) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب، من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش. كان يسكنها كثير من اليهود في الزمن الماضي (معجم البلدان 4/ 230).

وكان اسمه المدعو به بين أهل العربية: «**أبا البقاء يحيى بن عباس المغربي**»؛ وذلك أن أكثر متخصصيهم يكون له ا سم عربي غير ا سمه العبري، أو مشتق منه، كما جعلت العرب الا سم غير الكُنْية[1].

وكان اتصاله بأمي ببغداد. وأصلها من البصرة.

---

(1) الكنية: هي التي يقال فيها: أبو فلان، وأم فلان من الولد. كرجل ا سمه عبد الله، وله ولد ا سمه محمد، فقلنا: يا أبا محمدِ. ولم تكن الكُنَى لشيءٍ من الأمم إلا للعرب، وهي من مفاخرها. والكُنية إعظام وما كان يُؤْهَل لها إلا ذو الشرف من قومهم، قال شاعرنا:

أكْنيه حين أُناديه لأكْرِمَه ولا ألقّبه، والسوءة اللَّقب =

=والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيرهُ العدولُ عن فعلٍ إلى فعل في نحو قوله :

(وغيض الماء وقضي الأمر)

ومعنى كَنَيْتُه بكذا: سمّيتُه به على قَصْد الإخفاء والتورية. ثم ترقَّوْا عن الكُنَى إلى الألقاب الحسنة، فقلَّ من المشاهير- في الجاهلية والإسلام- مَنْ ليس له لقب، إلا أن ذلك ليس خاصّاً بالعرب، فلم تزل الألقابُ في الأمم كلّها من العرب والعجم (المزهر في علوم اللغة 1/ 273)

[الكلام على والدة السموأل]:

وهي إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة، والكتابة بالقلم العبري. وهن بنات **إسحاق بن إبراهيم البصري الليوي**. أعني من سبط ليوي[1]، وهو سبط مضبوط النسب؛ لأن منه كان موسى عليه السلام.

وكان إسحاق هذا ذا علوم يدرسها ببغداد.

وكانت أمهن **نفيسة بنت أبي نصر الداودي**. وهذا من رؤسائهم المشاهير، وذريته إلى الآن بمصر.

(1) سبط ليوي: السبط هو القبيلة والعشيرة. و«لاوي» اسم عبري معناه «مقترن». وهو اسم أحد أبناء يعقوب من ليئة. وقد أُطلق اسمه على إحدى القبائل العبرانية، ألا وهي عشيرة موسى وهارون التي كانت لها الزعامة الدينية والاجتماعية على سائر القبائل. ويُقال لأفراد هذه القبيلة «اللاويون»، ومنهم الهارونيون الذين اضطلعوا بدور الكهنة (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية).

وكان ا سم أمي با سم أم **شموائيل** النبي عليه السلام[1]. وكان هذا النبي قد وُلد بعد أن مكثت أمه عاقرًا، لا تُرزق ولدًا، ولا تحمل عدة ســنين، حتى دعت ربها في طلب ولد، يكون ناســكًا لله. ودعا لها رجل صالح من الأئمة، يقال له: «**عيلى**». فرُزقتْ **شموائيل** النبي.

وذلك كله مشروح في أوائل سفر **شموائيل** النبي[2].

(1) اسم أم شموائيل النبي: حنة.

(2) مما جاء في سفر صموئيل الأول: «1 كان رجل من رامتايم صوفيم، من جبل افرايم، ا سمه القانة بن يروحام بن اليهو بن توحو بن صوف.هو افرايمي. 2 وله امرأتان، اسم الواحدة حنّة، واسم الأخرى فننّة. وكان لفننّة أولاد. وأما حنّة، فلم يكن لها أولاد. 3 وكان هذا الرجل يصعد من مدينته من سنة إلى سنة؛ ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه.وكان هناك ابنا عالي حفني، وفينحاس كاهنا الرب. 4 ولما كان الوقت، وذبح القانة، أعطى فننّة امرأته وجميع بنيها وبناتها أنصــبة. 5 وأما حنّة فأعطاها نصــيب اثنين، لأنه كان يحب حنّة. ولكن الرب كان قد أغلق رحمها. 6 وكانت ضرّتها تغيظها أيضا غيظا لأجل المراغمة. لأن الرب أغلق رحمها. 7 وهكذا صار سنة بعد سنة، كلما صعدت إلى بيت الرب هكذا كانت تغيظها. فبكت ولم تأكل. 8 فقال لها القانة رجلها: يا حنّة لماذا تبكين؟ ولماذا لا تأكلين؟ ولماذا يكتئب قلبك؟ أما أنا خير لك من عشرة بنين؟ 9 فقامت حنّة بعد ما أكلوا في شيلوه، وبعد ما شربوا. وعالي الكاهن جالس على الكرسي عند قائمة هيكل الرب. 10 وهي مُرّة النفس. فصلّت إلى الرب، وبكت بكاء 11 ونذرت نذرا، وقالت: يا رب الجنود! إن نظرتَ نظرا إلى مذلة أمتك، وذكرتني ولم تنس أمتك. بل أعطيت أمتك زرع بشر، فإني أعطيه للرب كل أيام حياته، ولا يعلو رأسه موسى. 12 وكان إذ أكثرت الصلاة أمام الرب، وعالي يلاحظ فاها. 13 فإن حنّة كانت تتكلم في قلبها، وشفتاها فقط تتحركان، وصــوتها لم يســمع. أنَّ عالي ظنّها ســكرى. 14 فقال لها عالي حتى متى تســكرين؟ انزعي خمرك عنك! 15 فأجابت حنّة وقالت: لا يا سيدي. إني امرأة حزينة الروح، ولم ا شرب خمرا ولا مسكرا، بل ا سكب نفسي أمام الرب. 16 لا تحسب أمتك ابنة بليعال. لأني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلمت إلى الآن. 17 فأجاب عالي وقال: اذهبي بسلام، وإله إسرائيل يعطيك سؤلك الذي سألته من لدنه. 18 فقالت لتجد جاريتك نعمة في عينيك. ثم مضت المرأة في طريقها وأكلت، ولم يكن وجهها بعد مغيّرا 19 وبكروا في الصباح وسجدوا أمام الرب ورجعوا وجاءوا إلى بيتهم في الرامة. وعرف القانة امرأته حنّة والرب ذكرها. 20 وكان في مدار السنة أن حنّة حبلت وولدت ابنا، ودعت اسمه صموئيل قائلة: لأني من الرب سألته».

[رؤيا أمِّ السموأل أنها سترزق ولدًا]:

فمكثت أمي عند أبي مدة لا تُرزق ولدًا، حتى اســتشــعرت العقم، فرأت في منامها أنها تتلو مناجاة **حنَّة** أم شموائيل لربها[1]، فنذرت أنها إن رُزقت ولدًا ذكرًا، تسميه شموائيل؛ لأن اسمها كان باسم أم شموائيل.

فاتفق أنها بعد ذلك اشتملتْ عليَّ. وحين رُزقتني دعتني **شموائيل**، وهو إذا عُرِّب: **السموأل**.

وكنَّاني أبي: **أبا نصر**، وهي كُنية جدي.

(1) وردت مناجاة حنة في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:35-36].

[العلوم التي حصَّلها السموأل]:

و شغلني أبي بالكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفا سيرها، حتى أحكمتُ علمَ ذلك عند كمال السنة الثالثة عشرة من مولدي، فشغلني حينئذ بتعلم الحساب الهندي(1)، وحلِّ الزيجات(2) عند الشيخ الأستاذ **أبي الحسن بن الدسكري**(3)، وقراءة علم الطب على الفيلسوف **أبي البركات هبة الله بن علي**(4)، والتأمل في علاج الأمراض، ومشاهدة ما يتفق من الأعمال الصناعية في الطب، والمعالجات التي يعالجها خالي **أبو الفتح بن البصري**.

(1) الحساب الهندي: هو النظام الحسابي الذي يقوم على الأعداد المعروفة، وكان الناس يحسبون قبلها بعقد اليد. وقد لفت الخوارزمي نظر علماء الحساب إلى أهمية الحساب الهندي، فقد كان العامة يستعملون حساب اليد الذي كان يتطلب منهم جهدا ذهنيا كبيرا، فاكتشف الخوارزمى أن الحساب الهندي ييسر عمليات الحساب التي تعتمد على أعداد كبيرة، لكنه وجد أن طريقة الهنود في حسابهم عليها مآخذ، وفيها عيوب، فهذبه الخوارزمى، وطوره وأشاعه في الناس، وأعطى للصفر قيمة عددية. فللهند يرجع الفضل في ابتكار الأرقام التي تستعمل اليوم في معظم أنحاء العالم، ولكن فضل العرب والمسلمين في أنهم انتشلوا النظام الحسابي الهندي من أوساط العامة، وجعلوه علما توضع فيه الكتب، ونشروه وعدلوه.

(2) الزيجات: المقصود به علم الزيجات والتقاويم، الذي به يُعرف موضع كل واحد من الكواكب السيارة، ومدة إقامتها، وزمن تشريقها وتغريبها، ومقدار رجوعها واستقامتها، وحال ظهورها واختفائها في كل زمان، وما يتصل بذلك من الاتصال والانفصال، والخسوف والكسوف، واختصاص ذلك بمكان دون مكان (صبح الأعشى 14/ 248).

(3) أبو الحسن بن الدَّسْكَري: بفتح أوله والكاف وسكون المهملة وراء، نسبة إلى الدَّسْكَرة، قرية من أعمال بغداد بطريق خراسان (لب اللباب في تحرير الأنساب 1/ 33).

(4) أبو البركات هبة الله: هو أوحد الزمان أبو البركات هبة اللّه بن علي ملكا، البلدي لأن مولده ببلد، ثم أقام ببغداد. كان يهوديًا وأسلم بعد ذلك، وكان في خدمة المستنجد بالله. وتصانيفه في نهاية= =الجودة، وكان له اهتمام بالغ في العلوم وفطرة فائقة فيها. وعاش نحو ثمانين سنة. ولأوحد الزمان من الكتب كتاب المعتبر، وهو من أجلّ كتبه، وأشهرها في الحكمة، مقالة في سبب ظهور الكواكب ليلاً، واختفائها نهاراً، اختصار التشريح، اختصره من كلام جالينوس، ولخصه بأوجز عبارة، كتاب الأقراباذين، ثلاث مقالات، مقالة في الدواء الذي ألفه المسمى بر شعثا استقصى فيه صفته و شرح أدويته، مقالة في معجون آخر ألفه وسماه أمين الأرواح، رسالة في العقل ماهيته. (عيون الأنباء في طبقات الأطباء 1/ 253).

فأما الحساب الهندي والزيج، فإني أحكمتُ علمهما في أقل من سنة، وذلك حين كمل لي أربع عشرة سنة، وأنا في خلال ذلك لا أقطع القراءة في الطب، ومشاهدة علاج الأمراض.

ثم قرأت الحساب الديواني، وعلم المساحة على الشيخ **أبي المظفر الشهرزوري**[1]. وقرأت الجبر والمقابلة أيضًا عليه.

وترددت إلى الأستاذ **أبي الحسن بن الدسكري**، و**أبي الحسن بن النقاش**[2] لقراءة الهندسة؛ حتى حللت المقالات التي كانا يحلانها من **إقليدس**[3]. وأنا في خلال ذلك متشاغل بالطب، حتى استوعبت ما عند من ذكرته من الأستاذين من هذه العلوم.

---

(1) أبو المظفر الشهرزوري: محمد بن علي بن الحسن بن أحمد، أبو المظفر الشهرزوري الفرضي، من شيوخ بغداد، ولد سنة (479هـ)، روى الحديث، وكانت له معرفة حسنة بعلم الفرائض والحساب انفرد بها في وقته، وكان ثقة من أهل الدين والخير، وكان يبيع العطر، ثم سافر إلى بلاد الموصل لدين ركبه، فبقي بها مدة، ثم خرج عنها إلى بعض ثغور أذربيجان، وتوفي بها سنة (550)هـ (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي 10/ 163. تاريخ الإسلام: الذهبي 1/ 3831).

(2) أبو الحسن بن النقاش: تلميذ أوحد الزمان هبة الله، علي بن عيسى بن هبة الله . الشيخ مهذب الدين بن النقاش البغدادي الطبيب الأديب. قدم المهذب دمشق، وطب بها، ورأس واشتغل وأشغل، واشتهر ذكره. وخدم نور الدين بالطب والإنشاء، وخدم في زمانه في مارستانه. ثم طب صلاح الدين توفي سنة (574)هـ بدمشق (تاريخ الإسلام 1/ 4047. الوافي في الوفيات: ابن خلكان 1/ 2978).

(3) إقليدس: من حكماء اليونان، صاحب كتاب الاستقصات المسمى باسمه. وكان يعيش في أيام ملوك اليونان البطالسة، فلم يكن بعد أرسطو ببعيد. وليس هو مخترع كتاب إقليدس، بل هو جامعه ومحرره ومحققه، ولذلك نسب إليه (المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء 1/ 55).

وبقى بعض كتاب **إقليدس**[1]، وكتاب **الواسـطي** في الحسـاب، وكتاب **البديع** في الجبر والمقابلة **للكرخي**[2]- لا أجد من يعرف منه شيئا، وغير ذلك من العلوم الرياضية، مثل كتاب **شجاع بن أسلم**[3] في الجبر والمقابلة، وغيره.

---

(1) كتاب إقليدس: المقصود به كتاب إقليدس وموضوعه علم الهندسة. وهو الذي عرَّبه حنين بن إسحاق العبادي، نقله من لغة اليونانيين إلى لغة العرب. وحرره تنقيحا وتهذيبا ثابت بن قرة الصابئ الفيلسوف الحراني. (البداية والنهاية: ابن كثير 11/ 85).

(2) الكَرَخِي: هو أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخى، نسبة إلى كرخ من ضواحي بغداد. عاش في بغداد أيام الوزير أبي غالب محمد بن خلف فخر الملك، وزير بهاء الدولة البويهي. ويُعدُّ الكرخي من كبار الرياضيين المسلمين، ومن أعظم الرياضيين الذين كان لهم أثر حقيقي في تقدم العلوم الرياضية. ورغم ذلك لا تتوافر عنه معلومات كافية. توجد في كتب الكرخي، لأول مرة عند العرب، حلول للمعادلات غير المحددة، كبقية المعادلات، على أساس الطرق التي اتبعها ديو فنطس. كما جاء الكرخي بحلول متنوعة لمعادلات الدرجة الثانية، وقدم بحوثاً في إيجاد الجذور التقريبية للأعداد، وبراهين للنظريات التي تتعلق بإيجاد مجموع مربعات ومكعبات الأعداد الطبيعية التي عددها. ومن مؤلفاته:

ـ «الفخري في الجبر»، سمي الكتاب بالفخري نسبة إلى فخر الملك. وقد ألفه ما بين 401 و407هـ. واشتمل على نظريات جديدة لم يسبقه إليها أحد، تدل على أصالة الكرخي في التفكير. ومنها: «أن العدد الذي لو أضيف إليه مربع لكان الناتج مربعًا، ولو طرح منه مربعه لكان الناتج مربعاً». كما استنبط الكرخي قانونا جديدًا لإيجاد الجذر التربيعي. ويقول سمث في كتابه «تاريخ الرياضيات»: إن كتاب الفخري أهم أثر في الجبر؛ وقد ترجمه المستشرق الفرنسي «فرانز ويبك ranz Woepcke» سنة (1853).

ـ «الكافي في الحساب»، ألفه ما بين 401 و407هـ، وأهداه إلى فخر الملك. ويشتمل الكتاب على مبادئ الحساب المعروفة في ذلك الوقت، وحلول متنوعة وفريدة لمعادلات الدرجة الثانية،= =وكذلك بعض القوانين والطرق الحسابية المبتكرة لتسهيل بعض المعاملات. ولم يستخدم فيه الأرقام الهندية، بل وضع الأرقام كتابة بالحروف. وقد ترجمه «هوشايم Hocheim» إلى الألمانية، ونشر في ثلاثة أجزاء ما بين سنتي 1878 و1880.

ـ كتاب «البديع في الجبر والمقابلة». أوجد الكرخي في كتابه (البديع) طرقاً جديدة لإيجاد القيم التقريبية للأعداد والكميات التي لا يمكن استخراج جذورها، واستعمل في ذلك طرقا جبرية تدل على قوة الفكر وسعة العقل ومعرفة تامة بعلم الجبر. وتوفي ما بين 420-410 هـ/ 1029-1019م. (www.isesco.org).

(3) شجاع بن أسلم: هو أبو كامل شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع الحاسب من أهل مصر وكان فاضلا حاسبًا عالمًا. وكان أول من كتب في علم الجبر أبو عبد الله الخوارزمي، وجاء بعده أبو كامل شجاع بن أسلم، في كتابه «الشامل»، وهو من أحسن الكتب فيه. وكتابه في مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة. فيه ثم جاء الناس على أثره فيه. و شرحه كثير من أهل الأندلس فأجادوا و من أحسن شروحاته كتاب القرشي. وله من الكتب أيضًا: كتاب الفلاح، كتاب مفتاح الفلاح، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب العصير، كتاب الطير، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الخطائين، كتاب المساحة والهندسة، كتاب الكفاية. (الفهرست 1/ 392. كشف الظنون 1/ 578).

[شغف السموأل بالعلم وانقطاعه للتأليف]:

وكان بي من الشغف بهذه العلوم والعشق لها، ما يُلهيني عن المطعم والمشرب، إذا فكرت في بعضها. فخلوت بنفسي في بيت مدة، وحللتُ جميع تلك الكتب و شرحتها، ورددتُ على من أخطأ مِن واضعيها، وأظهرت أغلاط مصنفيها، وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه، وأزريت(1) على **إقليدس** في ترتيب أشــكال كتابه، بحيث أمكنني إذا غيَّرتُ نظام أشــكاله أن استغنى عن عدة منها، لا يبقى إليها حاجة، بعد أن كان كتاب **إقليدس** معجزًا لسائر المهندسين؛ إذ لم يُحَدِّثوا أنفسهم بتغيير نظام أشكاله، ولا بالاستغناء عن بعضها.

كل ذلك في هذه السنة، أعنى الثامنة عشرة من مولدي.

واتصــلت تصــانيفي في هذه العلوم منذ تلك الســنة وإلى الآن. وفتح الله عليَّ كثيرًا مما ارتج على(2) من سبقني من الحكماء المبرَّزين، فدونت ذلك لينتفع به من يقع إليه.

---

(1) أزريت: الإزْرَاء التهاون بالشيء. يقال: أزْرَى به، إذا قصر به، وازْدَرَاهُ أي حقره وعابه (مختار الصحاح، ص280).

(2) ارتج عليَّ: هو من أرتجت الباب ورتجته- إذا أغلقته. وأُرْتِجَ على القارئ، إذا لم يقدر على القراءة، كأنه أطبق عليه، كما يرتج الباب، ولا تقل: ارتجَّ عليه بالتشديد (المطلع على أبواب الفقه: محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي 1/ 87).

[السموأل طبيبًا وصيدلانيًا]:

وفي خلال ذلك، ليس لي مكسب إلا بصناعة الطب. وكان لي منها أوفر حظ؛ إذ أعطاني الله من التأييد فيها ما عرفتُ به كلَّ مرض يقبل العلاج من الأمراض التي لا علاج لها، فما عالجتُ مريضًا إلا وعوفِيَ، وما كرهت علاج مريض إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء، وكفُّوا عن تدبيره.

فالحمد لله على جزيل نعمته، وعظيم فضله.

واتضح لي- بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التي بالعراق، والشام، و**أذربيجان**، و**كوهستان**[1]- الطريقُ إلى استخراج علوم كثيرة، واختراع أدوية لم أعرف أني سُبقت إليها. مثل **الدرقاق** الذي وسمتُه بالمُخَلِّص ذي القوة النافذة. وهو يُبرئ من عدة أمراض عسيرة في بعض يوم. وغيره من الأدوية التي ركَّبتها، مما فيه منافع وشفاء للناس- بإذن الله تعالى.

---

(1) كوهستان: تعريبها قُوْهِستان. وكوهستان معناه موضع الجبال؛ لأن «كوه» هو الجبل بالفارسية. وربما خفف مع النسبة فقيل: القهستاني. وأكثر بلاد العجم لا يخلو عن موضع يقال له: قوهستان. وأما المشهورة بهذا الاسم، فأحد أطرافها متصل بنواحي هراة، ثم يمتد في الجبال طولا حتى يتصل بقرب نهاوند، وهمذان، وبروجرد. هذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم، وهي الجبال التي بين هراة ونيسابور. وأكثر ما ينسب بهذه النسبة فهو منسوب إلى هذا الموضع. وفتحها عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان سنة (92) للهجرة (معجم البلدان 4/ 416).

[شغف السموأل بالتاريخ]:

وقد كنت قبل ا شتغالي بهذه العلوم- وذلك في السنة الثانية عشرة، والثالثة عشرة- مشغوفًا بالأخبار والحكايات، شـديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمان القديم، والمعرفة بما جرى في القرون الخالية. فاطلعتُ على التصـانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلاف فنونها. ثم انتقلتُ من ذلك إلى محبة الأسمار والخرافات الطوال،

ثم إلى الدواوين الكبار، مثل: ديوان **أخبار عنتر**، وديوان **ذي الهِمّة والبطال**، وأخبار **الإسكندر ذي القرنين**، وأخبار **العنقاء**(1)، وأخبار **الطرف بن لوذان**(2)، وغير ذلك.

ثم إني لمَّا طالعتُ ذلك، اتضح لي أن أكثره من تأليف المؤرخين،

---

(1) العنقاء: طائر عظيم أسطوري، معروف الاسم، مجهول الجسم. لذلك قال الشاعر:

فعلمت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي

وقد اختلف فيه، فقال بعضهم: هو طائر عظيم الخلقة، له وجه إنسان. وفيه من كل حيوان لون.

وقال بعضهم: هو طير غريب الشكل، يبيض بيضا كالجبال، ويبعد في طيرانه. وسميت بذلك لأنه كان في عنقها طوق أبيض.

قال القزويني: إنها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر. قال: وكانت في قديم الزمان بين الناس، إلى أن خطفت عروسا بحليها، فذهب أهلها إلى نبي دلك الزمان، فشكوها إليه فدعا عليها، فذهب بها إلي بعض الجزائر التي خلف خط الاستواء، وهي جزيرة لا يصل إليها أحد، وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع، كالفيل، والكركند، و غير ذلك.

وقال أصحاب التواريخ: إن هذا الطير يعمر حتى قيل إنه يعيش ألفي سنة، ويتزوج إذا مضى عليه خمسمائة!

وحكى الزمخشري في ربيع الأبرار أن الله تعالى خلق في زمن موسى- عليه الصلاة والسلام- طيرًا يقال له العنقاء، له وجه كوجه الإنسان، وأربعة أجنحة من كل جانب، وخلق له أنثى مثله. ثم أوحى الله تعالى إلى موسى: إني خلقت خلقا كهيئة الطير، وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس. قال: فتناسلا وكثر نسلهما، فلما توفي موسى- عليه الصلاة والسلام- انتقلت إلى نجد والعرق، فلم تزل تأكل الوحوش، وتخطف الصبيان، إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي، فشكوها له، فدعا عليها، فانقطعت وانقطع نسلها، وانقرضت (المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي 2/ 256. مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني 1/ 201).

(2) هذه أسماء قصص يغلب عليها الخرافة، وإن كان بعضها يدور حول شخصيات تاريخية حقيقية كعنترة، والإسكندر.

فطلبت الأخبار الصحيحة، فمالتْ هِمَّتي إلى التواريخ، فقرأتُ كتاب **أبي علي بن مسكويه**[1]، الذي سمَّاه «**تجارب الأمم**»، وطالعت «**تاريخ الطبري**»[2]، وغيرهما من التواريخ.

(1) أبو علي بن مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي الخازن، ابن مسكويه. مات سنة (421هـ). قال الثعالبي: في الذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر. وله: كتاب الفوز الأكبر، وكتاب الفوز الأصغر. وصنّف في التاريخ كتاب تجارب الأمم، ابتدأه من بعد الطوفان، إلى سنة (369هـ). وله كتاب أنس الفريد، وهو مجموع يتضمن أخبارًا وأشعارًا مختارة، وحكمًا وأمثالاً، وكتاب ترتيب العادات، وكتاب المستوفي. وكتاب الجامع، وكتاب جاوذان خرد، وكتاب السير، ذكر ما يسيّر به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والآية والحكمة والشعر (الوافي في الوفيات 1/ 1059).

(2) تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، مؤلفه: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، وهو من أوائل كتب التاريخ وأطولها وأوثقها. بدأ تأليفه سنة (290)، وانتهى سنة (303هـ)، ويعد من المصادر التي لا غنى عنها لكل مشتغل بالتاريخ والسير.

فكانت تَمُرُّ بي- في هذه التواريخ- أخبار النبي ﷺ وغزواته، وما أظهر الله له من المعجزات، وما خصَّه به من الكرامات، وحباه به من النصر والتأييد، في **غزوة بدر**[1]، و**غزوة خيبر**[2]، وغيرهما. وقصة مَنشئه في اليُتم والضعف، ومعاداة أهله له، وإقامته فيما بين أعدائه، يجاهدهم بإنكار دينهم عليهم، والدعوة إلى دينه مدة طويلة، و سنين كثيرة، إلى أن أذن الله له في الهجرة إلى دار غيرها، وما جرى للأعداء الذين جاهدوه من النكبات، ومصرعهم بين يديه بسيوف أوليائه ببدر وغيرها،

---

(1) غزوة بدر: كانت في السنة الثانية من الهجرة، وفيها التقى جيش المسلمين بقيادة النبي ﷺ، ويبلغ 313 مقاتلا، وجيش المشركين، بقيادة أبي جهل، ويبلغ نحو ألف مقاتل. وفي بدر كانت النصرات الغيبية وإمداد الله تعالى بالملائكة، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [آل عمران 123-127].

(2) غزوة خيبر: خيبر واحة كبيرة على بعد 96 ميلا من المدينة إلى جهة الشام.. وهي ذات حصون ومزارع ونخل كثير. وكان سكان خيبر يهودًا، وكانوا غير مجتمعين في صعيد واحد، بل متفرقين في الوديان المجاورة، ويقطنون بيوتا حصينة وسط النخيل وحقول القمح . وكانت خيبر مركزًا لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها، وتشتمل على سبعة حصون مبنية بالحجارة، وهي: حصن ناعم والقموص، حصن أبي الحقيق، حصن الشق، حصن النطاة، حصن السلالم، حصن الوطيح، حصن الكتيبة. ولما قدم رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوما أو قريبا منها ثم خرج إلى خيبر في السنة السابعة. وكان معه 1600 مقاتل، منهم 200 فارس. فحاصرهم حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه الصلح، ونزل إليه زعيمهم سلام بن أبي الحقيق، فصالحهم على حقن الدماء، وعلى الذرية، ويخرجون من خيبر، ويخلون ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والحلقة، إلا ثوبا على ظهر إنسان. فلما أراد أن يجليهم قالوا: نحن أعلم بهذه الأرض منكم، فدعنا نكون فيها فأعطاهم إياها على شطر ما يخرج من ثمرها وزرعها. وقد استشهد بخيبر من المسلمين نحو عشرين رجلا رضي الله عنهم أجمعين. (الفصول في السيرة 1/ 188. مختصر سيرة الرسول 1/ 141).

وظهور الآية العجيبة في هزيمة الفرس، و«**رستم**» الجبار[1] معهم في ألوف كثيرة، على غاية من الحشـد والقوة بين يدي **سـعد بن أبي و قاص**[2]، وهم في فئة يسـيرة، على حال من الضعف[3]. وانكسار مدائن[4] كسرى «**أنوشروان**»[5]،

(1) رستم الفرخزاد: قائد جيوش الفرس في موقعة القادسية.

(2) سعد بن أبي وقاص: كان عمره حين أ سلم تسع عشرة سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أ صحاب الشورى. وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأول من أراق دمًا في سبيل الله . هاجر إلى المدينة قبل قدوم ر سول الله ﷺ إليها. شهد مع رسول الله بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد. وكان يدعى: فارس الإسلام. وأبلى يوم أحد بلاء شديدا. وكان مجاب الدعوة. واسـتعمله عمر بن الخطاب على الجيوش التي بعثها إلى بلاد الفرس، وكان أمير الجيش الذي هزم الفرس بالقادسية وبجلولاء، وفتح مدائن كسرى، وبني الكوفة. وولاه عمر بن الخطاب ﷺ العراق. ورمى سعد يوم أحد ألف سهم. توفي سنة (55) بقصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، ودفن بالبقيع.

(3) في سنة خمس عشرة من الهجرة، سار سعد إلى القادسية، وكتب إلى عمر يستمده، فبعث إليه المغيرة بن شعبة في جيش من أهل المدينة. وكتب إلى أبي عبيدة أن يمده بألف. وسمع بذلك قائد الفرس: رستم بن الفرخزاد الأرمني، فخرج بنفسه في مائة وعشرين ألفًا، سوى التبع والرقيق، حتى نزل القادسية. وبينه وبين المسلمين جسر القادسية. وقيل: كانوا ثلاثمائة ألف، ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلا. واجتمع المسـلمون حتى صـاروا ثلاثين ألفًا، فكانت وقعة القادسـية المشـهورة، التي نصر الله فيها المسلمين، وهزم المشركين (مختصر سيرة الرسول 1/ 226).

(4) المدائن: عاصمة بلاد فارس في ذلك الوقت.

(5) أنوشروان: هو أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد، من أهم ملوك الأسرة الساسانية. أخذ في إصلاح السابلة، والأخذ بالعدل، وتفقد أهل المملكة، وتخير الولاة والعمال مقتديا بسيرة أرد شير بن بابك جده. ا ستولى على كثير من بلاد الروم. واشـتهر بالحلم والحكمة، ومن كلامه: «الملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالخراج، والخراج بالعمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصـلاح العمال، وإصـلاح العمال باسـتقامة الوزراء، ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسـه، واقتداره على تأديتها حتى يملكها ولا تملكه». وكان مكرمًا للعلماء، محبًا للعلم. وفي أيامه ترجم كتاب كليلة ودمنة. وعلى عهده ولد رسـول الله ﷺ لاثنتين وأربعين سـنة من ملكه، وذلك عام الفيل (تاريخ ابن خلدون 1/ 46، 2/ 199. تاريخ الطبري 1/ 452).

وانكسار الروم، وهلاك عساكرهم على يدي **أبي عبيدة بن الجراح**[1]- رحمة الله عليه، ثم سياسة **أبي بكر**، و**عمر**- رضي الله عنهما، وعدلهما، وزهدهما.

***

[اهتمام السموأل بالأدب، واكتسابه الفصاحة والبلاغة]:

ومع ذلك، فإني كنت- لكثرة شغفي بأخبار الوزراء والكُتَّاب- قد اكتسبتُ بكثرة مطالعتي- لحكاياتهم وأخبارهم وكلامهم- قوة في البلاغة، ومعرفة بالفصاحة. وكان لي في ذلك ما حمده الفصحاء، وتعجب به البلغاء. وقد يعلم ذلك منِّي مَن تأمل كلامي في بعض الكتب التي ألفتها في أحد الفنون العلمية.

فشاهدت المعجزة- التي لا تباريها الفصاحة الآدمية- في القرآن؛ فعلمت صحة إعجازه.

(1) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة، من المهاجرين الأولين، ومن قواد الإسلام العظماء. له يوم أحد مواقف مشهودة في الدفاع عن النبي ﷺ، وذلك أنه نزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله ﷺ من المغفر، فانتزعت ثنيتاه. قال عنه رسول الله: «لكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح» (أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران 4121). رشحه أبو بكر للخلافة يوم سقيفة بني ساعدة، وولاه عمر قيادة الجيوش. توفي في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة للهجرة، و سنه ثمان وخمسون سنة .

[العقل حاكم على الكليات]:

ثم إني لما هذبت خاطري بالعلوم الريا ضية، ولا سيما الهند سية وبراهينها، راجعت نفسي في **اختلاف الناس في الأد يان والمذا هب**. و كان أكبر المحر كات لي في البحث عن ذ لك، مطالعتي كتاب «**برذويه**» الطبيب، من كتاب **كليلة ودمنة**[1]، وما وجدت فيه.

فعلمتُ أن العقل حاكم، يجب تحكيمه على كليات أمور عالمنا هذا؛ إذ لولا أن العقل أرشدنا إلى اتباع الأنبياء والرسل، وتصديق المشايخ والسلف، لما صدقناهم في سائر ما تلقيناه عنهم.

(1) كليلة ودمنة: هو كتاب في الأخلاق وتهذيب النفوس، وضعه بيدبا الفيلسوف الهندي، لدبشليم ملك الهند، على ألسنة البهائم والطيور. وفي أوائل القرن السادس الميلادي، أرسل الملك الفارسي، محب الحكمة «كسرى أنوشروان»- الطبيب الفارسي «برذويه»؛ ليقوم بنقل الكتاب من الهندية إلى الفهلوية (الفارسية القديمة). ثم في منتصف القرن الثاني الهجري نقله ابن المقفع إلى العربية. أما قصة تأليف هذا الكتاب، فتبدأ بغزو الإسكندر بلاد الهند، وثورة الشعب عليه، وهذا أدى إلى تولي الملك «دبشليم» العرش. وقد كان مغرورًا ظالمًا، مما دفع الفيلسوف «بيدبا» إلى نصحه، فيسجنه لكنه يندم فيما بعد، فيطلقه ويقربه إليه، ويجعله وزيرًا له، يستشيره في كل الأمور، ويطلب منه أن يضع نصائحه في كتاب، فكان هذا الكتاب الذي يرمي إلى إصلاح الأخلاق، وتهذيب العقول، وذلك على لسان كليلة ودمنة. وهما حيوانان من الفصيلة الكلبية، اصغر حجمًا من الذئب (الفهرست 1/ 172. معجم المطبوعات: كحالة 1/ 250).

وعلمت أنه إذا كان أ صل التم سك بالمذاهب الموروثة عن الـ سلف، وأ صل اتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل، فإن **تحكيم العقل على كليات جميع ذلك واجب**(1).

وإذا نحن حكَّمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد، علمنا أن النقل عن السـلف ليس يوجب العقلُ قبولَه من غير امتحان لصـحته. بل بمجرد كونه مأخوذًا عن السـلف، لكن من أجل أنه يكون أمرًا ذا حقيقة في ذاته، والحجة موجودة بصحته.

[بطلان تقليد الآباء تقليدًا أعمى]:

فأما **الأبوة والـسلفية وحدهما فليستا بحجة**(2)؛ إذ لو كانتا حجة؛ لكانتا أيضًا حجة لـسائر الخـصوم الكفار، كالنـصارى فإنهم نقلوا عن أ سلافهم أن عيـسى ابن الله، وأنه الرازق المانع، الـضار النافع. فإن كان تقليد الآباء والأ سلاف يدل على صحة ما نقل عنهم؛ فإن ذلك يلزم منه الإقرار بصحة مقالة النصارى، ومقالة المجوس.

(1) الأصل تصديق الأخبار ما اتصف ناقلوها بالصدق والأمانة والضبط، وألا تكون محالا ضد بدهيات العقل، وألا تتناقض مع غيرها مما ثبت يقينا عملا أو إدراكا. والأنبياء اتصـفوا بالأمانة والصـدق، وما أخبروا بمحال، ولا نقضـوا بديهيا، ولا صادموا الحقائق والسنن الكونية، فهم يأتون بالكتاب والحكمة؛ فالعقل الصريح موافق للنقل الصحيح. يقول الإمام ابن تيمية: «النـصوص الثابتة في الكتاب والـسنة لا يعار ضها معقول بيِّن قط، ولا يعار ضها إلا ما فيه ا شتباه وا ضطراب. وما علم أنه حق- لا يعارضــه ما فيه اضــطراب واشـتباه لم يعلم أنه حق. بل نقول قولا عامًا كليًّا: إن النصــوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعار ضها قط صريح معقول، فضلا عن أن يكون مقدمًا عليها، وإنما الذي يعار ضها شبه وخيالات، مبناها علي معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتي وقع الا ستفسار والبيان ظهر أن ما عار ضها شبه سوفسطائية، لا براهين عقلية» (درء تعارض العقل والنقل 1/ 85).

(2) يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:170]. ويقول سبحانه: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (22) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (24) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25) ﴾ [الزخرف:22-25].

وإن كان هذا التقليد لأسلاف اليهود خاصة دون غيرهم من الأمم، فلا يقبل منهم ذلك، إلا أن يأتوا بدليل على أن آباءهم كانوا أعقل من آباء الأمم وأســلافهم؛ فإن اليهود ادعت ذلك في حق آبائها وأسلافها[1]. فجميع أخبار أسلافهم ناطقة بتكذيبهم في ذلك[2].

وإذا تركنا التعصب لهم، فنحن نجعل لآبائهم أسوةً بسائر آباء غيرهم من الأمم. فإذا كانت آباء النصــارى وغيرهم قد نقلوا عن آبائهم الكفر والضــلال، الذي تهرب العقول منه، وتنفر الطباع السليمة عنه، فليس بممتنع أن يكون ما نقله اليهود عن آبائهم أيضًا بهذه الصفة[3].

---

(1) يؤمن اليهود بأنهم شــعب الله المختار، ولقد عززت أســطورة الشــعب المختار من النزعة المشــيحانية في الفكر الديني اليهودي، فكل عضو في أمة الكهنة والقديسين هو تجسيد حي للإله، وصوته من صوت هذا الإله، أي أنه نبي أو شبه نبي بالضرورة. وقد عززت فكرة الاختيار أيضًا الإحساس الزائف لأعضاء الجماعات اليهودية بوجودهم خارج التاريخ وبأن القوانين التاريخية التي تســري على الجميع لا تســري عليهم. وتســيطر فكرة الشــعب المختار، بعد علمنتها، على الفكر الصهيوني بجميع اتجاهاته. وقد أكد آحاد هعام، منطلقاً من المفاهيم النيتشوية الخاصة بالسوبرمان، أن اليهود أمة متفوقة («ســوبر أمة» على حد قوله). وتحدَّث المفكر الصــهيوني الاشــتراكي نحمان ســيركين عن اليهودي بوصــفه البروليتاري الأزلي. أما لويس برانديز، فقد تحدَّث عنه بو صفه الديموقراطي الأزلي، أي أن اليهودي قد اختير منذ القدم ليؤدي ر سالة أزلية ا شتراكية عند الصهيوني الاشتراكي، وأزلية ديموقراطية ليبرالية عند الصهيوني الديموقراطي الليبرالي. وقد صرح بن جوريون أن دولة إسرائيل تضم الشعب الكنز، ولهذا فإن بوسعها أن تصبح منارة لكل الأمم! (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية).

(2) سيورد السموأل دلائل على سوء تدبير اليهود، ومخالفتهم لصريح العقل، ومقتضيات الإيمان.

(3) يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:30]. و قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:113].

[ثبوت نبوة موسى وعيسى ومحمد بالتواتر]:

فلما علمت أن اليهود لهم أسـوة بغيرهم فيما نقلوه عن الآباء والأسـلاف. علمت أنه ليس بأيديهم حجة صحيحة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر[1].

وهذا التواتر موجود لعيسـى ومحمد، كوجوده لموسـى- عليهم السـلام أجمعين؛ فإن كان التواتر يفيد تصديقا، فالثلاثة صادقون، ونبوتهم معًا صحيحة.

وعلمت أيضًا أني لم أرَ مو سى بعيني، ولم أ شاهد معجزاته، ولا معجزات غيره من الأنبياء- عليهم السلام. ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئا من ذلك. فعلمت أنه لا يجوز للعاقل أن يُصـدق بواحد، ويكذب بواحد من هؤلاء الأنبياء- عليهم السـلام؛ لأنه لم ير أحدهم، ولا شاهد أحواله إلا بالنقل. وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم،

(1) التواتر: الخبر هو ما يصح أن يدخله الصدق أو الكذب. وينقسم قسمين: خبر تواتر، وخبر آحاد. فأما خبر التواتر، فهو ما خبَّر به القوم الذين يبلغ عددهم حدا يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال، وان التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وان ما خبَّروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وان أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم. فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم، قطع على صدقه، وأوجب وقوع العلم ضرورة. وأما الخبر الآحاد، فهو ما قصر عن صفة التواتر، ولم يقطع به العلم وإن روته الجماعة (الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي 1/ 16).

فليس من العقل، ولا من الحكمة، أن يصدق أحدهم، ويكذب الباقون. بل الواجب عقلا: إما تصديق الكل، وإما تكذيب الكل[1].

فأما تكذيب الكل، فإن العقل لا يوجبه أيضًا؛ لأنا إنما نجدهم قد أتوا بمكارم الأخلاق، وندبوا إلى الفضائل، ونهوا عن الرذائل؛ ولأنا نجدهم ساسوا العالم بسياسة بها صلاح حال أهله.

فصحَّ عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح، والمصطفى، وآمنت بهما.

[إضمار السموأل الإيمان بنبوة عيسى ومحمد]:

(1) يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: 150-152].

فمكثت برهة أعتقد ذلك، من غير أن التزم الفرائض الإسـلامية؛ مراقبةً لأبي؛ وذلك أنه كان شديد الحب لي؛ قليل الصبر عنِّي؛ كثير البر بي. وكان قد أحسن تربيتي؛ إذ شغلني منذ أول حداثتي بالعلوم البرهانية، وربى ذهني وخاطري في الحساب والهندسة، العلمين اللذين مدح أفلاطون[1] عقل من يتربى ذهنه في النظر فيهما[2].

فمكثت مدة طويلة لا يُفتح عليَّ وجه الهداية، ولا تنحلُّ عني هذه الـشبهة، وهي مراقبة أبي، إلى أن حالت الأسـفار بيني وبينه، وبعدت داري عن داره، وأنا مقيم على مراقبته، والتذمم[3] من أن أفجعه بنفسي.

وحان وقت الهداية، وجاءتني الموعظة الإلهية، برؤيتي للنبي ﷺ في المنام، ليلة الجمعة، تا سع ذي الحجة، سنة ثمان وخمـسين وخمـسمائة. وكان ذلك **بمراغة**[4] من **أذربيجان**. وهذا شرح ما رأيت:

---

(1) أفلاطون: فيلسوف يوناني من القدماء الذين هم أساطين الحكمة، عاش أفلاطون ثمانين سنة بين 427 ق.م –347 ق.م)، أخذ العلم عن سقراط، ويعد أحد أعظم الفلاسفة الغربيين، حتى إن الفلسفة الغربية اعتبرت أنها ما هي إلا حواشي لأفلاطون.عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. له كتاب فِي الأصول الهندسيّة، وكتاب في آداب الصبيان، وكتاب السياسة، وكتاب النواميس. وعنه أخذ أرسطاليس، وخلفه بعد موته (ويكيبديا– الموسوعة الحرة).

(2) يقول ابن خلدون في تاريخه (1/ 639): «واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره؛ لأن براهينها كلها بينة الانتظام، جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيسـتها لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بممارسـتها عن الخطأ، وينـشأ لـصاحبها عقل على ذلك المهيع (الطريق)، وقد زعموا أنة كان مكتوبًا على باب أفلاطون: من لم يكن مهندسًا، فلا يدخلن منزلنا! وكان شـيوخنا رحمهم الله يقولون: ممارسـة الهندسـة للفكر، بمثابة الصـابون للثوب، الذي يغسـل منه الأقذار، وينقيه من الأوضار والأدران».

(3) التذمم: التَحَشُّمُ والاستحياء. وتَذَمَّمَ أي استنكف. يقال: لو لم أترك الكذب تأَثُّما لتركته تَذَمُّمًا (لسان العرب 12/ 135، 220).

(4) مَرَاغَةُ: منْ أَشْهَرِ مُدُنِ أَذْرَبِيجانَ، وتقع بالقرب من مدينة تبريز (تاج العروس مج1، ص5694).

(2) **المنام الأول**

رؤيا السموأل للنبي شموائيل في المنام

رأيت كأني في صحراء فيحاء(1)، مُخضرة الأرجاء، يلوح من شرقيها شجرة عظيمة، والناس يُهْرَعُون(2) إلى تلك الشجرة، فسألت بعضهم عن حال الناس. فقال: إن تحت الشجرة **شموائيل** النبي جالس، والناس يسلمون عليه. فسُررتُ بما سمعته.

وقصدتُ الشجرة، فوجدت في ظلها شيخًا جسيمًا، بهيًا وقورًا، شديد بياض الشعر، عظيم الهيبة، بيده كتاب ينظر فيه. فسلمت عليه، وقلت بلسان عربي: السلام عليك يا نبي الله! فالتفتَ إليَّ مبتسمًا، وهَشَّ إليَّ(3)، وقال: وعليك السلام يا شريكنا في الا سم! اجلس لنعرض عليك أمرًا.

فجلست بين يديه، فدفع إليَّ الكتاب الذي بيده، وقال: اقرأ ما تجده بين يديك.

فوجدت بين يديَّ هذه الآية من التوراة:

---

(1) فَيْحاء: واسِعَةُ (القاموس المحيط 1/ 300).

(2) يُهْرَعون: يسرعون.

(3) هَشَّ إليَّ: أقبل مستبشِرًا.

«نابي أقيم لاهيم مقارب أحيهم كاموخا إيلا ويشماعون».

تفسيره: نبيًا أقيمُ لهم، من وسط أخوتهم مثلك، به فليؤمنوا[1].

وهذه مناجاة من الله ﷻ لموسى.

وكنت أعرف أن اليهود يقولون: إن هذه الآية نزلت في حق **شـــموائيل** النبي؛ لأنه كان مثل موسى.

يعنون أنه كان من سبط ليوي. وهو السبط الذي كان منه موسى.

فلما وجدتُ بين يديَّ هذا الآية من التوراة قرأتها، وظننتُ أنه يذهب إلى الافتخار بأن الله تعالى ذَكَرَه في التوراة، وبَشَّرَ به موسى ؑ.

فقلت: هنيئًا لك- يا نبي الله- ما خَصَّك الله به من هذه المنزلة**!**

فنظر إلي مغضبًا، وقال: أَوَإيايَ أراد الله بهذا يا ذكيًا**!** ما أفادتك إذًا البراهين الهندسية**!**

فقلت: يا نبي الله**!** فمن أراد الله بهذا؟

(1) في سفر التثنية 18: «17 قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. 18 أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

قال: الذي أراد به في قوله: «**هو فيع ميهار فاران**».

وتفسيره إشارة إلى نبوة، وعد بنزولها على جبال فاران[1].

فلما قال لي ذلك، عرفت أنه يعني المصطفى ﷺ؛ لأنه المبعوث من جبال فاران، وهي جبال مكة؛ لأن التوراة ناطقة نصًا بأن فاران مسكن آل إسماعيل. وذلك قول التوراة:

«**ويشب بمد نار فاران**».

تفسيره: وأقام في برية فاران[2].

يعني إسماعيل، ولد إبراهيم الخليل- عليهما السلام.

ثم إنه عاد، والتفت إليّ، وقال: وأما علمتَ أن الله لم يبعثني بنسخ شيء من التوراة؟! وإنما بعثني لأذكِّرَهم بها، وأحيي شرائعها، وأخلصهم من أهل فلسطين[3].

---

(1) لعله بقصد ما في سفر التثنية 33:2 «فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم».

(2) في سفر التكوين 21:21 «وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر».

(3) في سفر صموئيل الأول 7:3 «وكلم صموئيل كل بيت إ سرائيل قائلا: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب، فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من و سطكم، واعدّوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده؛ فينقذكم من يد الفلسطينيين 7:4 فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروث، وعبدوا الرب وحده».

فقلت: بلى يا نبي الله!

قال: فأي حاجة لهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم، ولم يُغير شريعتهم؟! أرأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة **دانيال**[1]، أو **أرميا**[2]، أو **حزقيل**[3]؟!

فقلت: لا لعمري. لم يحتجْ إلى ذلك.

---

(1) دانيال: اسم عبري معناه: الله قضى. ودانيال النبي من سبط يهوذا، وهو أحد الأنبياء الأربعة الكبار. ويُظن أنه وُلد في القدس. وفي العهد القديم سفر مسمًّى باسمه. وقد كان فتىً صغيرًا حين جاء نبوخذ نصر إلى مدينة القدس في سنة 586 ق.م. وعندها حُمِل إلى بابل أسيرًا. وتربى في مدرسة الحكمة وقصر الملك ببابل، وعمل في البلاط الملكي، وكانت له مكانته عند ملوك بابل وفارس. وأنقذ اللّه بني إسرائيل من أرض بابل على يدي دانيال. (المنتظم 1/ 110).

(2) أرميا: «إرميا» عبارة عبرية تعني «الإله يؤسس»، أو «الإله يثبت». وإرميا ثاني الأنبياء الكبار (حوالي 626-586 ق.م)، كان من أسرة من الكهنة. بدأ في التنبؤ عام 627 ق.م في أثناء ملك يوشيا. له سفر باسمه في العهد القديم.

(3) حزقيل: كلمة عبرية معناها «الإله يقوِّي». وحزقيال (حوالي 593-570 ق0م) نبي من أسرة صادوق الكهنوتية، ومن قبيلة إفرايم، وهو معاصر لإرميا، أطلق حزقيال نبوءاته في القدس، ثم في بابل حيث هُجِّر مع اليهود الذين هُجِّروا إلى هناك، واستمر في التنبؤ لسنوات طويلة (593ـ570 ق.م). وسفر حزقيال ثالث الأسفار في كتب الأنبياء العظام.

ثم أخذ المصحف من يدي، وانصرف مُغْضَبًا؛ فارتعت لغضبه؛ وازدجرت[1] لموعظته، واستيقظت مذعورًا فجلست. وكان وقت السحر[2]، والمصباح يَقُدُّ[3] في غاية استنارته، فتذكرت المنام جميعه، فإذا أنا قد تخيلته، لا يذهب عليَّ منه شيء.

فعلمت أن ذلك لطف من الله ﷻ، وموعظة لإزالة الشبهة التي كانت تمنعني من إعلان كلمة الحق، والتظاهر بالإسلام[4].

---

(1) ازدجرت: ازدَجَرْتُه فازْدَجَرَ، بمعنى زَجَرْتُه فانزَجَرَ، أي نَهَيْتُه فانتهى.. وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:9-10] أي زُجِرَ وأَذْعَنَ أن يدعُوهم إلى الله (كتاب العين: الخليل بن أحمد 6/ 61).

(2) وقت السحر من الأوقات الفاضلة التي يستجيب الله فيها الدعاء وتتنزل رحمته أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا- تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟! ومن يسألني فأعطيه؟! ومن يستغفرني فأغفر له؟!» (أخرجه البخاري، أبواب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (1094). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (758).

(3) يقدُّ: وتَوَقَّدَ الشيءُ تَلأْلأَ، وكَوْكَبٌ وقَّادٌ مُضِيءٌ. وكل شيء يَتَلأْلأُ فهو يَقِدُ. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [النور:35]. وقرئَ «تُوقَدُ»، و«تَوَقَّدُ». قال الفراء: فمن قرأَ «يُوقَد» ذهب إِلى المصباح، ومن قرأَ «تُوقَدُ» ذهب إِلى الزُّجاجة. وكذلك من قرأَ «تَوقَّدُ». وقال الليث: من قرأَ «تَوقَّدُ» فمعناه تَتَوَقَّدُ، ورده على الزجاجة. ومن قرأَ «يُوقَدُ» أَخرجه على تذكير النور، ومن قرأَ «تُتوقَدُ» فعلى معنى النار، أَنها تُوقَدُ من شجرة (لسان العرب 3/ 465).

(4) التظاهر بالإسلام: المقصود بذلك إظهاره وإعلانه.

فتبتُ إلى الله من ذلك واستغفرته، وأكثرت من الصلاة على رسول الله المصطفى ﷺ.

وأسبغت الوضوء، وصليت عدة ركعات لله ﷻ، وأنا شديد الفرح والسرور، بما قد انكشف لي من الهداية.

ثم جلستُ مفكرًا، فغلب عليَّ النوم عند تفكري، ونمت.

(3) المنام الثاني

رؤيا السموأل للنبي محمد ﷺ في المنام

ورأيت كأني جالس في سكة عامرة لا أعرفها، إذ أتاني آتٍ عليه ثياب المتصوفة، وزيُّ الفقراء، فلم يُسلِّم عليَّ، لكنه قال: أجبْ رسول الله ﷺ.

فهبتُه، وقمتُ معه مسرورًا مسرعًا؛ مستبشرًا بلقاء النبي ﷺ، فسار بين يديَّ، وأنا مِن ورائه، حتى انتهى إلى باب دار، فدخله واستدخلني، فدخلت وراءه، وسرت خلفه في دهليز طويل، قليل الظلمة إلا أنه مظلم.

فلما انتهيت إلى طرف الدهليز، وعلمت أنه قد حان إشـــراف النبي ﷺ، هبت لقاءه هيبة شديدة، فأخذت في الاستعداد للقائه وسلامه، وذكرت أني كنت قد قرأت في أخباره، أنه كان إذا لقي في جماعة قيل: ســلام عليكم ورحمة الله وبركاته(1). وإذا لقي وحده قيل: الســلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته(2).

فعزمت على أني أسـلم عليه سـلامًا عامًا؛ لتدخل الجماعة في السـلام؛ لأني رأيت ذلك كأنه الأولى والأليق.

ثم أشــرفت على صــحن الدار، وكان مقابل الدهليز مجلس طويل، وعن يســرة الداخل مجلس آخر، وليس في الدار غير هذين المجلسين.

وفي كل واحد من المجلســين رجلان، لا أحقق الآن صــور أولئك الرجال، إلا أني أظن أكثرهم كانوا شبانا، لكنهم كانوا كالمتهيئين للسفر، فمنهم من يلبس ثيابًا للسفر، وأ سلحتهم قريبة منهم.

---

(1) عن عمران بن حصــين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الســلام عليكم. فرد عليه الســلام ثم جلس. فقال النبي ﷺ: «عشر». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد عليه، فجلس فقال: «عشرون». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه فجلس فقال: «ثلاثون» (أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف السلام (5195).

(2) قال أبو ذر في حديثه في ق صة إ سلامه: «فجاء النبي ﷺ فطاف بالبيت، و صلى ركعتين خلف المقام. قال: فأتيته فإني لأول الناس حياه بتحية الإسلام، قال قلت: السلام عليك يا رسول الله! قال: وعليك السلام من أنت؟». (أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ﷺ (2473).

ورأيتُ رســول الله ﷺ قائمًا فيما بين المجلســين، أعني في الزاوية التي في ذلك الركن من أركان الصــحن، وكأنه قد كان في شــغل وقد فرغ منه، وانقلب عنه ليشــرع في غيره، ففجأته بالدخول عليه قبل شروعه في غيره.

وكان ﷺ لابسًا ثيابًا بيضًا، وعمامته معتدلة اللطافة، وعلى عنقه رداء أبيض حول عنقه، وهو معتدل القامة، نبيل جسـيم، معتدل اللون، بَيْن البياض والحمرة واليسـير من السـمرة. أسـود الحاجبين والعينين، و شعر محا سنه مَ صَفٌّ كأنه َشعْرَة. و شعرُه ومحا سنه أيضًا معتدلة بين الطول والقصر.

ولما دخلتُ عليه ورأيته، التفتَ إليَّ ورآني، فأقبل عليَّ مبتســمًا، وهَشَّ إليَّ جدًا. فذهلتُ لهيبته عما كنت قد عزمتُ عليه من الـ سلام؛ فـ سلمت سلامًا خا صًا، فقلت: الـ سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وألغيتُ الجماعة، فلم ألتفت ببصري وقلبي إلا إليه.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ولم يكن بين تســليمي عليه، وبين ســعيي إليه توقف، ولا زمان. بل جريت إليه مســرعًا، وأَهْوَيْتُ بيدي إلي يده[1]، ومدَّ يده الكريمة إليَّ، فأمسكتها بيدي وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله!

وذ لك أ نه خطر بقلبي: أن النحاة منهم من زعم أن الأســماء الأعلام هي أعرف المعارف، ومنهم من يقول إن الأسماء المضمرة هي أعرف المعارف[2]. وهو الصحيح؛ لأن الكاف من قولي: «**أنك**»، لا يشارك المخاطب فيه أحد؛ لأنها لا تقع إلا عليه وحده.

فرأيته قد مُلِئَ ابتهاجًا، ثم جلس في الزاوية التي بين المجلسين، وجلستُ بين يديه.

وقال: تأهبْ للمسير معنا إلى **غُمدان**[3] للغزاة.

---

(1) أَهْوَى إِليه بيده ليأْخذه، أَي مَدَّها نَحْوَه، وأَمالها إِليه. يقال: أَهْوَى يَده وبيده إِلى الشيء ليأْخذه (لسان العرب 15/ 371).

(2) قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي ســعيد الأنباري (أســرار العربية، ص301): «فإن قيل: فما أعرف هذه المعارف. قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب بعض النحويين إلى أن الاســم المضــمر أعرف المعارف، ثم الاســم العلم، ثم الاسم المبهم، ثم ما فيه الألف واللام. وأعرف الضمائر ضمير المتكلم؛ لأنه لا يشاركه فيه غيره، ولا يقع فيه التباس، بخلاف غيره من سائر المعارف. والذي يدل على أن الضمائر أعرف المعارف: أنها لا تفتقر إلى أن توصف كغيرها من المعارف. وهو قول سيبويه. وذهب بعضهم إلى أن الاسم المبهم أعرف المعارف؛ لأنك تعرفه بعينك، ثم المضمر، ثم العلم، ثم ما فيه الألف واللام. وهو قول أبي بكر بن السراج. وذهب آخرون إلى أن أعرف المعارف الاسم العلم؛ لأنه في أول وضعه لا يكون له مشارك، ثم المضمر، ثم المبهم، ثم ما عرف بالألف واللام. وهو قول أبي سعيد السيرافي».

(3) غمدان: هو حصن في رأس جبل بصنعاء اليمن معروف، وكان لآل ذي يزن (معجم البلدان 4/ 153).

فلما قال ذلك، وقع في نفسي أنه يعني المدينة العظمى التي هي كرسي ملك الصين، وأن الإسلام لم يستولِ عليها بعد.

وكنت قد قرأت قبل ذلك أن الطريق الأقرب المسلوك إلى الصين في البحر الأخضر[1]، وهو أشد البحار أهوالا، وأعظمها أخطارًا.

فلما سمعت ذلك القول من النبي ﷺ، خفت من ركوب البحر. وقلت في نفسي: إن الحكماء لا يركبون البحار، فكيف أركب البحر[2]؟

ثم قلت في نفسي أيضًا من غير توقف: يا سبحان الله! أنا قد آمنتُ بهذا النبي ﷺ وبايعته، أفيأمرني بأمر ولا أتابعه؟! فإذًا أي مبايعة تكون مبايعتي له؟! وعزمتُ على السمع والطاعة.

ثم وقع لي خاطر آخر، وقلت: إذا كان معنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فإن البر والبحر يكونان مسخرين لنا، ولا خوف علينا من سائر الأخطار.

---

(1) البحر الأخضر: يقصد به المتقدمون المحيط الهندي (انظر: معجم البلدان 1/ 344).

(2) ربما كان هذا في زمان ماضٍ. أما الآن فإن الحكماء يركبون البحر والجو أيضًا كما يركبون البر. ولكل زمان مقاييسه!

وطاب قلبي بذلك، وحسن يقيني وقبولي.

وأنا أذكر أن هذه الأفكار والخواطر، ظهرت لي وأنا بين يدي النبي ﷺ في غير زمان، أعنى من غير توقف يستبطئني به عن إجابته، فما كان بأسرع من أن قلت له: سمعًا وطاعة يا رسول الله!

فقال: على خيرة الله تعالى.

فقمت بين يديه، وخرجت فما وجدت في الدهليز الظلمة التي كانت فيه عند الدخول.

فلما خرجت من الدار، ومشيت قليلا، وجدت كأني في **سوق مراغة**، فيما بين الصيارف وبين المدرسة القضوية، وكأني أرى ثلاثة نفر، عليهم زي المتصوفة، وثياب الزهاد. ومنهم من على بدنه صدرة صوف خشن أسود، وعلى رأسه مئزر من جنسها، وبيده قوس ملفوفة في لباد خَلِق[1]. وبيده الأخرى حربة نصابها من سعف النخل. والآخر متقلد سيفًا، غمده من خوص النخل؛

(1) لباد خَلِق: اللِّبْدَة الخِرْقَةُ التي يُرْقَعُ بها صَدْرُ القَمِيصِ. يقال: لَبَدْت القَمِيصَ أَلْبُدُه. واللُّبَادَة ما يلبس منه للمطر. وخلق: قديم مهترئ. يقال: خَلُقَ الثوب: بلي. وبابه سهل. وأَخْلَقَ أيضًا مثله. وأَخْلَقَهُ صاحبه، يتعدى ويلزم (تاج العروس مج1، 2249. مختار الصحاح، ص196).

لأنه كان قد انطبع في خيالي منذ كنت صغيرًا، حين قرأت أخبار ظهور دولة الإ سلام، كيف كان أ صحاب النبي ﷺ ضعفاء فقراء، وليس لهم من الآلات إلا شبيهًا بما ذكرنا، وأنهم كانوا مع ذلك يُنصرون على الجيوش الكثيفة، والخيول العديدة، ذوى الشوكة القوية!

فلما رأيت النفر الثلاثة قلت: هؤلاء هم المجاهدون والغزاة، هؤلاء أصحاب النبي ﷺ، مع هؤلاء أسافر وأغزو.

وكانت الدمعة تبدر من عيني في النوم؛ لفرط سروري بهم؛ وغبطتي إياهم.

[حرص السموأل على إشهار إسلامه]:

ثم استيقظت والصبح لم يسفر بعد، فأسبغت الوضوء، وصليت الفجر، وأنا شديد الحرص على إشهار كلمة الحق، وإعلان الانتقال إلى دين الإسلام.

وكنتُ حينئذ بـــ «**مراغة**» من أذربيجان، في ضيافة الصاحب الأمجد **فخر الدين عبد العزيز بن محمود بن سعد بن علي بن حميد الم ضري**- رحمة الله عليه. وكان قد ابتُلِي بمرض قد عافاه الله منه، ولي به أنس متقدم.

فدخلت إليه في أوائل نهار الجمعة المذكور يومئذٍ، وعرَّفْتُه أن الله قد رفع الحجاب عني وهداني. فما أعظم استبشاره يومئذ بذلك!

وقال: الله! إن هذا الأمر مازلت أتمناه وأترجاه. وطالما قد حاورتُ قاضي القضاة **صدر الدين** في ذلك. وكنا جميعًا نتأسف على علومك وفضائلك: أن لا تكون إسلامية! فالحمد لله على ما ألهمك به من صلاح وهداية، وعلى استجابته دعائنا في ذلك.

فقل لي: كيف فتح الله ذلك عليك، وسهَّله بعد إرتاجه[1] وامتناعه؟

---

(1) إرتاجه: أَرْتَجْتُ الباب إِرْتَاجًا، أغلقته إغلاقا وثيقا (المصباح المنير 1/ 218).

فقلت: ذلك أمر أوقعه الله في نفسـي بالإلهام[1] والفكر، ودليله العقلي وبرهانه قد كنت قديمًا أعرفه[2]، ودليله في التوراة- إلا أني كنت أراقب أبي، وأكره أن أفجعه بنفسي؛ تذممًا[3] من الله تعالى. والآن قد زالت عني هذه الشبهة. مُدَّ يَدَكَ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقام الصـاحب لفرط سـروره قائمًا، واهتز فرحًا. وكان قبل ذلك لا يقوم إلا بالتكلف، وغاب عني، واسـتجلسـني إلى عودته، وأفاض عليَّ من الملابس أجلها، وحملني من المراكب على أنبلها، وأمر خواصه بالسعي إلى الجامع بين يديَّ.

(1) إن الإلهام للشيء لا ينافي العلم، ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله-ﷻ يلهم الإنسان الشيء، كما قال النبي: «إن في الأمم مُحَدثين. وان يكن في أمتي فعمر». والمراد بالتحديث إلهام الخير. إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه. وأما الخضـر فقد قيل: إنه نبي. ولا ينكر للأنبياء الإطلاع بالوحي على العواقب. وليس الإلهام من العلم في شـيء. إنما هو ثمرة العلم والتقوى، فيوفق صـاحبهما للخير، ويلهم الرشـد. فأما أن يترك العلم ويقول: إنه يعتمد على الإلهام والخواطر، فليس هذا بشيء؛ إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس: أمن الإلهام للخير، أو الوسوسة من الشـيطان. واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول، كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية؛ فإن العقلية كالأغذية، والشرعية كالأدوية (تلبيس إبليس، ص 392).

(2) يقول أبو الحسـن الماوردي (أعلام النبوة، ص 15): «فأما قضـايا العقول فضـربان: أحدهما ما علم استدلالا بضـرورة العقل، والثاني ما علم استدلالا بدليل العقل. فأما المعلوم بضرورة العقل فهو ما لا يجوز أن يكون على خلاف ما هو به، كالتوحيد فيوجب العلم الضروري. وإن كان عن استدلال للوصول إليه بضرورة العقل. وأما المعلوم بدليل العقل، فهو ما يجوز أن يكون على خلاف ما هو به، كأحد الأنبياء إذا ادعى النبوة، فيوجب علم الاسـتدلال، ولا يوجب علم الاضطرار؛ لحدوثه عن دليل العقل، لا عن ضرورته».

(3) تذمم تذممًا: استحي (لسان العرب 12/ 135).

وكان الصــاحب قد تقدم إلى الخطيب، وأمره بالتأخير والتوقف إلى وقت حضــوري في المسجد؛ لأن الوقت ضاق إلى أن فرغ الخياطون من خياطة الجبة التي أمر الصاحب بتفصيلها.

فســرت إلى الجامع والجماعة في انتظاري، وارتفع التكبير من جماعة أهل المســجد حين أشــرفت عليهم. وارتجَّ المســجد الجامع من صــلاتهم على رســول الله ﷺ، ثم رقى الخطيب المنبر، ووعظ الناس القاضــي صــدر الدين، ملك الوعاظ، **أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن لل**، وأطنَبَ في مدْحي، وإحماد ما أيدني الله به من التيقظ والهداية، وبالغ في ذلك مبالغة تجاوز حد الوصف، وكان أكثر المجلس متعلقًا بي.

[متى شرع السموأل في تصنيف «الإفحام»؟]:

وفي عشية ذلك اليوم، أعني عيد النحر، ابتدأتُ بتحرير الحُجج المفحمة لليهود، وألفتها في كتاب، وسميته بـ «**إفحام اليهود**».

واشتهر ذلك الكتاب، وطار خبره، وانتسخ مني في عدة بقاع نسخ كثيرة، بالموصل وأعمالها، وديار بكر[1]، والعراق، وبلد العجم.

ثم أضفت إليه بعد وقت فصولا كثيرة من الاحتجاج على اليهود من التوراة[2]، حتى صار كتابًا بديعًا، لم يُعمل في الإسلام مثله في مناظرة اليهود البتة.

[سبب إخفاء السموأل لرؤياه النبي ﷺ مدة]:

وأما المنام الأول، والمنام الثاني، فإني لم أذكرهما للصاحب، ولا لغيره من أهل **مراغة** إلى انقضاء أربع سنين من أوان رؤيتهما. وكان ذلك لشيئين:

أحدهما: أني كرهت أن أذكر أمرًا لا يقوم عليه البرهان، فربما يسرع خاطر من يسمعه إلى تكذيبه؛ لأنه أمر نادر، قليلا ما يتفق؛ إذ إن العاقل يكره أن يعرض كلامه للتكذيب، سرًا أو علانية.

---

(1) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة، تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وحدُّها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، إلى دجلة. ومنه حصن كيفا، وآمد، وميافارقين. وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت، وحيزان، وحيني وما تخلل ذلك من البلاد، ولا يتجاوز السهل (معجم البلدان 1/ 143. 2/ 494).

(2) وهذا يفسر اختلاف النسخ من هذا الكتاب التي وردت إلينا وطبعت، فالنسخة التي نشرها الدكتور محمد الشرقاوي، غير النسخة التي نشرها عبد الوهاب طويلة في مواضع كثيرة. وهذا حدث كثيرا في الكتب المخطوطة المتقدمة، فإن المصنف قد يعيد النظر فيها، وتنتسخ نسخ مخالفة، كالطبعات المختلفة للكتاب الواحد في زماننا.

والثاني: أني كرهت أن يصل خبر المنامين إلى من يحسدني في البلاد على ما فضلني الله به من العلم والحرمة؛ فيجعل ذلك طريقًا إلى التشنيع عليَّ، والإزراء على مذهبي، فيقول: إن فلانًا ترك دينه لمنام رآه، وانخدع لأضغاث أحلام.

فأخفيت ذلك إلى أن اشتهر كتاب «**إفحام اليهود**»، وكثرت نسخه، وقرأه عليَّ جماعة كثيرة من الناس.

فلمَّا تحقق الناس- أعني أن انتقالي من مذهب اليهود- إنما كان بدليل وبرهان، وحجج قطعية عرفتها، وأني كنت أخفي ذلك، ولا أبوح به مدة؛ مراقبةً لأبي؛ وبرًا به؛ فحينئذ أظهرت قصة المنامين، وأوضحت أنهما كانا موعظة من الله تعالى، وتنبيهًا على ما يجب تقديمه، ولا يحل لي تأخيره بسبب والد أو غيره.

وكتبتُ كتابًا إلى أبي، إلى **حلب**، وأنا يومئذ بـ«**حصن كيفا**»[1]. وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين، مما أعلم أنه لا ينكره، ولا يقدر على إبطاله، وأخبرته أيضًا بخبر المنامين[2].

(1) حصن كيفا: حصن كيفا. ويقال: كيبا. وأظنها أرمنية. وهي بلدة وقلعة عظيمة، مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر، من ديار بكر (معجم البلدان 2/ 265).

(2) وفي هذا دعوة السموأل أبيه إلى الإسلام.

فانحدر إلى الموصل ليلقاني، وفاجأه مرض، جاءه بالموصل، فهلك فيه.

[إسلام السموأل كان عن دليل وبرهان، لا رؤيا منام]:

فليعلم الآن من يقرأ هذه الأوراق: أن المنام لم يكن باعثًا على ترك المذهب الأول، فإن العاقل لا يجوز أن ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحلام، من غير برهان ولا دليل[1].

لكنني كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل: الحجج والبراهين والأدلة على نبوة سيدنا محمد ﷺ.

فتلك الحجج والبراهين هي سبب الانتقال والهداية، وأما المنام فإنما كانت فائدته الانتباه، والازدجار[2] من التمادي في الغفلة، والتربص بإعلان كلمة الحق بعد هذا؛ ارتقابًا لموت أبي.

---

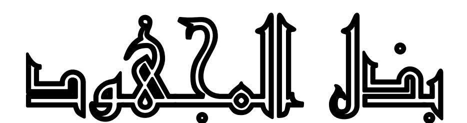
(1) قال ابن تيمية (الفتاوى الكبرى 5/ 342): «يُعمل بالخبر الضعيف، يعني أن النفس ترجو ذلك الثواب، أو ذلك العقاب. ومثله الترغيب والترهيب بالإسرائيليات، والمنامات، ونحو ذلك مما لا يجوز بمجرده إثبات حكم شرعي، لا الاستحباب، ولا غيره. لكن يجوز ذكره في الترغيب والترهيب، فيما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع؛ فإنه ينفع، ولا يضر. واعتقاد موجبه- من قدر الثواب والعقاب- يتوقف على الدليل الشرعي».

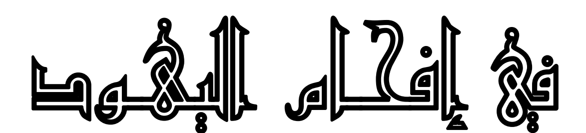
(2) الازدجار: الزَّجْرُ المَنْعُ والنهيُ والانْتِهارُ. زَجَرَهُ يَزْجُرُه زَجْرًا، وازْدَجَرَهُ فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: 9-10].

فالحمد لله على الإســلام، وكلمة الحق، ونور الإيمان، ونور الهداية. وأســأله الإرشــاد لما يرضيه، بمحمد وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

[انتهت رســـا لة «قصــــة إســـلام الســـموأل». ويليها كتاب « بذل المجهود في إفحام اليهود» وكلاهما للسموأل بن يحيى المغربي].

الرسالة الثانية





السموأل بن يحيى المغربي

(الحبر شموائيل بن يهوذا بن آبون)

قصة إسلامه وتركه اليهودية ودخوله في الإسلام

تحقيق ودراسة

دكتور محمود النجيري

مقدمة السموأل

بسم الله الرحمن الرحيم. ربِّ يَسِّر، وأعنْ يا الله.

أما بعْد حمْد الله تعالى، على ما ألهم من الهداية، وعصم عنه من الغواية.

والصلاة والسلام على محمد- خاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين.

فإن سبيل من فُضَّل من العباد بالفطانة والرشاد، أن يَجِدَّ في البحث عن أحوال المعاد، والتأمل لما أخذه عن الآباء والأجداد بعين الامتحان والانتقاد. فإن رآه فضيلة سما لإدراكها، وإن ألفاه رذيلة نجا من شراكها[1]؛ لتضحى حقائبه بطانًا[2] من الزاد؛ فإن هاتف الموت بالمرصاد.

***

(1) شراكها: الشَّرَكُ حبائل الصائد، وكذلك ما ينصب للطير، واحدته شَرَكَة، وجمعها شُرُكٌ. وهي قليلة نادرة. وشَرَكُ الصائد حبالَتَه يَرْتَبِك فيها الصيد. وفي الحديث: «أَعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشِرْكِه»أي ما يدعو إليه ووسوس به من الإشراك بالله تعالى ويروى بفتح الشين والراء أَي حَبائله ومَصايده واحدتها شَرَكَة وفي حديث عمر رضي الله عنه كالطير الحَذِر يَرى أَن له في كل طريق شَرَكاً (لسان العرب 10/ 448). والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (5067). والترمذي، كتاب الدعوات، الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (3392). وأحمد في مسنده، من حديث أبي بكر (51). وصححه الألباني.

(2) بطانًا: ملآى. وفي الحديث: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصًا، وتَرُوح بِطَانًا»، أي مُمْتلِئةَ البطون (النهاية في غريب الأثر: ابن الجزري 1/ 355). والحديث أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (2344). وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (4164). وأحمد في المسند، من حديث عمر بن الخطاب (205). وصححه الألباني.

ولن يَحْمَد العُقبى مُضَّجِعٌ في تحصين شرعه، وموزع مواقيته على ما ينقاد إليه بطبعه. ولن يظفر بضالة الحق إلا ناشدوها[1]، ولن يُبهرج الأباطيل على أنفسهم إلا مفسدوها[2].

[الغرض من تأليف الكتاب]:

والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة: الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد[3].

(1) ناشدوها: الناشد هو الطالب. ورجل قد ضَلَّتْ دابَّتُه، فهو يَنْشُدُها، أي يَطلبها. قال أَبو دواد:

ويُصِيخُ أَحياناً كما اسْـ ... تَمَعَ المُضِلُّ لِصَوتِ ناشِدْ

أَضَلَّ أَي ضَلَّ له شيء فهو يَنْشُدُه، ويستمع إليه مثيله؛ ليتعزى بذلك (لسان العرب 3/ 421).

(2) يشير السموأل في هذه العبارة إلى قضية أساسية في اختلاف الناس في الأديان، وهي أن أكثرهم ينقاد بطبعه إلى ما ورثه عن آبائه، ولا يبحث فيه بحثا عقليًا حرًا: إن كان حقا أو باطلا. بل هو للأسف يتبع هواه، ثم يحاول أن يبحث عن طريق العقل- عما يزين هذا الباطل ويُشيده! وكان الأولى به أن يبحث فيما يعتقد: إن كان حقا، أم باطلا أولا. وبهرجة الأباطيل: تزيينها لتظهر في صورة الحق؛ خداعًا للناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:78].

(3) بين السموأل في ترجمته لنفسه أنه وضع هذا الكتاب: «ليكون عبرة وموعظة لمن يقع إليه؛ ولِيعلمَ متأمله أن اللطف الإلهي أخفى من أن يُحاط بكُنْهه؛ فإن الله يَخُص بفضله من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ويهديه صراطا مستقيمًا».

على أن الأئمة- ضُـوعِفَ ثوابهم- قد انتدبوا قبلي لذلك، وسـلكوا في مناظرة اليهود أنواع المسـالك[1]. إلا أن أكثر ما نُوظروا به يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه. وقد جُعل إلى إفحامهم طريقًا- مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديلهم؛ ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم[2].

---

(1) من الأئمة الذين انتدبوا أنفسهم لمناظرة اليهود، والدفاع عن الإسلام- قبل السموأل: النظَّام، والجاحظ، والقاضي عبد الجبار، والباقلاني، والجويني.

(2) إفحام اليهود عن طريق ما بأيديهم من نصـوص، وإلزامهم بها هو منهج السـموأل في مناظرة اليهود، كما توضـحه هذه العبارة. وهذا المنهج غير المنهج العقلي، الذي يرد عليهم بحجج عقلية مجردة، والمنهج السـلفي الأثري في مناظرة أهل الكتاب الذي يرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة. وهي مناهج اتبعها علماؤنا في هذا الجانب، على ما بينا في تصديرنا لهذا الكتاب.

(1)

فصل في إلزامهم النسخ بنص كتابهم

وهذا أول ما أبتدئ به من إلزامهم النسخ(1) من نص كتابهم، وما تقتضيه أصولهم.

نقول لهم: هل كان قبل نزول التوراة شرع، أم لا؟

فإن جحدوا- كذَّبوا بما نَطق به الجزءُ الثاني، من السفر الأول، من التوراة؛ إذ شرع الله تعالى على نوح عليه السلام القصاص في القتل، ذلك قوله:

«**شوفيخ دام هاأدام دامو يشافيخ كي بصلم ألوهيم عاما إث هاأدام**».

تفسيره: سافكُ دمِ الإنسان، فليُحْكمْ بسفك دمه؛ لأن الله تعالى خَلق الآدميَّ بصورة شريفة(2).

---

(1) النسخ: النسخ يأتي بمعنى الإزالة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:52]. ويأتي بمعنى التبديل كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:101]. وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث، يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد. ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع. ومنه نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه حاكيًا للفظه وخطه. قال مكي: وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن (البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي 2/ 29).

(2) تكوين 6/ 9.

وبما يشهد به الجزء الثالث، من السفر الأول، من التوراة؛ إذ شرع الله على إبراهيم ﷺ ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده[1].

وهذه وأمثالها شرائع؛ لأن الشرع لا يخرج عن كونه- أمرًا أو نهيًا- من الله تعالى لعباده، سواء نزلَ على لسان رسول، أو كُتب في أسفار، أو ألواح، أو غير ذلك.

فإذا أقروا بأن قد كان شرع- قلنا لهم: ما تقولون في التوراة. هل أتت بزيادة على تلك الشرائع، أم لا؟

فإن لم تكن أتت بزيادة، فقد صارت عبثا؛ إذ لا زيادة فيها على ما تقدم، ولم تغنِ شيئا، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله تعالى. فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى. وذلك كفر على مذهبكم.

(1) تكوين 17 :10 «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر. 11 فتختنون في لحم غرلتكم.فيكون علامة عهد بيني وبينكم. 12 ابن ثمانية أيام، يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك.13 يختن ختانا وليد بيتك، والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا».

وإن كانت التوراة أتت بزيادة. فهل في تلك الزيادة: تحريم ما كان مباحًا، أم لا؟

فإن أنكروا ذلك، بطل قولهم من وجهين:

أحدهما: أن التوراة حرَّمت الأعمال الصناعية في يوم السبت، بعد أن كان ذلك مباحًا. وهذا بعينه هو النسخ.

والثاني: أنه لا معنى للزيادة في الشـرع، إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه.

فإن قالوا: إن الحكيم لا يحظر شـيئًا ثم يبيحه؛ لأن ذلك- إن جاز مثله- كان كمن أمر بشيء وضده!

فالجواب:

أن من أمر بشـيء وضـده في زمانين مختلفين- غير مناقض بين أوامره. وإنما يكون كذلك لو كان الأمران في وقت واحد.

فإن قالوا: إن التوراة حظرت أمورًا كانت مباحة من قبل، ولم تأتِ بإباحة محظور، والنسخ المكروه هو إباحة المحظور؛ لأن من أبيح له شيء، فامتنع عنه، وحظره على نفسه، فليس بمخالف. وإنما المخالف من منع من شيء فأتاه؛ لاستباحته المحظور.

فالجواب:

أن من أحلَّ ما حظره الشرع- في طبقة المحرِّم لما أحله الشرع؛ إذ كل منهما قد خالف المشروع، ولم يقر الكلمة على معاهدها. فإن جاز أن يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم ﷺ ومَنْ تقدمه على استباحته، فجائز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظورًا[1].

---

(1) علَّق ابن القيم في هذا الموضع، قال: «وهذه الشبهة الباطلة الداحضة، هي التي ردَّت بها الأمةُ الغضبية نبوةَ سيدنا محمد ﷺ، هي بعينها ردَّ بها أسلافهم نبوة المسيح، وتوارثوها كافرًا عن كافرٍ. وقالوا لمحمد ﷺ كما قال أسلافهم للمسيح: لا نقر بنبوة من غير شريعة التوراة. فيقال لهم: فكيف أقررتمْ لموسى بالنبوة، وقد جاء بتغيير بعض شرائع مَن تقدمه؛ فإنْ قدحَ ذلك في المسيح ومحمد- عليهما الصلاة والسلام، قدح في موسى. فلا تقدحون في نبوتهما بقادح، إلا ومثله في نبوة موسى سواء. كما أنكم لا تثبتون نبوة موسى ببرهان، إلا وأضعافه شاهد على نبوة محمد ﷺ. فمن أبْيَن المحال أن يكون موسى رسولا صادقا، ومحمد ليس برسول. أو يكون المسيح رسولا، ومحمد ﷺ ليس برسول» (إغاثة اللهفان 2/ 325-326).

وأيضـــا فلا تخلو المحظورات من أن يكون تحريمها مفترضًـــا في كل الأزمنة؛ لأن الله تعالى يكره ذلك المحظور لعينه، وإما أن لا يكرهه الله لعينه، بل ينهى عنه في بعض الأزمنة(1).

فإن كان الله تعالى ينهى عن عمل الصـــناعات في يوم الســـبت لعين الســـبت؛ فينبغي أن يكون هذا التحريم على إبراهيم ونوح وآدم أيضًـــا؛ لأن عين الســـبت كانت موجودة أيضًـــا في زمانهم، وهي علة التحريم. وإن كان ذلك غير محرم على إبراهيم ومن تقدمه، فليس النهي عنه لعينه، أعني في جميع أوقات وجود عينه(2).

---

(1) كل ما كان منهيا عنه- إما لعينه، أو لوصـفه- ففاسـد وباطل عند جمهور العلماء، والقبيح لعينه لا يكون مشـروعا أصـلا. كالزنا قبيح لعينه غير مشروع أصلا. وأما القبيح لو صفه فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة منهي عنه لو صف الغصب المقارن للصلاة.

(2) علق ابن القيم هنا- محاجًا اليهود- قال: «ثبت أن التحريم والإباحة تابعان للمصالح، وإنما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والحال، فيكون الشيء الواحد حرامًا في ملِّة دون ملِّة، وفي وقت دون وقت، وفي مكان دون مكان، وفي حال دون حال. وهذا معلوم بالاضطرار من الشرائع، ولا يليق بحكمة أحكم الحاكمين غير ذلك، ألا ترى أن تحريم السبت لو كان لعينه لكان حرامًا على إبراهيم ونوح وسائر النبيين؟! وكذلك ما حرَّمته التوراة من المطاعم والمناكح وغيرها، لو كان حرامًا لعينه وذاته؛ لوجب تحريمه على كل نبي؛ وفي كل شريعة. وإذا كان الرب تعالى لا حجر عليه، بل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويبتلي عباده بما يشاء، ويَحكم ولا يُحكم عليه. فما الذي يحيل عليه، ويمنعه أن يأمر أمة بأمر من أوامر الشريعة، ثم ينهى أمة أخرى عنه، أو يُحرم محرمًا على أمة، ويبيحه لأمة أخرى؟! بل أي شيء يمنعه سبحانه أن يفعل ذلك في الشريعة الواحدة، في وقتين مختلفين، بحسب المصلحة، وقد بيَّن ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:106-107]؟! فأخبر سبحانه: أن عموم قدرته وملكه وتصرفه في مملكته وخلقه- لا يمنعه أن ينسخ ما يشاء، ويثبت ما يشاء، كما أنه يمحو من أحكامه القدَرية الكونية ما يشاء ويثبت. فهكذا أحكامه الدينية الأمرية، ينسخ منها ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء. فمن أكفر الكفر، وأظلم الظلم: أن يعارَض الرسولُ الذي جاء بالبينات والهدى، وتُدفع نبوته، وتُجحد رسالته- بكونه أتى بإباحة بعض ما كان محرمًا على من قبله، أو تحريم بعض ما كان مباحًا لهم» (إغاثة اللهفان 2/ 326-327).

وإذا لزمكم أن تحريم الأعمال الصناعية في يوم السبت ليس بمحرم في جميع وجود أوقات السبت، فليس بممتنع أن ينسخ هذا التحريم في زمان آخر، وإذا ظهر قائم بمعجزات الرسالة وأعلام النبوة في زمن آخر، بعد فترة طويلة، فجائز أن يأتي بنسخ كثير من أحكام الشريعة. سواء حَظَرَ مباحاتها، أو أباح محظوراتها[1].

وكيف يجوز أن يُحاجَ من جاء بالبينة[2]، باعتراض فيما ورد به من أمر ونهي، سواء وافق العقول البشرية أو باينها، ولاسيما أن الخصوم قد طالما تعبدوا بفرائض مباينة للعقول، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أوان الحج، ونجاسة طاهرهم بذلك الرماد بعينه؟!

---

(1) الدين ثلاثة أقسام: عقائد، وعبادات، وتشريعات. فأما العقائد، فلا تختلف من نبي لآخر؛ لأنها تتعلق بذات الله و صفاته وأفعاله، ولا تغيير في ذلك، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]. وأما العبادات وتشريعات الأحكام، فجائز أن تتغير من رسالة رسول من رسل الله إلى آخر؛ لاختلاف الزمان والمكان والمصلحة ومدارك البشر. كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

(2) المقصود به الرسول الصادق المبعوث من قبل الله تعالى.

على أن الذي يروم[1] تنزيله منزلة هذا، أقرب كثيرًا إلى العقل؛ فإن الأفعال والأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية[2].

وإذا كانت التعبدات الشـرعية غير عائدة بنفع لله ﷻ، ولا دافعة عنه ضـررًا؛ لتنزهه ﷻ عن الانتفاع والتأذي بشـيء، فما الذي يُحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر أمة بشـريعة، ثم ينهى أمة أخرى عنها، ويُحرِّم محظورًا على قوم، ويُحله لأولادهم، ثم يحظره ثانيًا على من يجيء من بعد.

---

(1) يروم: يريد. يقال: رام الشيءَ يرومُهُ رَوْماً ومَراماً- طلبه (لسان العرب 12/ 258).

(2) يقول الإمام ابن تيمية في ذلك: «المقصود هنا أن ننبه المسلم على أن العقل الصريح- كلما أمعن في تحقيقه- لا يكون إلا موافقا للشرع الذي جاءت به الرسل؛ حتى تتبين لك صحة ما جاء به بالأدلة العقلية، التي لا يحتاج فيها إلى خبر مخبر ولو كان معصـومًا، لكن تتعاضـد الأدلة السـمعية والعقلية الخبرية والنظرية، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53]. ولكن الناس متفاوتون في هذا، بحسب ما يؤتيهم الله من العقل والمعرفة والنظر والا ستدلال والتمييز، فكل من كان أكمل في معرفة الصواب من هذا، كان أكمل في معرفة الموافقة والمطابقة. وهذا أمر يخبر به من خبره؛ فقد= =يكون الرجل قبل أن يسـتيقن ما جاءت به السـنة، عنده شبهة ووهم؛ لظنه أنه قد عارضها ما يعارضها به المعارض، إما من عقلياته، وإما من ذوقياته، وإما من سياساته. فإذا هداه الله وأرشده، تبين له في آخر الأمر أن ما وافق الشرع هو المعقول الصريح، وهو الذوق الصحيح، وهو السيا سة الكاملة. وأن ما خالف ذلك، هو من أمور أهل الجهل والظلم، والله يقول الحق وهو يهدي الـ سبيل: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس:25]» (درء تعارض العقل والنقل، 1391هـ، 3/ 63).

وكيف يجوز للمتعبد أن يعارض الرسول في تحليله ما كان حرامًا على قوم، ويستدل بذلك على كذبه بعد أن جاء بالبينة، وأوجب العقل تصديقه وتحكيمه؟ أليس هذا تحكمًا وضلالا، وعدولا عن الحق[1]؟!

وجه آخر في إثبات النسخ بأصولهم

نقول لهم: هل أنتم اليوم على ملة موسى عليه السلام؟

فإن قالوا: نعم.

(1) أورد السموأل هنا كلاما بعنوان: «إفحام اليهود والنصارى بالحجة العقلية، وإلزامهم الإسلام». آثرت نقله إلى الفصل التالي؛ حتى لا يفصل بين الكلام على النسخ. ويتفق مع ما يرد عن «إلزامهم نبوة المسيح ومحمد».

قلنا لهم: أليس في التوراة أنَّ مَنْ مَسَّ عظْمًا، أو وَطِئَ قبرًا، أو حَضَرَ ميتًا عند موته، فإنه يصير من النجاسة في حال، لا مخرج له منها إلا برماد البقرة، التي كان الإمام الهاروني يحرقها[1]؟ فلا يمكنهم مخالفة ذلك لأنه نص ما يتداولونه[2].

فنقول لهم: فهل أنتهم اليوم على ذلك؟

فيقولون: لا نقدر عليه!

فنقول لهم: فلِمَ جعلتم أنَّ مَن لَمَسَ العظم والقبر والميت فهو طاهر، يصلح للصلاة، وحمل المصحف، والذي في كتابكم بخلافه؟

---

(1) انظر الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد.

(2) عدد 19:16 وكل من مسّ على وجه الصحراء قتيلا بالسيف، أو ميتا، أو عظم إنسان، أو قبرًا- يكون نجسًا سبعة أيام. 17 فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية، ويجعل عليه ماء حيّا في إناء. 18 ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة، وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي مسّ العظم، أو القتيل، أو الميت، أو القبر. 19 ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث، واليوم السابع. ويطهّره في اليوم السابع، فيغسل ثيابه، ويرحض بماء، فيكون طاهرًا في المساء. 20 وأما الإنسان الذي يتنجّس ولا يتطهّر، فتباد تلك النفس من بين الجماعة؛ لأنه نجّس مقدس الرب. ماء النجاسة لم يرش عليه. إنه نجس. 21 فتكون لهم فريضة دهرية. والذي رشّ ماء النجاسة يغسل ثيابه. والذي مسَّ ماء النجاسة يكون نجسًا إلى المساء. 22 وكل ما مسّه النجس يتنجّس. والنفس التي تمسّ تكون نجسة إلى المساء».

أما إن قالوا: لأنَّا عدمنا أسباب الطهارة، وهي رماد البقرة، والإمام المُطَهِّر المُسْتَغْفِر.

قلنا: فهل ترون هذا الأمر- مع عجزكم عن فعله- مما تستغنون في الطهارة عنه، أم لا؟

فإن قالوا: نعم قد نستغني عنه. فقد أقروا بالنسخ لتلك الفريضة؛ لحال اقتضاها هذا الزمان.

وإن قالوا لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقروا بأنهم الأنجاس أبدًا، ماداموا لا يقدرون على سبب الطهارة!

فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاسًا- على رأيكم وأصولكم، فما بالكم تعتزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام، اعتزالا تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب المرأة؛ لاستنجستموه مع ثوبه[1]؟

فإن قالوا: لأن ذلك من أحكام التوراة.

(1) لاويين 12:2 «كلم بني إسرائيل قائلا: إذا حبلت امرأة، وولدت ذكرًا، تكون نجسة سبعة أيام. كما في أيام طمث علتها تكون نجسة».

قلنا: أليس في التوراة أن ذلك يُراد به الطهارة؟! فإن كانت الطهارة قد فاتتكم، والنجاسة التي أنتم فيها على معتقدكم لا ترتفع بالغسل كنجاسة الحيض، فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض!

ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا كانت على غير ملتكم، ولا تستنجسون لامسها، ولا الثوب الذي تلمسه.

وتخصيص هذا الأمر- أعني نجاسة الحيض بطائفتكم- مما ليس في التوراة.

فهذا كله منكم نسخ، أو تبديل[1]!

فإن قالوا: إن هذا، وإن كان النص غير ناطق به، فقد جاء في الفقه.

(1) يقول ابن القيم عن اليهود في هذا الجانب: «إنهم يزعمون أن الفقهاء إذا أحلوا لهم الشيء صار حلالا، وإذا حرَّموه صار حرامًا، وإن كان نص التوراة بخلافه. وهذا تجويز منهم لنسخهم ما شاءوا من شريعة التوراة. فحجروا على الرب- تعالى وتقدس أن ينسخ ما يريد من شريعته، وجوَّزوا ذلك لأحبارهم وعلمائهم» (إغاثة اللهفان 2/ 328).

قلنا لهم: فما تقولون في فقهائكم؟ هل الذي اختلفوا فيه من مسـائل الخلاف والمذاهب، على كثرتها لديكم، كانت ثمرة اجتهاد واستدلال، أو منقولا بعينه[1]؟

فهم يقولون: إن جميع ما في كتب فقهنا، نقله الفقهاء، عن الأحبار، عن الثقات من السلف، عن **يهوشع بن نون**[2]، عن موسى الكليم- عليهما السلام، عن الله تعالى.

(1) المسـائل التي لم يرد فيها دليل شـرعي قطعي، اجتهد الفقهاء فيها فاختلفوا. وهناك دراسـات كثيرة- قديمة وحديثة- لأسباب هذه الاختلافات التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- الاختلاف في ثبوت النص، وعدم ثبوته.
- الاختلاف في فهم النص، من ناحية اللغة والبيان. وفي هذا تباين قدرات المجتهدين ومُكْناتهم. =
- = الاختلاف في طرق الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة الظاهر. فحين لا يكون النص سالمًا من المعارض، يُعمل بعض الفقهاء النسخ، ومنهم من يُعمل الجمع بين النصين المتعارضين، ومنهم من قال بالتساقط، أو التخيير، أو التوقف.
- الاختلاف في القواعد الأصـولية وبعض طرائق الاسـتنباط، فلكل إمام قواعد وشـروط في قبول الحديث ورده، ولكل وجهته ومنهجه في الاسـتنباط. فمنهم من يعد عمل الصـحابي أو فتواه حجة، وهناك من يعتبر عمل أهل المدينة حجة شرعية، وهناك الاختلاف: هل النهي يقتضي الفساد، أم لا؟ وغير ذلك.
- التباين في إدراك المصـالح والمفاسـد، والمنافع والمضـار، والاختلاف في تطبيق النص على الواقع، وهو ما يُعرف عند الأصوليين بتحقيق المناط .

(2) يَشوَّع بن نون: هو المقابل العربي للا سم العبري «يهو شواع»، ومعناه «يهوه هو الخلاص». دعاه مو سى «يشوع». وهو يُسمَّى أيضـًا «يوشـع». وهو خليفة موسى وخادمه، وابن نون من سـبط إفرايم. وُلد في مصر، وأرسلـه موسـى مع كـالب ليتجسـسا. ويُصـوِّره العهد القديم باعتباره نبيًا وقائدا عسـكريًا، قاد القبائل العبرانية إلى أرض كنعان، واقتحمها حسـب الرواية التوراتية بعد معارك ضـارية مع العموريين، والمؤابيين، والفرزيين، والكنعانيين، والحيثيين، والجرجاشـيين، والحوريين، واليبو سيين، فأحرقوا بعض مدنهم وقتلوا رجالهم مستخدمين الو سائل كافة. ومن ذلك الخداع والتجسس عن طريق العاهرات (1250ـ1200 ق.م). اسـتمر يشـوع بن نون في حكم العبرانيين مدة ثمانية وعشرين عامًا.

فيلزمكم في هذا: أن المســألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهائكم، يكون كلُّ واحد منهما، ينقل مذهبه فيها نقلا مســندًا إلى الله ﷻ. وفي ذلك من الشــناعة اللازمة لهم: أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه. وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه!

فإن قالوا: إن هذا الخلاف غير مســتعمل؛ لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المذهب في المسألة، يرجعون بها إلى أصل واحد، هو المقطوع به.

قلنا: إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد، إمَّا لأن أحدهم رجع عمَّا نقل، أو طعن في نقله، فيلزمه الـ سقوط عن العدالة، ولا يجوز لكم أن تعاودوا الالتفات إلى نقله، وإما أن يكون الفقهاء اجتمعوا على نســخ أحد المذهبين، أو تكون رواية أحدهما ناســخة لرواية الآخر.

وما من الفقهاء إلا من ألغى مذهبه في مسائل كثيرة(1).

وهذا جنون ممن لا يُقِرُّ بالنسخ، ولا يرى كلام أصحاب الخلاف اجتهادًا ونظرًا(2)، بل نقلا محضًا(3).

(1) الفقيه قد يتردد نظره في المسألة الواحدة من وقت لآخر، فيقول في وقت غير ما قال فيها في وقت آخر. وهذا الاختلاف في عين المسألة أو نوعها من العلم، قد يسمى تناقضًا؛ لأن التناقض: اختلاف مقالتين بالنفي والإثبات. فإذا كان الفقيه في وقت قد قال: إن هذا حرام. وقال في وقت آخر فيه، أو في مثله: إنه ليس حرام، أو قال ما يستلزم أنه ليس بحرام- فقد تناقض قولاه. فإذا اعتقد العالم اعتقادين متناقضين في قضية أو قضيتين؛ مع قصده للحق، واتباعه لما أمر باتباعه من الكتاب والحكمة- عُذِر بما لم يعلمه، وهو الخطأ المرفوع عنا. بخلاف أ صحاب الأهواء. و سبب الفرق بين أهل العلم وأهل الأهواء- مع وجود الاختلاف في قول كل منهما: أن العالم قد فعل ما أُمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده دليله، فالمجتهد الاجتهاد العلمي المحض ليس له غرض سوى الحق. وقد سلك طريقه، وأما متبع الهوى المحض: فهو من يعلم الحق ويعاند عنه (انظر: القواعد النورانية الفقهية: ابن تيمية، ص127- 130).

(2) كلام أهل الاجتهاد ينبغي أن يكون- عند أنفسهم- صوابًا يحتمل الخطأ، وينبغي أن يكون- عند مخالفهم- خطأ يحتمل الصواب. والمجتهد- في حالي الإصابة والخطأ- مثاب. كما بين النبي ﷺ قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر» (أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (6919). ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (1716).

(3) يبين السموأل هنا أن الخلاف في الرأي بين أتباع الدين واقع. وهذا لا يمكن اعتباره خلافا في النقل؛ لأن المنقول عن الرسول لا يختلف. واليهود وضعوا أنفسهم في تناقض حين نقلوا آراء الفقهاء المتناقضة، واعتبروها من أصل الدين. ثم هم يقولون بأن النص الديني لا ينسخ بعضه بعضا. فجعلوا كلام البشر المتناسخ المتناقض وحيا، مع أنهم حظروا النسخ عن الله تعالى!

إلزامهم النسخ بوجه آخر

نقول لهم: ما تقولون في صلواتكم[1] وأصوامكم[2]؟ فهل هي التي فارقكم عليها موسى ﷺ؟

فإن قالوا: نعم.

قلنا: فهل كان موسى عليه السلام وأمته يقولون في صلواتهم- كما تقولون:

«نقاع شوفار كادول تحيرو تيئنو و سانيس لقنو حينوا وقبعنو بأحد م ساء رباع كنفوت هاأرض إن نوى قد شيخا باروخ»؟

---

(1) الصلاة أهم الشعائر التي تُقام في المعبد اليهودي. ويذكر سفر التكوين جملة صلوات متفرقة وعبادات، كما يذكر الضحايا والقرابين التي يجب أن يقدمها اليهودي للإله. ولم تكن الصلوات في بادئ الأمر محدَّدة ولا إجبارية، بل كانت تُتلى ارتجالاً حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعامة.

(2) كلمة « صوم» العربية تقابلها في العبرية كلمة «تسوم». ويصوم اليهود عدة أيام متفرقة من السنة أهمها صوم يوم الغفران، وهو الصوم الوحيد الذي ورد في أسفار موسى الخمسة، حيث جاء فيها: (لاويين 23:27) «أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفّارة محفلا مقد سا يكون لكم تذللون نفو سكم وتقربون وقودا للرب». وقد أُخذت هذه العبارة على أنها إشارة إلى الصوم.

تفسـيره: اللهمَّ اضـربْ ببوق عظيم لِعِتْقِنا! واقبضْـنا جميعًا من أقطار الأرض إلى قدسـك! سبحانك يا جامعَ تشتيت قومه إسرائيل[1]!

أم هل كانوا يقولون على عهد موسى عليه السلام كما تقولون في كل يوم:

«هاشـيب شـو فطينوا كبار يشـؤنا ويوعصـينوا كبتحلا وانبى إث يروشـالام عين قد سـخا بحيدنوا وناحمينوا بنياناه باروخ انا أذوناي بؤي برشالايم».

تفسيره: ارْدُدْ حكامنا كالأولين، ومشيرينا كالابتداء. وابْنِ يروشليم- قرية قدسك في أيامنا، وأعزنا ببنائها، سبحانك يا باني يروشليم!

أم هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة[2]؟!

(1) حنين اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة ورد في سفر أشعياء 27:12 «ويكون في ذلك اليوم أن الرب يجني من مجرى النهر إلى وادي مصر. وأنتم تلقطون واحدًا واحدًا يا بني إسرائيل. 13 ويكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم، فيأتي التائهون في أرض آشور، والمنفيون في أرض مصر، ويسجدون للرب في الجبل المقدس، في أورشليم».

(2) مع التهجير إلى بابل، بطلت الضحايا والقرابين، وظهرت العبادات بالصلوات. وقد بدأ علماء المجمع الأكبر في وضع قوانينها وفي تقنينها ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد. ولم تكتمل هذه العملية إلا بعد هدم الهيكل وانتهاء العبادة القربانية المركزية التي كانت تأخذ شكل تقديم الحيوانات والنباتات، وحلت محلها الصلاة. وا ستغرقت هذه العملية، وقتاً طويلاً. ولم تستقر تماماً، إذ كان يضاف إلى الصلوات قصائد يؤلفها الشعراء الدينيون. ثم أُدخلت تعديلات جذرية على الصلوات ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر. ولا يزال مضمون الصلوات خاضعاً للتغيير حسب التغيرات السياسية والأحداث التاريخية. (موسوعة اليهود واليهودية).

وأما صوم إحراق بيت المقدس، و صوم حـ صاره، و صوم كدليا، التي جعلتموها فر ضًا. وصوم صلب **هامان.** هل كان موسى عليه السلام يصومها، أو أمر بها هو، أو خليفته **يوشع بن نون**؟

هل هذه الأمور مفترضـــة في التوراة، أو زِيدتْ لأســباب اقتضــتْ ز يادتها في هذه الأعصار[1]؟!

فإن قالوا: فكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر؟

قلنا: لأن التوراة نطقت بهذه الآية:

«لوثوا سيفو على هذابار أشيرا نوخي فعوى اثحنيم ولو نغير عوممينو».

(1) هناك أيام صـوم عديدة أخرى مرتبطة بأحزان اليهود وردت في كتب العهد القديم- غير أسـفار موسـى الخمسـة. ومعظم هذه الأيام مناسـبات قومية. ومن أهمها التاسـع من ب، يوم هدم الهيكل (خراب الهيكل في المُصـطلَح الديني) الأول والثاني، والسـابع عشـر من تموز الذي يصـوم فيه اليهود بسـبب مجموعة من الكوارث القومية، وردت في التلمود، فهو اليوم الذي حطم فيه موسـى لوحي الشـريعة، وهو اليوم الذي نجح فيه تيتوس في تحطيم حوائط القدس، ودخل فيه نبوختنصر إلى المدينة، وحرق فيه الجنرال السوري إتسونيوموس لفائف الشريعة، وأقام فيه بعض الحاخامات أوثاناً على جبل صهيون. كما يصوم اليهود العاشر من طيبت، وهو اليوم الذي بدأ فيه نبوختنصر حصار القدس. ويصومون كذلك الثالث من تشري، وهو ما يُعرَف باسم «تسوم جداليا»؛ لإحياء ذكرى حاكم فلسطين الذي ذُبح بعد هدم الهيكل. ويصوم اليهود أيضـاً في الثالث عشـر من آذار «صـيام إسـتير»، ويقع قبل عيد النصـيب. وقد قرر الحاخامات أيام صـيام أخرى إضافية. (موسوعة اليهودية والصهيونية).

تفسيره: لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئا، ولا تنقصوا منه شيئا[1].

وإذا زدتم أشياء من الفرائض، فقد نسختم تلك الآية[2].

إثبات النسخ على وجه آخر[3]

نقول لهم: أليس عندكم أن الله اختار من بني إســرائيل الأبكار؛ ليكونوا خواص في الخدمة للأقداس[4]؟

فيقولون: بلى!

(1) تثنية 4:2.

(2) يعلق ابن القيم هنا يقول: «وقد تضــمنت التوراة أوامر كثيرة جدًا، هم مجمعون على تعطيلها وإلغائها. فإما أن تكون منسوخة بنصوص أخرى من التوراة، أو بنقل صحيح عن موسى ، أو باجتهاد علمائهم. وعلى التقادير الثلاث، فقد بطلت شــبهتهم في إنكار النســخ. ثم من العجب أن أكبر تلك الأوامر، التي هم مجمعون على عدم القول والعمل بها، إنما يســتندون فيها إلى أقوال علمائهم وأمرائهم! وقد اتفقوا على تعطيل الرجم للزاني، وهو نص التوراة، وتعطيل أحكام كثيرة منصوصة في التوراة» (إغاثة اللهفان 2/ 327-328).

(3) لم ينقل ابن القيم هذا الوجه فيما نقل من الإفحام.

(4) خروج 13: 1 «وكلم الرب موسى قائلا: 2 قدس لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس، ومن البهائم. إنه لي». وفي سفر العدد 3: 11 «وكلم الرب موسى قائلا: 12 وها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل، بدل كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل، فيكون اللاويون لي. 13 لأن لي كل بكر. يوم ضربت كل بكر في أرض مصر، قد ست لي كل بكر في إسرائيل، من الناس والبهائم. لي يكونون. أنا الرب».

فنقول لهم: أليس عندكم أيضًا أن موسى عليه السلام لما نزل من الجبل وبيده الألواح، ووجد القوم عاكفين على العجل[1]، وقف بطرف المعسكر و نادى: «من كان لله فليحضرني»... فانضم إليه بنو ليوي، ولم ينضم إليه البكور[2]؟

على أن مناداته، وإن كان لفظها يقتضي العموم، لم يكن أشار بها إلا إلى البكور؛ إذ هم خاصة الله يومئذ، دون أولاد ليوي. فلما خذله البكور، ونَصَرَه أولاد ليوي، قال الله لموسى:

«**وإقاح إث هلوييم تاحث كل بخور ببني يسرابيل**».

(1) عبادة اليهود للعجل في سفر الخروج 32:19 «وكان عندما اقترب إلى المحلّة أنه أبصر العجل والرقص. فحمي غضب موسى، وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل. 20 ثم أخذ العجل الذي صنعوا، وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعمًا، وذراه على وجه الماء، وسقى بني إسرائيل». وفي القرآن: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:51].

(2) خروج 26 :32 «وقف موسى في باب المحلّة. وقال: من للرب، فإليّ! فاجتمع إليه جميع بني لاوي».

تفسيره: وقد أخذت الليوانيين عوضًا عن كل بكر في بني إسرائيل[1].

وفي عقيب نزول هذه الآية، أليس أن الله عزل الأبكار عن ولاية الاختصاص، وأخذ أولاد ليوي عوضًا عنهم؟

فهم لا يقدرون على إنكار ذلك. وهذا يلزمهم منه القول بالبداء[2]، أو النسخ[3].

(1) عدد 3:45 «خذ اللاويين بدل كل بكر في بني إسرائيل، وبهائم اللاويين بدل بهائمهم. فيكون لي اللاويون. أنا الرب».

(2) البداء: الرجوع عما قد قدره وقضاه. ولا يتحقق ذلك في وصف الله سبحانه؛ لأن علم الباري متعلق بجملة المعلومات على ما هي عليه، لا يتجدد له علم لم يكن. والتردد على الله تعالى محال. وكمال الإرادة الإلهية دال على نفي ما يستلزم العجز، من وقوع ما يكره الله تعالى وقوعه في ملكه من غير سبق قدر منه، أو تخلية مرادة لحكمة، أو نحو ذلك. وذلك لكمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وعموم ربوبيته، وكبرياء عظمته؛ بحيث لا يجوز عليه عدم القدرة على اللطف بالعصاة. =

= والنسخ ليس بداءً؛ لأن معنى البداء استفادة علم لم يكن، وقد يكون عبارة عمن يهم بأمر ويقصده، ثم يندم على ما قدم. (إيثار الحق على الخلق: محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، ص 248. الغنية في أصول الدين: عبد الرحمن بن محمد، ص 156).

ومما ينسبه اليهود إلى الله، ويعطي معنى البداء، ما في سفر الخروج 32: 9 «وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة. 10 فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم! وأفنيهم.فأ صيِّرك شعبًا عظيمًا! 11 فتضرع موسى أمام الرب إلهه،.وقال: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوّة عظيمة ويد شديدة؟. 12 لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض! ارجع عن حمو غضبك! واندم على الشر بشعبك! 13 اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض الذي تكلمت عنها، فيملكونها إلى الأبد. 14 فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه».

(3) يقول ابن القيم: «ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء. ثم يقولون إنه ندم وبكي على الطوفان، وعاد في رأيه، وندم على خلق الإنسان. وهذه مضارعة لإخوانهم من عبَّاد الصليب، الذين نزَّهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد، ثم نسبوهما إلى الفرد الصمد» (هداية الحيارى، ص174).

(2)

إفحام اليهود والنصارى بالحجة العقلية[1] وإلزامهم[2] الإسلام[3]

لا يسع عاقلا أن يُكذب نبيًا ذا دعوة شائعة، وكلمة قائمة، ويصدق غيره، لأنه لم يرَ أحدهما، ولا شاهد معجزاته. فإذا اختص أحدهما بالتصديق، والآخر بالتكذيب، فقد تعيَّن عليه الملام والإزراء عقلا[4].

ولنضرب لذلك مثالا، وهو أنَّا إذا سألنا يهوديًا عن موسى ﷺ، وهل رآه، وعاين معجزاته؟ فهو بالضرورة يقر بأنه لم يشاهد شيئا من ذلك عيانًا.

***

(1) هذا الكلام من السموأل خارج عن منهج الإلزام الذي ذكرناه في التصدير، إذ هو كلام عقلي صرف، والسموأل نفسه يشير إلى ذلك في عنوانه.

(2) وهذا الإلزام يأتي به السموأل من جهة التواتر.

(3) يقدم ابن القيم لهذا الفصل يقول: «ولا يمكن ألبتة أن يؤمن يهودي بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ. ولا يمكن نصرانيًا أن يُقِرَّ بنبوة المسيح، إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ» (إغاثة اللهفان 2/ 347).

(4) يقول ابن القيم هنا: «فمن كفر بنبي واحد، فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعْه إيمانُه به، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ ﴾[النساء:150-152]. وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[البقرة:285]» (إغاثة اللهفان 2/ 348).

[دليل التواتر]:

فنقول له: بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه؟

فإن قال: إن التواتر قد حقَّقَ ذلك. وشهادات الأمم بصحته دليل ثابت في العقل، كما قد ثبت عقلا وجود بلاد وأنهار لم نشاهدها، وإنما تحققنا وجودها بتواتر الأنباء والأخبار.

قلنا: إن هذا التواتر موجود لمحمد وعيسى- عليهما السلام، كما هو موجود لموسى، فيلزمك التصديق بهما[1].

(1) قال ابن القيم هنا: «فإن قلتَ: تواترَ ظهورُ موسى ومعجزاته وآياته، ولم يتواتر ذلك في المسيح ومحمد- عليهما الصلاة والسلام. قيل لك: هذا هو اللائق بِبَهْت الأمة الغضبية؛ فإن الأمم جميعهم قد عرفوا أنهم قوم بَهْت، وإلا فمِن المعلوم أن الناقلين لمعجزات المسيح ومحمد ﷺ أضعاف أضعافكم بكثير، والمعجزات التي شاهدها أوائلهم، لا تنقص عن المعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام. وقد نقلها عنهم أهل التواتر جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن. وأنت لا تقبل خبر التواتر في ذلك وترده، فيلزمك أن لا تقرَّ به في أمر موسى عليه السلام. ومن المعلوم بالضرورة: أن من أثبت شيئا ونفى نظيره، فقد تناقضَ» (إغاثة اللهفان 2/ 349).

[لا حجة في شهادة الآباء]:

وإن قال اليهودي: إن شهادة أبي عندي بنبوة موسى هي سبب تصديقي بنبوته.

قلنا له: ولِمَ كان أبوك عندك صادقا في ذلك، معصومًا عن الكذب، وأنت ترى الكفار أيضًا يعلمهم آباؤهم ما هو كفر عندك[1]. إما تعصبًا من أحدهم لدينه، وكراهية لمباينة طائفته، ومفارقة قومه وعشيرته، وإما لأن أباه وأشياخه نقلوه إليه فتلقنه منهم، معتقدًا فيه الهداية والنجاة[2]؟

فإذا كنتَ- يا هذا- قد ترى جميع المذاهب التي تكفر بها، قد أخذها أربابها عن آبائهم، كأخذك مذهبك عن أبيك، وكنت عالمًا أن ما هم عليه ضلالٌ وجهلٌ! فيلزمك أن تبحث عما أخذته عن أبيك؛ خوفا من أن تكون هذه حالته[3]!

---

(1) الكفر والإيمان نسبيان، كما قال الله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:256). وكل صاحب دين يرى غيره كافرا؛ لأنه لا يؤمن بما يؤمن هو به. وعند المسلمين: من يكذب بالقرآن، ويقول هو كلام محمد، ومن لا يؤمن بمحمد نبيًا خاتمًا، ورسولا من عند الله- يعد كافرًا. أما المسلمون فيؤمنون بكل كتب الله، ويؤمنون بجميع أنبيائه. ومع ذلك يعدهم اليهود والنصارى كفارًا. وهذا عجيب! فبأي شيء كفروا؟!

(2) يذكر السموأل هنا للكفر أسبابًا ثلاثا: 1- تعصب المرء لدينه بالهوى. 2- كراهية مخالفة طائفته، ومفارقه أهله وأحبابه. 3- تقليد الآباء والمشايخ.

وهناك أسباب أخرى ذكرها ابن القيم في هداية الحيارى (ص42)، هي: 1- الجهل بالحق. 2- الحسد وبغض من دعاه للحق. 3- الخوف من عشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه.

(3) يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:104].

فإن قال: إن الذي أخذته عن أبي أصــحُّ مما أخذه الناس عن آبائهم، لزمه أن يقيم البرهان على نبوة موسى من غير تقليد لأبيه؛ لأنه قد ادعى صحة ذلك بغير تقليد[1].

وإن زعم أن العلة في صحة ما نقله عن أبيه: أن أباه يرجح على آباء الناس بالصدق والمعرفة، كما تدعى اليهود في حق آبائها[2]، لزمه أن يأتي بالدليل على أن أباه كان أعقل من ســائر أباء الناس وأفضل! فإن هو ادَّعى ذلك كُذب فيه؛ لأن من هذه صفته، يجب أن يُستدل على فضائله بآثاره[3].

(1) يقول الله سبحانه: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[الزخرف:22-25].

(2) يبين القرآن هذا بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[المائدة:18].

(3) قال ابن القيم هنا: «قيل له: فما يؤمِنكَ أن يكون غيرُ أبيك أ صدق من أبيك وأفضل وأعرف؟! وبكل حال، فإن كان تقليد أبيه حُجَّة صحيحة، كان تقليد غيره لأبيه كذلك. وإن كان ذلك باطلا، كان تقليده لأبيه باطلا» (إغاثة اللهفان 2/ 349).

وقول اليهود باطل بأنه ليس لهم من الآثار في العالم ما لغيرهم مثله. بل على الحقيقة- لا ذكر لهم بين الأمم الذين استخرجوا العلوم الدقيقة ودونوها لمن يأتي بعدهم. وجميع ما نسب إليهم من العلوم، مع ما استفادوه من علوم غيرهم، لا يضاهي بعض الفنون الحكمية التي استخرجها حكماء اليونان، والعلوم التي استنبطتها النبط(1).

وأما تصانيف المسلمين، فيستحيل لكثرتها أن يقف أحد من الناس على جميع ما صنفوه في أحد الفنون العلمية؛ لسعته وكثرته(2).

---

(1) يقول العلامة جوستاف لوبون في كتابه «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (ص15)»: «لم يكن لليهود فنون، ولا علوم، ولا صناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة. واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية. واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ. وإذا ما صارت لليهود مدن في نهاية الأمر، فلما أدت إليه أحوال العيش بين جيران بلغوا درجة رفيعة من التطور، بيد أن اليهود كانوا غاية في العجز».

(2) المخطوطات العربية هي السجل الحافل للإنتاج الفكري والأدبي والعلمي للأمة الإسلامية، على امتداد أربعة عشر قرنا. وما وصل إلينا منها يعد قليلاً مما أنتجه علماء المسلمين في كل مجالات المعرفة. وقد احتوت مكتبات المدن الإسلامية الكبرى- في ذلك الوقت- مئات الآلاف من الكتب المخطوطة مثل مكتبة الخليفة الأندلسي الحكم الثاني، التي يروي المؤرخون أنها احتوت على أربعمئة ألف مجلد، ومكتبة «دار العلم» في بغداد، وقد احتوت أكثر من عشرة آلاف مجلد في مختلف العلوم والفنون، ومكتبة بني عمار في طرابلس الشام التي قيل إن عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مجلد. وقد حوت جميع أنواع المعارف الإنسانية، كالآداب والفلسفة والتاريخ والطب والفلك وغيره. وغير ذلك مكتبات دمشق، والقاهرة، وغرناطة، وإشبيلية، والمدن الإسلامية الأخرى. ولا يزال تراث المسلمين المخطوط شاهدًا على عظمة حضارتنا. ويمتد هذا التراث بطول حقب من الزمن لقرون طويلة، وهو تراث للإنسانية قاطبة، ينهل منه علماء الأرض ألواناً= =من الفن والأدب والعلوم، ويخصص له قسم في كثير من المكتبات الوطنية. ويبلغ حجم المخطوطات العربية في مكتبات العالم نحو ثلاثة ملايين مخطوط.

وإن كان هذا موقعهم من الأمم، فقد بطل قولهم: إن آباءهم أعقل الناس، وأفضلهم، وأحكمهم. ولهم أسوة بسائر آباء الناس المماثلين لهم، من ولد سام بن نوح- عليهما السلام[1].

فإذا أقروا بتأسي[2] آبائهم بآباء غيرهم، فقد لقنوهم الكفر، ولزمهم أن شهادة الآباء لا تجوز أن تكون حجة في صحة الدين، فلا تبقى لهم حجة بنبوة موسى إلا شهادة التواتر. وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد- عليهما السلام، كوجوده لموسى. وإذا كانوا قد آمنوا بموسى بشهادة التواتر بنبوته، فقد لزمهم التصديق بنبوة المسيح والمصطفى[3].

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: 13].

(2) تأسي: مساواة.

(3) أورد السموأل هذا الكلام وسط الفصل السابق، الذي يتكلم عن النسخ. ومكانه ليس هناك فيما أرى؛ حتى لا يقطع الكلام عن النسخ، ولكنه هنا، كما وضعته. وربما أتى هذا الاضطراب من استمرار إضافة السموأل لكتابه، وأنه لم يؤلفه في زمن واحد.

(3)

فصل فيما يحكونه عن ع عليه السلام

هم يزعمون أنه كان من العلماء، لا من الأنبياء[1]. وأنه كان يُطَبِّب المرضى بالأدوية، ويوهمهم أن الانتفاع إنما حصل لهم بدعائه.

وأنه أبرأ جماعة من المرضى من أسقامهم في يوم السبت[2]، فأنكرت عليه اليهود ذلك. فقال لهم: أخبروني عن الشاه من الغنم، إذا وقع في البئر يوم السبت، أما تنزلون إليه، وتُحلون السبت لتخليصه؟

قالوا: بلى.

(1) يعتقد اليهود في المسيح عيسى بن مريم وأمه اعتقادات باطلة كثيرة، وقد كفروا به، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:6].

(2) السبت في شريعة اليهود منهي عن العمل فيه. فهم يعتقدون أن الله استراح فيه بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. ففي سفر الخروج 20:11 «لأن في ستة أيام، صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه».

يقول الله تعالى- ردًا لهذه العقيدة الباطلة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:38].

قال: فلِمَ أحللتم السبت لتخليص الغنم، ولا تُحلونه لتخليص الإنسان، الذي هو أكبر حرمة من الغنم[1]؟!

فأفحمهم، ولم يؤمنوا.

وأيضًا، فإنهم يحكون عنه أنه كان مع قوم من تلاميذه في جبلٍ، ولم يحضرهم الطعام، فأذن لهم في تناول الحشيش في يوم السبت. فأنكرت عليه اليهود قطع الحشيش في يوم السبت. فقال لهم: أرأيتم لو أن أحدكم كان وحيدًا مع قوم على غير ملته، وأمروه بقطع النبات في يوم السبت، وإلقائه لدوابهم، لا يقصدون بذلك كسر السبت. ألستم تجيزون له قطع النبات؟

قالوا: بلى.

(1) متى 12 : 10 «وإذا إنسان يده يابسة. فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت؟ لكي يشتكوا عليه! 11 فقال لهم: أي إنسان منكم يكون له خروف واحد، فان سقط هذا في السبت في حفرة، أفما يمسكه ويقيمه؟ 12 فالإنسان كم هو أفضل من الخروف. إذا يحل فعل الخير في السبوت!».

قال: فإن هؤلاء القوم أمرتهم بقطع النبات ليأكلوه، وليغتذوا به، لا للطعن في أمر السبت[1].

كل ذلك ملاطفة منه لعقولهم التي لا ينطبع فيها النسخ[2]، ولئن كان ما يحكونه من ذلك صحيحًا[3]، فلعله كان في ابتداء ظهور أمر المسيح عليه السلام.

إلزامهم نبوة المسيح ﷺ[4]

نقول لهم: أليس في التوراة التي في أيديكم:

«لو ياسور شبيط ميهودا ومحط قيومبين رغلاف»؟

(1) مرقس 2:23 «واجتاز في السبت بين الزروع. فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون. 24 فقال له الفريسيون: انظر! لماذا يفعلون في السبت ما لا يحل؟ 25 فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه؟ 26 كيف دخل بيت الله في أيام أبيأثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا للكهنة، وأعطى الذين كانوا معه أيضا؟! 27 ثم قال لهم: السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. 28 إذا ابن الإنسان هو رب السبت أيضا».

(2) يقصد السموأل أن المسيح أتى بنسخ السبت اليهودي، ولكنه لم يصرح لليهود بداية بذلك تدرجًا معهم. أو أن هذه الواقعة كانت في بداية دعوته، وقبل أن يأتيه التشريع بنسخ السبت.

(3) يقف السموأل هنا على قاعدة: «لا تصدقوهم، ولا تكذبوهم». وقد أرساها النبي ﷺ قال: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله ورسله. فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه» (أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (3644). وأحمد في المسند، حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه (17264). وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق (6257). وحسنه الأرناؤوط.

(4) يلزم السموأل اليهود بنبوة المسيح- عليه السلام- من طريقين: أحدهما البشارة به في التوراة. والآخر التواتر.

تفسيره: لا يزول المُلك من آل يهوذا، والراسم بين ظهرانيهم، إلى أن يأتي المسيح[1].

ولا يقدرون على جحده.

فنقول لهم: أفما علمتم أنكم كنت أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح عليه السلام، ثم انقضى مُلككم؟! فإن لم يكن لكم اليوم مُلك، فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل!

وأيضًا، فإنا نقول لهم: أليس منذ بُعث المسيح عليه السلام، استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس[2]، وانقضت دولتهم، وتفرَّق شملهم[3]؟

فلا يقدرون على جحْد ذلك إلا بالبهتان، ويلزمهم على أصلهم الذي في التوراة: أن عيسى بن مريم عليه السلام، هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه.

---

(1) تكوين 49:10 «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب».

(2) استولى الرومان على بلاد الشام حوالى عام 65ق.م. واستمر سلطانهم عليها حتى فتحها المسلمون. فلم يكن لليهود فيها دولة. بل كانوا خاضعين للحكم الروماني. ومن هنا لا تصدق البشارة على المسيح. وإنما هي بشارة بمحمد ﷺ.

(3) ينقل ابن القيم عن السموأل النص والتعليق عليه، إلا أن القرافي يخالفهما، ويجعلها بشارة بمحمد ﷺ، على ما هو ثابت في الدراسات الحديثة في مقارنة الأديان (هداية الحيارى، ص167. وانظر: مقامع الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي، ص102. والأجوبة الفاخرة للقرافي، ص418-419. وانظر أيضًا: محمد نبي الإسلام لمحمد عزت الطهطاوي، ص23.

إلزامهم نبوته[1] ونبوة المصطفى عليهما السلام[2]

نقول لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

(1) يعني إلزام اليهود نبوة عيسى عليه السلام.

(2) يلزم السموأل هنا اليهود بنبوة محمد ﷺ من طريقين: أحدهما التواتر، والآخر معجزة القرآن الباقية أبدًا. وسوف يورد دليلا ثالثا بعد قليل، وهو البشارة به في التوراة.

فيقولون: وَلَدُ **يوسف النجار**(1) سِفاحًا(2)، كان قد عرف اسم الله الأعظم(3)، يُسَخِّر به

(1) لما أحست مريم بالحمل خشيت اتهام قومها لها بالزنا، فوافقت على خِطبة يوسف النجار لها، وقد كان هذا الرجل بارًا صالحًا، من بيت داود من أبناء عمّها، متَّقيًا لله تعالى، يتقرب إليه بالصيام والصلاة، ويرتزق من عمل يديه في النجارة. ثم إن مريم- عليها السلام- كا شفت يوسف خطيبها بما جرى لها، وبحملها بعد بشارة جبريل دون أن يمسَّها بَشَرٌ، فعزم هذا الرجل أن يترك خطبتها شكًا بأمرها. وبينما هو نائم، إذا بملاك الله يوبخه قائلاً: لماذا عزمت على إبعاد امرأتك؟! اعلم أن ما كُوِّن فيها إنما كُوِّن بمشيئة الله، وستلد العذراء ابنًا، وستدعونه يسوع، تمنع عنه الخمر والسكر وكل لحم نجس؛ لأنه قدوس الله من رحم أمه، وأنه نبيٌّ من الله، أُرسل إلى شعب إسرائيل. فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله، وأقام مع مريم كل حياته.

(2) عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه ﷺ. لا نغلو فيه كما غلا النصارى، فقالوا: ابن الله، وقالوا: ثالث ثلاثة. قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة:72]. وقال عزَّ اسمه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:73]. وننزهه عما افترى عليه اليهود، وننزه أمه الطاهرة البتول عما رماها به اليهود، أعداء الله، وقتلة أنبيائه. يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[آل عمران:42-43].

(3) اسم الله الأعظم: اسم الله الأعظم داخل في أسماء الله الحسنى، أم لا؟ فإن لم يدخل، فكيف يختص مزيد الشرف بما هو خارج عنها؟ وإن كان داخلا فيها، فكيف ذلك وهي مشهورة؟ والاسم الأعظم يختص بمعرفته نبي أو ولي. وقد قيل: إن آصف إنما جاء بعرش بلقيس؛ لأنه كان قد= =أوتي الاسم الأعظم. وهو سبب كرامات عظيمة لمن عرفه. فنقول يحتمل أن يقال إن اسم الله الأعظم خارج عنها، ويكون شرف هذه الأسامي المعدودة بالإضافة إلى جميع الأسماء المشهورة عند الجماهير، لا بالإضافة إلى الأسماء التي يعرفها الأولياء والأنبياء، ويحتمل أن يقال: إنها تشتمل على اسم الله الأعظم، ولكنه مبهم فيها لا يعرفه بعينه إلا ولي (المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبو حامد الغزالي، صفحة 169).

وعن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة:163]. وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران:1-2]». (أخرجه أبو داود، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء (1496). والترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات (3478). وابن ماجه، باب اسم الله الأعظم، باب اسم الله الأعظم (3855). وحسنه الألباني.

وعنه أيضًا قال: » إن النبي ﷺ سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك أن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام. فقال النبي ﷺ: »لقد سألت الله باسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى». (أخرجه أحمد في المسند، من حديث أنس بن مالك (12226). والنسائي، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء بعد الذكر (1300). وصححه الأرناؤوط.

كثيرًا من الأشياء[1].

فنقول لهم: أليس عندكم في أ صحِّ نقلكم أن مو سى عليه السلام قد أطلعه الله على الا سم المركب من اثنين وأربعين حرفًا[2]، وبه شق البحر، وعمل المعجزات[3]؟

فلا يقدرون على إنكار ذلك!

فنقول لهم: فإذا كان موسى أيضًا قد عمل المعجزات بأسماء الله، فلِمَ صدَّقتم بنبوته، وكذبتم بنبوة عيسى؟

---

(1) قال الدكتور محمد الشرقاوي (تحقيق إفحام اليهود، ص103): »فكرة الإحاطة با سم الله الأعظم، وتسخير الأ شياء به، فكرة يهودية، انتقلت إلى النصرانية، وانتحلها غلاة الباطنية، والمتفلسفة من الصوفية«.

(2) لا أدري ما أصح المصادر المذكورة! فليس في أسفار موسى ذكر لذلك.

(3) قال الدكتور محمد الشرقاوي (تحقيق إفحام اليهود، ص104): »فكرة الحروف والتسخير بها، فكرة يهودية كذلك. وا ستغلها الغلاة من الفلا سفة، والصوفية، والباطنية. انظر مثلا: »ر سالة الحروف« لابن مسرة الصوفي. نشرها الدكتور محمد كمال جعفر في كتابه »درا سات في الفلسفة الإ سلامية«، نشر دار العلوم بمصر. وهي أفكار أدخل في باب السحر والطلسمات والسيميا- منها إلى العلم الصحيح. ويعترف بها التلمود«.

فيقولون: لأن الله تعالى علَّم موسى الأسماء. وعيسى لم يتعلمها من الوحي، ولكنه تعلمها من حيطان بيت المقدس[1].

فنقول لهم: فإذا كان الأمر الذي يُتوصل به إلى عمل المعجزات قد يصل إليه من لا يختصه الله به، ولا يريد تعليمه إياه! فبأي شيء جاز تصديق موسى[2]؟

فيقولون: لأنه أخذها عن ربه.

فنقول: وبأي شيء عرفتم أنه أخذها عن ربه؟

(1) علق ابن القيم هما قائلا: «وهذا هو اللائق ببَهْتهم وكذبهم على الله تعالى وأنبيائه. وهو يسد عليهم العلم بنبوة موسى؛ لأن كلا الرسولين اشترك في المعجزات والآيات الظاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها. فإن كان أحدهما قد تعلمها بحيلة أو بعلم، فالآخر يمكن ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعًا أن الله ﷻ هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما. فتكذيب أحدهما، وتصديق الآخر، تفريق بين المتماثلين. وأيضًا فإنه لا دليل لهم على أن موسى تلقى تلك المعجزات عن الله تعالى، إلا وهو يدل على أن عيسى عليه السلام تلقاها أيضًا عن الله تعالى. فإن أمكن القدح في معجزات عيسى، أمكن القدح في معجزات موسى عليه السلام، وإن كان ذلك باطلا، فهذا أيضا باطل. وإذا كان هذا شأن معجزات هذين الرسولين، مع بعد العهد، وتشتت شمل أمتيهما في الأرض، وانقطاع معجزاتهما– فما الظنُّ بنبوة مَن معجزاته وآياته تزيد على الألف، والعهد بها قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرنا بعد قرن؟! وأعظمها معجزة، كتاب باقٍ غضٌّ طري، لم يتغير، ولم يتبدل منه شيء. بل كأنه منزل الآن. وهو القرآن العظيم. وما أخبر به يقع كل وقت، على الوجه الذي أخبر به، كأنه كان يشاهده عيانا!» (إغاثة اللهفان 2/ 347).

(2) معجزة النبي تخرق العادة، ويقترن بها تحدي قومه، ودعواه النبوة. أما الكاذب، فإما أن يمنع الله عنه ما يكون خارقا للعادة. أو لا يقترن ذلك بدعوى النبوة. وقد يقترن مع خوارقه ما يبين كذبه وضلاله، كالمسيح الدجال يكون معه العجائب، إلا أن دليل كذبه ادعاء الألوهية. قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدَّث به نبي قومه! إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار. وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه». (أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح:1] (3160). ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (2936).

فيقولون: بما تواتر من أخبار أسلافنا.

وأيضًا، فإنا نُلجئهم إلى نقل أسلافهم؛ بأن نقول لهم: بماذا عرفتم نبوة موسى؟

فإن قالوا: بما عمله من المعجزات.

قلنا لهم: وهل فيكم من رأى هذه المعجزات؟ ليس هذا لعمري طريقا إلى تصديق النبوات؛ لأن هذا كان يلزم منه أن تكون معجزات الأنبياء- عليهم السلام- باقية من بعدهم؛ ليراها كل جيل فيؤمنوا بها!

وليس ذلك بواجب؛ لأنه إذا اشتهر النبي في عصر، وصحت نبوته في ذلك العصر بالمعجزات التي ظهرت منه لأهل عصره، ووصل خبره إلى أهل عصر آخر، وجب عليهم تصديق نبوته واتباعه؛ لأن المتواترات والمشهورات مما يجب قبولها في العقل(1). وموسى وعيسى ومحمد- صلوات الله عليهم وسلامه- في هذا الأمر متساوون(2).

(1) المتواترات والمشهورات التي يُسلم بها الناس في حياتهم كثيرة. فلا يسرعون إلى تكذيب شيء إلا إذا قام دليل على كذبه. فالأصل في الأخبار الصدق، إلا أن تخالف معقولا صريحا، أو منقولا بوحي معصوم. أو معلومًا بالضرورة.

(2) من صدق بنبي من هؤلاء الأنبياء حجة على من كذب به: فاليهود صدقوا بموسى، فهم حجة على سائر من كذب به، كالبوذيين، والهندوس، وغيرهم. والنصارى صدقوا بعيسى، فهم حجة على سائر من كذب به، كاليهود وغيرهم. والمسلمون صدقوا بمحمد، فهم حجة على سائر من كذب به، كالنصارى، واليهود، وغيرهم. فالمسلمون لا حجة عليهم؛ لأنهم آمنوا بجميع الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[البقرة:136].

ولعل تواتر الشــهادات بنبوة موســى، أضــعف من تواتر الشــهادات بنبوة عيســى ومحمد[1]؛ لأن شهادة المسلمين والنصارى بنبوة موسى، ليست إلا بسبب أن كتابيهما شهدا له بذلك؛ فتصديقهم بنبوة موسى، فرع عن تصديقهم بكتابهم[2].

وأما معجزة القرآن، فإنها وإن كانت باقية، فتلك فضــيلة زائدة، لا يُحتاج إلى كونها ســبب الإيمان؛ فأمَّا من أُعطي ذوق الفصاحة، فإن إيمانه بإعجاز القرآن إيمان من شاهد المعجزة، لا من اعتمد على الخبر.

---

(1) علل ابن القيم لذلك قال: «لأن الأمة الغضـبية، قد مزَّقها الله تعالى كل ممزق، وقطَّعها في الأرض، وسـلبها ملكها وعزها، فلا عيش لها إلا تحت قهر سـواها من الأمم لها. بخلاف أمة عيسـى ﷺ. فإنها قد انتشـرت في الأرض، وفيهم الملوك، ولهم الممالك. وأما الحنفاء، فممالكهم قد طبَّقت مشـارق الأرض ومغاربها، وملئوا الدنيا سـهلا وجبلا. فكيف يكون نقلهم لما نقلوه كذبًا، ونقل الأمة الغضـبية الخاملة القليلة الزائلة صـدقا؟! فثبت أنه لا يمكن يهوديًا على وجه الأرض أن يُصدق بنبوة مو سى ﷺ إلا بتـصديقه وإقراره بنبوة محمد ﷺ. ولا يُمكن نـصرانيًا ألبتة الإيمان بالمـسيح ﷺ إلا بعد الإيمان بمحمد ﷺ» (إغاثة اللهفان 2/ 350).

(2) يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:163-164]. ويقول الكتاب المقدس (يوحنا 7:19) على لسان المسيح: «أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل الناموس؟!».

إلا أن هذه درجة لم يرسخ بها كل واحد[1].

فإن قالوا: إن نبينا يشهد له جميع الأمم، فالتواتر به أقوى، فكيف تقولون إنه أضعف؟!

قلنا: أَوَكان إجماع شهادات الأمم صحيحًا لديكم؟

فإن قالوا: نعم.

قلنا: فإن الأمم الذين قبلتم شهادتهم مجمعون على تكفيركم وتضليلكم؛ فيلزمكم ذلك؛ لأن شهادتهم[2] عندكم مقبولة.

---

(1) يقول ابن تيمية: «وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية». (دلائل النبوة، ص72). =

=ونزيد بيانا ما في القرآن من إعجاز علمي، كإخباره عن مراحل تخليق الجنين في بطن أمه. قال الله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[الزمر:6]. وقال- عز ا سمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾[الحج:5].

وكان دراسة هذه الآيات- من قبل بعض الغربيين- سببًا في إسلامهم، كالطبيب الفرنسي موريس بوكاي، الذي أذهله دقة التعبير القرآني، وسبقه الواضح لعلوم العصر الذي نزل فيه؛ مما يدل على أنه كلام الله. وكتابه في هذا مطبوع بدار المعارف المصرية، واسمه «التوراة والإنجيل والقرآن- دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث».

(2) في الأصل: «شهادتكم».

فإن قالوا: لا نقبل شــهادة أحدٍ. لم يبقَ لهم تواتر إلا من طائفتهم، وهي أقل الطوائف عددًا(1)، فيصير تواترهم وشرعهم لذلك أضعف الشرائع.

ويلزمهم مما تقدم أن كل من أظهر معجزات، شهد بها التواتر، مُصدَّق في مقالته.

ويلزمهم من ذلك التصديق بنبوة المسيح، والمصطفى(2).

(1) كان اليهود دوما أقلية، فمع قرب نهاية الألف الأول قبل الميلاد، بلغ عدد يهود العالم، حسـب بعض الإحصـاءات، ثمانية ملايين. كان منهم نحو مليونين ونصف المليون فقط يعيشون في فلسطين، وذلك قبل أن يهدم تيتوس الهيكل عام 70م. وكان ثلاثة ملايين ومائتا ألف منهم يعيشــون في ســوريا وآســيا الصــغرى وبابل، أي أكثر من مليون في كل بلد. أما باقي اليهود، فكانوا يعيشون في أماكن أخرى متفرقة. ويبدو على هذه الإحصاءات المبالغة؛ فإن عدد اليهود في العالم، وفق آخر إحصائيات ظهرت 13 مليون نسمة. علمًا بأن سكان العالم الآن أكثر من ستة مليارات وستمئة وستين مليون نسمة.

(2) ختم ابن القيم هذا الفصل فقال: «ولا ينفع هاتين الأمتين شهادة المسلمين بنبوة موسى والمسيح؛ لأنهم آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد وبما جاء به. فلولاه ما عرفنا نبوتهما، ولا آمنا بهما. ولاســيما فإن أمة الغضــب والضــلال، ليس بأيديهم عن أنبيائهم ما يوجب الإيمان بهم. فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شــيئا من آيات الأنبياء المتقدمين. فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرر نبوة موســى ونبوة المســيح، لا اليهود، ولا النصــارى. بل كان نفس ظهوره ومجيئه تصديقا لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشرا به قبل ظهوره. فلمَّا بُعث، كان بعثه تصديقا لهما. وهذا أحد المعنيين في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [الصـافات:36-37]. أي مجيئه تصديق لهم من جهتين: جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروه به، ومطابقة ما جاء به لما جاءوا به؛ فإن الرســول الأول، إذا أتى بأمر لا يُعلم إلا بالوحي، ثم جاء نبي آخر، لم يقارنه في الزمان ولا في المكان، ولا تلقى عنه ما جاء به، وأخبر بمثل ما أخبر به ســواء- دلَّ ذلك على صــدق الرســولين: الأول، والآخر. وكان ذلك بمنزلة رجلين، أخبر أحدهما بخبر عن عيان، ثم جاء آخر من غير بلده وناحيته، بحيث يُعلم أنه لم يجتمع به، ولا تلقى عنه، ولا عمَّن تلقى عنه، فأخبر بمثل ما أخبر به الأول سواء، فإنه يضطر السامع إلى تصديق الأول والثاني. والمعنى الثاني: أنه لم يأتِ مكذبًا لمن قبله من الأنبياء، مُزْرِيًا عليهم، كما يفعل الملوك المتغلبون على الناس بمن تقدمهم من الملوك. بل جاء مصدقا لهم، شاهدا بنبوتهم. ولو كان كاذبًا متقولا، منشِئا من عنده سياسة، لم يُصدِّق مَن قبله، بل كان يُزري بهم، ويطعن عليهم، كما يفعل أعداء الأنبياء» (إغاثة اللهفان 2/ 350-351).

(4)

ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى

إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية، من الجزء الثاني، من السفر الخامس، من التوراة:

«**نابي أقيم لاهيم مقارب اجئهيم كاموخا ايلا ويشماعون**».

تفسيره: نبيًا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك، به فليؤمنوا[1].

وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ[2].

فإن قالوا: إنه قال: «من وسط إخوتهم». وليس في عادة كتابنا أن يعني بقوله: إخوتكم إلا بني إسرائيل!

---

(1) تثنية 18:18 «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

(2) قال ابن القيم: «فحرفوا تأويله؛ إذ لم يمكنهم أن يبدلوا تنزيله، وقالوا: هذه بشارة بني من بني إسرائيل. وهذا باطل من وجوه: أحدها أنه لو أراد ذلك لقال: (من أنفسهم)، كما قال في حق محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:164]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:128]. ولم يقل: من إخوتكم» (إغاثة اللهفان 2/ 361).

قلنا: بلى! فقد جاء في التوراة: «إخوتكم بنو العيص».

وذلك في الجزء الأول، من السفر الخامس. قوله:

«**أتيم عوبريم بقبول احيحم بنى عيسى وهيو شئيم بسيعير**».

وتفسيره: أنتم عابرون في تخوم إخوتكم بني العيص، المقيمين في **سعير**. إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم[1].

فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل؛ لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم.

وإن قالوا: إن هذا القول إنما أشير به إلى **شموائيل** النبي عليه السلام؛ لأنه قال: «من وسط إخوتهم مثلك»[2].

(1) تثنية 2:4 «وأوص الشعب قائلا: أنتم مارّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم، فاحترزوا جدا. 2:5 لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم؛ لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا».

(2) محمد وموسى من أولي العزم من الرسل. وهم المذكورون في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:7]. وكلاهما أوتي كتابا إماما و شريعة، كما بين الله سبحانه: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف:12].

وشـــموائيل كان مثل موســـى؛ لأ نه من أولاد ليوي. يعنون من الســـبط الذي كان منه موسى[1].

قلنا لهم: فإن كنتم صادقين، فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل، وأنتم تقولون: إن شموائيل لم يأتِ بزيادة، ولا بنسخ؟

أأشفق من أن لا تقبلوه؟

إنه إنما أُرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين؛ وليردكم إلى شرع التوراة[2]. ومن هذه صفته، فأنتم أ سبق الناس إلى الإيمان به؛ لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم، ويُغَيِّر أوضاع ديانتكم. فالوصية بالإيمان به، مما لا يستغني مثلكم عنه.

ولذلك لم يكن لموســى حاجة أن يوصــيكم بالإيمان بنبوة **أرميا**، و**أشـعيا**، وغيرهما من الأنبياء[3].

(1) قال ابن القيم هنا: «إن هذه البشارة لو كانت بشمويل، أو غيره من بني إسرائيل، لم يصح أن يقال: بنو إسرائيل- إخوة بني إسرائيل. وإنما المفهوم من هذا أن بني إسماعيل، أو بني العيص- هم إخوة بني إسرائيل» (إغاثة اللهفان 2/ 362).

(2) أضـاف ابن القيم هنا عن شـمويل: «فلم يأتِ بشـريعة جديدة، ولا كتاب جديد، وإنما حكمه حكم سـائر الأنبياء من بني إسرائيل. فإنهم كانوا يسوسهم الأنبياء، كلما مات نبي، قام فيهم نبي. فإن كانت هذه البشارة لشمويل، فهي بشارة بسائر الأنبياء الذين بُعثوا فيهم، ويكونون كلهم مثل موســى عليه السلام. وكلهم قد أنزل عليهم كتاب مثل كتاب موســى عليه السلام» (إغاثة اللهفان 2/ 362).

(3) سبق ذكر ذلك.

وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى واتباعه.

الإشارة إلى اسمه[1] في التوراة

قال الله تعالى في الجزء الثالث، من السفر الأول، من التوراة مخاطبًا إبراهيم الخليل عليه السلام:

«وأما في إسماعيل، فقد قبلت دعاءك. ها أنا قد باركت فيه، وأثمِّره، وأكثره جدًا جدًا»[2].

ذلك قوله:

«وليشماعيل شمعيتخا هني يبرختي أونوا وهفريثي أوثو وهز بيثي أوثو بمادماد».

فهذه الكلمة «**بمادماد**»، إذا عددنا حساب حروفها بالجُمَّل[3]، كان اثنين وتسعين[4]. وذلك عدد حساب حروف اسم **محمد**؛ فإنه أيضًا اثنان وتسعون[5].

---

(1) يقصد اسم رسول الله محمد ﷺ.

(2) تكوين 17:20.

(3) حساب الجُمَّل: طريقة من طرق الحساب التي كانت مستخدمة قديمًا. ومضمونها أن كل حرف من حروف الأبجدية له قيمة حسابية معينة. وذلك كما يلي: أ=1، ب=2، ج=3، د=4، هـ=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9، ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90، ق=100، ر=200، ش=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000.

(4) حساب حروف كلمة «بمادماد» بالجمل اثنان وتسعون، كما يلي: ب=2، م=40، ا=1، د=4، م=40، ا=1، د=4. فيكون مجموعها: 2+40+1+4+40+1+4=92.

(5) حساب حروف اسم محمد ﷺ بالجمل: م=40، ح=8، م=40، د=4. فيكون مجموعها: 40+8+40+4=92.

وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزًا[1]؛ لأنه لو صَرَّح به، لبدلته اليهود، أو أسقطته من التوراة، كما عملوا في غير ذلك[2].

فإن قالوا: إنه قد يوجد في التوراة عدد كلمات، مما يكون عدد حساب حروفه مساويًا لعدد حساب حروف اسم زيد، وعمرو، وخالد، وبكر. فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد، وعمرو، وخالد، وبكر أنبياء.

فالجواب: إن الأمر كما يقولون: لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة، لكنا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر التوراة. وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية؛ لأنها وعْدٌ من الله لإبراهيم، بما يكون من شرف إسماعيل. وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد، وعمرو، وخالد، وبكر.

ثم إنا نبين أنه ليس في هذه الآية كلمة تساوى **بمادماد** التي معناها «جدًا جدًا». وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه، فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة.

(1) ملغزًا: أي غير صريح اعْتِمَادًا على حُسْنِ فَهْمِ المُتَبَصِّرِ الحاذِقِ، المُمَيِّزِ بين الصريح والملغز، كما يميز بين الحقيقة والمجاز.

(2) أسقط اليهود من التوراة، وزادوا، وبدلوا، واختلفت الترجمة عن الأصل العبري. بالإضافة إلى اختلاف التفسير والتأويل.

وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجلِّ أولاد إسماعيل شرفا، وأعظمهم قدرًا- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وإذ قد بيَّنا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة، فقد بطل اعتراضهم.

ذكر الموضع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم[1] والمسيح والمصطفى عليهم السلام

«وآمادَ أذُوْناي مِسِّيناايْ إشْكَلّي ودَبهور يقايه مسيعير اثحزي لانا استخي بِغبوْرتيه تمل طوراد فإران وعمّيه ربواث قديسين».

تفسيره: قال إن الله تعالى من سيناء تجلَّى. وأشرق نورُه من سيعير. وأطلع من جبال فاران، ومعه ربوات القديسين[2].

(1) كليم الله هو موسى عليه السلام. يقول الله سبحانه: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:164].

(2) التثنية 33:2 «فقال.جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. وفي السامرية 2-3/ 33

وهم يعلمون أن **جبل سيعير**، هو **جبل الشراة**[1]، الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام. بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناء هو **جبل الطور**، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو **جبل مكة**[2].

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة[3]، التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء، ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله، المؤدى إلى الأمر باتباع مقالتهم.

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة، فهو أن إسماعيل لمَّا فارق أباه الخليل عليه السلام، سكن إسماعيل في برية فاران. ونطقت التوراة بذلك في قوله:

«**وييسب بمذبار فاران وتقّاح لو إمّو إشَّامَيْاء يزمن مصرايم**».

تفسيره: وأقام في برية فاران. وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر[4].

فقد ثبت في التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل[5].

---

(1) جبل الشراة: هو جبل شرق الأردن مرتفع شامخ في السماء تأوي إليه القرود، وينبت النبع والشوحط والقرظ، وهو من دون عسفان، عن يسارها.

(2) قال ابن القيم هنا: «وأما جبال فاران، فهم يحملونها على جبال الشام. وهذا من بَهْتِهم وتحريف التأويل» (إغاثة اللهفان 2/ 363).

(3) تأول ابن تيمية هذا الموضع من التوراة على موضع في القرآن الكريم، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾[التين:1-3]. (منهاج السنة النبوية 7/ 230).

(4) تكوين 21:21 «وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر».

(5) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة (معجم البلدان 4/ 225).

وإذا كانت التوراة قد أ شارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران، لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل؛ لأنهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبة أن المشـار إليه بالنبوة من ولد إسـماعيل: محمد، وأنه بُعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل. فدلَّ ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة، وأن التوراة أشارت في هذا المو ضع إلى نبوة الم صطفى- صلوات الله و سلامه عليه، وبـ شرت به. إلا أن اليهود- لجهلهم وضلالهم- لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين. بل يُسَلِّمون المقدمتين، ويجحدون النتيجة لفَرْط جهلهم.

وقد شـهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأي. ذلك قوله تعالى: «**كي بمو أو باذ عيصوث هيّما وأَيْن باهَيم تبونا**».

تفسيره: إنهم لشعبٌ عادمُ الرأي، وليس فيهم فطانة[1].

(1) تثنية 32 :28 إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم».

(5)

فصل في إبطال ما يدَّعونه من محبة الله إيَّاهم

هم يزعمون أن الله ﷻ يحبهم دون جميع الناس، ويحب طائفتهم وسلالتهم، وأن الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله إلا منهم[1].

---

(1) ورد ذلك في مواضع كثيرة من التوراة. منها في سفر اللاويين (7: 20): «فتتقدّسون وتكونون قديسين؛ لأني أنا الرب إلهكم». وفيه أيضًا 20:26 «وتكونون لي قديسين لأني قدوس! أنا الرب. وقد ميّزتكم من الشعوب لتكونوا لي». وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾ [الجاثية:16-17].

وهذا يبين أن الله قد فضَّلهم على هل زمانهم ما داموا مستقيمين، فإن أشركوا، وعبدوا الأصنام حق عليهم العذاب، واستبدلهم الله. كما في سفر يشوع (15: 23): «ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذي تكلم به الرب إلهكم عنكم، كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الرديء، حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم. 16 حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذي أمركم به، وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى، وتسجدون لها، يحمى غضب الرب عليكم، فتبيدون سريعا عن الأرض الـ صالحة التي أعطاكم». ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:18].

ونحن نناظرهم على ذلك، فنقول لهم: ما قولكم في **أيوب** النبي عليه السلام؟ أتقرون بنبوته[1]؟

فيقولون: نعم.

فنقول لهم: هل هو من بني إسرائيل؟

فيقولون: لا.

فنقول لهم: ما تقولون في جمهور بني إسرائيل، أعنى التسعة أسباط والنصف الذين أغواهم

(1) نبي الله أيوب: قال ابن إسحق: كان رجلا من الروم. وهو أيوب بن موص بن زارح بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل. وقال غيره: هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحق بن يعقوب. وقيل غير ذلك في نسبه. وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام. وقيل كان أبوه ممن= =آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه. والمشهور الأول؛ لأنه من ذرية إبراهيم- كما قررنا عند قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنعام:83-84] من أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:163]. فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحق» (البداية والنهاية 1/ 220).

يَرُبْعام بن نَباط[1]، الذي خرج على ولد **سليمان بن داوود**[2]- عليهما السلام، وصنع لهم الكبشين من الذهب، وعكف على عبادتهما جماعة بني إسرائيل،

(1) يربعام بن نباط (907 ق.م)، من سبط أفراييم. ويُربعام هذا أول ملوك المملكة الشمالية بعد انقسام المملكة المتحدة. كان يُربْعام يعمل عند سليمان ناظرًا للعمال من قبيلة إفرايم المسخَّرين للعمل. وبدأت العناصر الساخطة تتجه إليه ليكون زعيمًا للتمرد على هيمنة سليمان والجنوب. ولما عرف سليمان بالمؤامرة طلب قتله، فهرب إلى مصر عند الفرعون شيشنق، وبقي هناك إلى ما بعد موت سليمان. وقاد يُربعام الوفد الذي طلب من رُحبعام الإصلاح. وحينما رفض الأخير، ثار الشماليون، وأسسوا مملكتهم، وخاضوا حربًا مع المملكة الجنوبية، استمرت اثنتين وعشرين سنة. وقد اتخذ يُربعام من شكيم عا صمة لدولته. وخشية أن يذهب العبرانيون إلى القدس للأعياد؛ ويجددوا ولاءهم القديم لبيت داود، نصب يُربْعام عجلين من ذهب- ربما بتأثير العبادة المصرية التي عرفها أثناء فترة نفيه؛ أحدهما في بيت إيل. والآخر في دان ـــ أي في طرفي مملكته. ونادى= =بوجوب عبادتهما. وإلى جانب العجل، مجَّد يُربْعام آلهة أخرى، منها عشتاروت، الإلهة الفينيقية. وكموش إله المؤابيين. ومكلوم إله العمونيين. وقد أيَّد جميع الملوك الذين تعاقبوا على المملكة الشمالية هذه العبادة (ما عدا يوشيا). وقصته في سفر الملوك الأول (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) ولد سليمان هو رُحْبعام (911 ق.م). وهو ابنه من نعمة العمونية. طلب منه ممثلو القبائل العبرانية الشمالية، تحت قيادة يُربْعام، أن يخفِّف من الواجبات التي حمَّلهم إياها أبوه، فرفض طلبهم وهدَّدهم بمزيد من الضرائب، فانشقت القبائل الشمالية عن المملكة العبرانية المتحدة، وأسست مملكة مستقلة هي المملكة الشمالية. وقامت الحرب بين رُحْبعام ويُربْعام، وا ستمرت طيلة حكمه. وفي أثناء حكمه أيضا، غزا شيشنق- حاكم مصر- مملكته (926 ق.م)، وا ستولى على بعض المدن لبعض الوقت، ومنها القدس نفسها، ونهب الهيكل، والقصر الملكي. «وأخذ خزائن بيت الرب وبيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان» (سفر أخبار الملوك الأول 14:26). (موسوعة اليهودية والصهيونية).

وأهل جميع ولاية دار ملكهم، الملقبة يومئذ **بشومرون**[1]. إلى أن جرت الحرب بينهم وبين السبطين والنصف الذين كانوا مؤمنين مع ولد سليمان في بيت القدس. وقتل في معركة واحدة خمسمائة ألف إنسان[2].

فما تقولون في أولئك القتلى بأسرهم وفي التسعة أسباط والنصف؟ هل كان الله يحبهم لأنهم إسرائيليون؟

فيقولون: لا. لأنهم كفار.

فنقول لهم: أليس عندكم في التوراة أنه لا فرق بين الدخيل في دينكم، وبين الصريح النسب؟

(1) شومرون: «السامرة» هي عاصمة المملكة الشمالية. ويُطلَق عليها باللغة العبرية «شومرون»، نسبة إلى «شمر» الذي كان يمتلك التل الذي بُنيت عليه المدينة. تقع السامرة على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشمال من القدس، وستة أميال إلى الشمال الغربي من شكيم (نابلس)، وهي المدينة التي يقع فيها جبل جريزيم الذي يحج إليه السامريون في عيد الفصح. وتُطلَق كلمة «السامرة» أحيانا على المملكة كلها. أُسِّست المدينة عام 880ـــ 879 ق.م. حينما جعلها عمري عاصمة المملكة الشمالية، وللمدينة موقع حصين، يطلّ على طريقين رئيسيين: أحدهما من الجنوب، والثاني من الشرق. وقد أتاح هذا الموقع الحصين لعمري ومملكته السيطرة على طرق التجارة التي كانت تعبر فلسطين إلى الممر الساحلي (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) الإصحاح الرابع عشر من أخبار الملوك الأول. وهذا يصدقه قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:85].

فيقولون: بلى! لأن التوراة ناطقة بهذا:

«ككيركا إن راح كاخيم بيمى نفنى أذوناي».

تفسيره: إن الأجنبي والصريح النسب منكم سواء عند الله[1].

«تورا أحاث ومسقاط إيْحاذ بيمى لأخيم ويكبر هكار يثوخخيم».

تفسيره: شريعة واحدة، وحكم واحد يكن لكم، والغريب الساكن فيما بينكم[2].

(1) سفر اللاويين 19:34 «كالوطني منكم- يكون لكم الغريب النازل عندكم. وتحبه كنفسك؛ لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر. أنا الرب إلهكم».

(2) سفر اللاويين 24:22 «حكم واحد يكون لكم: الغريب يكون كالوطني. إني أنا الرب إلهكم».

فإذا اضطررناهم إلى الإقرار بأن الله لا يحب الضالين منهم، ويحب المؤمنين من غير طائفتهم، ويتخذ أنبياء وأولياء من غير سلالتهم، فقد نفوا ما ادعوه من اختصاص محبة الله ﷻ بطائفتهم من بين المخلوقين(1).

(1) مصطلح «الشعب المختار» ترجمة للعبارة العبرية «هاعم هنفحار»، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: «أتّا بحرتانو»، والتي تعني «اخترتنا أنت»، و«عم سيجولاه»، أو «عم نيحلاه»، أي «شعب الإرث»، أي «الشعب الكنز». وإيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، ولهذا السبب، يُشار إلى الشعب اليهودي بأنه «عم قادوش»، أي «الشعب المقدَّس» و«عم عولام» أي «الشعب الأزلي»، و«عم نيتسح»، أي «الشعب الأبدي». وقد جاء في سفر التثنية (14/ 2): «لأنك شعب مقدَّس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض». والفكرة نفسها تتواتر في سفر اللاويين (20/ 24، 26): «أنا الرب إلهكم الذي ميَّزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب. وقد ميَّزتكم من الشعوب لتكونوا لي». ويشكر اليهودي إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي. ويدل الاختيار- في مفهوم اليهود- على تفوقهم عرْقيا، فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنهم من نسله. وقد جاء في التلمود: «كل اليهود مقدَّسون.. كل اليهود أمراء.. لم تُخلَق الدنيا إلا لجماعة يسرائيل.. لا يُدْعى أحد أبناء الإله إلا جماعة يسرائيل.. لا يحب الإله أحدًا إلا جماعة يسرائيل» (موسوعة اليهودية والصهيونية).

وقد رد الله تعالى على هذا الادعاء في القرآن فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:18].

(6)

فصل في ذكر طَرَف مِن كفْرهم وتبديلهم

إن من سبيل ذوى التحصيل أن يتجنبوا الرذائل، وينفروا مما قبح في العقول السليمة، ورجح تزييفه عند الأفهام المستقيمة[1].

ولهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال ما تنأى عن مثله العقول، ويخالفه المعقول والمشروع.

[ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار]:

فمن ذلك أنهم مع ذهاب دولتهم، وتفرُّق شملهم، وعلمهم بالغضب الممدود عليهم، يقولون في كل يوم في صلواتهم: أنهم أبناء الله وأحباؤه.

ذلك قولهم كل يوم في الصلوات:

«**آهَبَانْ عُوْلام أهبتانو أذوناي ألو هينوا**».

---

(1) يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

تفسيره: محبة الدهر أحببتنا يا إلهنا!

«**هسيبينو أبينوا لثور أثيخا**».

تفسيره: أردُدْنا يا أبانا إلى شريعتك!

«**أبينو ملكينو ألوهينو**».

تفسيره: يا أبانا! يا ملكنا! يا إلهنا!

«**أتا أذوناي أبنيو كوالينو**».

تفسيره: أنت اللهم أبونا ومنقذنا!

«**وأيث كل روذ في باتيخا وأويتي عد انيخا كولام كساموريام إيجاد ميهيم لونوثار**».

تفســيره: وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك وأعداء جماعتك. كلهم غطاهم البحر. واحدٌ منهم لم يبقَ[1].

(1) خروج 14:28 «فرجع الماء، وغطى مركبات وفرسـان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبق منهم ولا واحد».

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم.

وهذا من قلة عقولهم، وفساد نظرهم؛ لأن المعتني بمصالح الكرْم، إنما يجعل على أعالي حيطانه الشوك؛ حفظا وحياطة للكرم.

ولسنا نرى لليهود من بقية الأمم إلا الضرر والذل والصغار. وذلك مبطل لقولهم[1].

(1) وينقسم تاريخ اليهود بداية من نبي الله موسى إلى عشرة عهود:

1 - عهد موسى ويوشع (1270 ق.م- 1130 ق.م).

2 - عهد القضاة (1130 ق.م- 1025 ق.م).

3 - عهد داود وسليمان (1025 ق.م- 931 ق.م).

4 - عهد الانقسام والصراع الداخلي (931 ق.م- 859 ق.م).

5 - عهد السيطرة الأشورية (859 ق.م- 612 ق.م).

6 - عهد السيطرة البابلية (597 ق.م- 539 ق.م).

7 - عهد السيطرة الفارسية (539 ق.م- 331 ق.م). =

= 8 - عهد السيطرة اليونانية (331 ق.م- 64 ق.م).

9 - عهد السيطرة الرومانية (64 ق.م- 638 م).

10 - عهد السيطرة الإسلامية (638 م- 1925 م).

وينتظرون قائمًا يأتيهم من آل داود النبي[1]، إذا حرك شفتيه بالدعاء، مات جميع الأمم، ولا يبقى إلا اليهود. وأنَّ هذا المنتَظر- بزعمهم- هو المسيح الذي وُعِدوا به[2].

وقد كان الأنبياء- عليهم السلام- ضربوا لهم أمثالا، أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح، وخضوع الجبارين لأهل ملته، وإتيانه بالنسخ العظيم، فمن ذلك قول **يشعيا** في نبوءته:

«.... عِمْ كيس يحدا ويرتصو سنيهيم وفارا وأذوب ترعينا وأرياكيا قار يوخل تيين».

تفسيره: إن الذئب والكبش يرعيان جميعًا، ويربضان معًا. وإن البقرة والدب يرعيان جميعًا. وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة[3].

---

(1) كذبت يهود، بل هو- كما بينت التوراة: «من إخوتهم». أي من إخوة بني إسرائيل، وهم العرب، أحفاد إسماعيل.

(2) المسيح المنتظر: هو نبي آخر الزمان، المذكور في كل الكتب المتقدمة، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي ينسخ الله به كل النبوات والرسالات. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81]. والأمم الثلاثة تؤمن بهذا المسيح. ولكلٍ وجهة هو موليها. أما النصارى فتعتقد أنه عيسى ابن مريم، وتنتظر عودته الثانية. وأما المسلمون فيعتقدون أنه محمد، وقد جاء. وأما اليهود فينتظرون أن يأتي منهم- كما بين ابن القيم: «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق، الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، الذي هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، وابن الله. وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود؛ فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله. والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظارًا للمسيح الدجال» (هداية الحيارى، ص111).

(3) أشعياء 65:25 «الذئب والحمل يرعيان معًا. والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية، فالتراب طعامها. لا يؤذون، ولا يهلكون في كل جبل قدسي. قال الرب».

فلمْ يفهموا من تلك الأمثال إلا صـورها الحسـية، دون معانيها العقلية. فتولوا عن الإيمان بالمسـيح عند مبعثه، وأقاموا ينتظرون الأسـد حتى يأكل التبن، وتصـح لهم حينئذ علامة المسيح!

ويعتقدون أيضًا أن هذا المنتظَر متى جاءهم، يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم الدولة، ويخلو العالم من سواهم، ويُحجم الموت عن جنابهم [المنيع][1] المدة الطويلة[2].

وسـبيلهم أن لا يَعْدِلوا عن تتبع الأسـود في غاباتهم، وطرْح التبن بين أيديها؛ ليعلموا وقت أكلها إياه!

---

(1) هداية الحيارى، ص167.

(2) علق ابن القيم هنا، مفسرًا النبوءة بما يوافق الحديث النبوي- قال: «وقد عُوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم، بانتظار مسيح الضلالة الدجال؛ فإنه هو الذي ينتظرونه حقا، وهم عسكره، وأتبع الناس له، ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة، إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم، فيقتل منتظرهم، ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقولان: »يا مسلم! هذا يهودي ورائي. تعال فاقتله! فإذا نظف الأرض منهم ومن عباد الصليب، فحينئذ يرعى الذئب والكبش معًا، ويربضان معًا. وترعى البقرة والذئب معًا، ويأكل الأسد التبن، ويلقى الأمن في الأرض. هكذا أخبر به أشعياء في نبوته. وطابقَ خبرُه ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح، في خروج الدجال، وقتل المسيح ابن مريم له، وخروج يأجوج ومأجوج في أثره، ومحقهم من الأرض، وإرسـال البركة والأمن في الأرض حتى ترعى الشـاة والذئب، وحتى إن الحيات والسباع لا تضر الناس. فصلوات الله وسلامه على من جاء بالهدى والنور، وتفصيل كل شيء وبيانه. فأهل الكتاب عندهم عن أنبيائهم حقٌّ كثيرٌ لا يعرفونه، ولا يُحسـنون أن يضعوه مواضعه» (هداية الحيارى، ص167، ص123. القيمة ط4).

وأيضا فإنهم في العشر الأول [من الشهر الأول][1] من كل سنة[2] يقولون في صلواتهم:

«الهوينوا أو الوهي أدنواتينوا لملوخ عل يوشبى تيبيل أرضيخا وتوماركول أسير نسئاما بأفوا ذوناي ألوها يسرائيل مالاخ وملخو ثوبوبكول ماسالا».

تفسيره: يا إلهنا، وإله آبائنا! املكْ على جميع أهل الأرض؛ ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد مَلَكَ، ومملكته في الكل متسلطة[3].

ويقولون في هذه الصلاة أيضًا:

«وسيكون لله الملك. وفي ذلك اليوم يكون الله واحدًا، [واسمه واحد][4]».

(1) من إغاثة اللهفان 2/ 338. وفي هداية الحيارى (ص166): «فإنهم في العشر الأول من المحرم في كل سنة ...».

(2) هو يوم كيبور، أو عيد الغفران (بالعبرية יום כפור)، يوم مقدس عند اليهود، ومخصص للصلاة والصيام فقط. يمشي اليهود في هذا اليوم حفاة، وينتقلون هكذا من مكان إلى مكان للصلاة، كما أنهم لا يكتبون بالقلم، ولا يستقلون سياراتهم، ولا يضيئون الأنوار. وفي هذا اليوم تتوقف كافة مرافق الحياة في إسرائيل لمدة 25 ساعة، وتغلق المطاعم ودور اللهو، وتتوقف حركة المواصلات، كما تتوقف كافة وسائل الإعلام عن البث؛ لأن ذلك حسب اعتقادهم محرم في هذا اليوم. ويعتبر يوم كيبور، أو يوم الغفران أعظم يوم لدى الشعب اليهودي (ويكيبديا الموسوعة الحرة).

(3) مزمور 47، 93.

(4) من هداية الحيارى، ص166.

ويعنون بذلك أنه: لا يظهر أن الملك لله، إلا إذا صــارت الدولة إلى اليهود، الذين هم أمته وصــفوته. فأمَّا مادامت الدولة لغير اليهود، فإن الله خاملُ الذكر عن الأمم، وأنه مطعون في ملكه، مشكوك في قدرته[1]!

فهذا معنى قولهم: «اللهم املكْ على جميع أهل الأرض».

ومعنى قولهم: «وسيكون الملك لله»[2].

ومما ينخرط في هذا السلك قولهم:

«لاما يومي وهليوبين أنا ناألوهيم».

(1) كشف د.عبد الوهاب المسيري هذا التفكير الحلولي عند اليهود فقال: «العقيدة اليهودية، في إحدى طبقاتها، توحيدية تؤمن بإله واحد، يتجاوز المادة، منزَّه عن مخلوقاته، يقف وراء الطبيعة= =والتاريخ يحركهما، ولا يُرَدُّ إليهما. ولكن اليهودية تركيب جيولوجي تراكمت داخله عدة طبقات متناقضــة. وفي بعض هذه الطبقات، نجد أن اليهودية تأثرت بالتشــكيل الحضــاري الســامي الوثني، ودخلت عليها عناصــر وثنية حلولية عديدة، وجدت طريقها إلى العهد القديم عند تســجيله، مثل: فكرة الشعب المختار المرتبط بأرض مقدَّسة والمتمركز حول ذاته، وفكرة الميثاق بين الإله و شعب بعينه، وتَزايُد الشعائر وخصوصًا شعائر الطهارة، وتَداخُل العناصر الكونية مع العناصر الدينية في الأعياد اليهودية، وتَراجُع فكرة البعث واهتزاز الأفكار الأخروية. وعلى هذا، فإن العهد القديم يُعَدُّ وثيقة صــراع بين اتجاهين: اتجاه توحيدي عالمي أخلاقي متسامٍ، يؤمن بإله يسمو على العالمين، ولا يفضل قومًا على قوم إلا بالتقوى، وهو الاتجاه الذي حمل لواءه الأنبياء والرسل. أما الاتجاه الآخر، فهو اتجاه وثني حلولي قومي تخصيصي، يرى إله اليهود إلهًا يحل فيهم وحدهم، فهو مقصور عليهم، يحابيهم ويعطف عليهم، ويعصف بأعدائهم. ويرى اليهود أنفسهم شعبًا مقدَّسًا، يشغل مركز الكون» (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) هذا دعاء تعجيل بالنبي الخاتم، وهو المسيح المنتظر، الذي أراد اليهود أن يكون منهم، وأن تحقق دعوته لهم السيادة على أهل الأرض. ولكن الحقيقة أن هذا النبي المنتظر- الذي تدين لدعوته جميع الأمم- ليس من اليهود. ولكنه من العرب!

تفسيره: لِمَ تقول الأمم: أين إلآههم؟

وقولهم: «**عورا لاما ببشان أذوناي هاقيضائتا نيخا**».

وتفسيره: انتبه! لِمَ تنام يارب؟! استيقظْ من رقدتك[1]!

وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار، وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بُعدًا[2].

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجَر، وأخرجهم إلى نوع من التزندق[3] والهذيان، الذي لا تستحسنه إلا عقولهم الركيكة.

فتجرءوا على الله بهذه المناجاة القبيحة. كأنهم يُنخون الله بذلك؛ لينتخى لهم[4]، ويحمى لنفسه؛ لأنهم إذا ناجوا ربهم بذلك؛ فكأنهم يُخبرونه بأنه قد اختار الخمول لنفسه [وأحبابه]، ويُنخونه للنباهة، واشتهار الصيت.

(1) مزمور 44:23 «استيقظ! لماذا تتغافى يا رب؟ انتبه! لا ترفض إلى الأبد».

(2) تاريخ اليهود مع الأمم التي دانوا لسلطانها واسع؛ فقد خضعوا للإمبراطوريات القديمة: آشور، بابل، الفراعنة، الفرس، اليونان، الرومان، المسلمين.

(3) الزِنْديقُ: من اعتقد دين الثَّنَوِيَّةِ، أو القائلُ بالنُّورِ والظُّلْمَةِ، أو مَن لا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ وبالرُّبوبِيَّةِ، أو مَن يُبْطِنُ الكُفْرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ. والجمع: زَنادِقَةٌ أو زَناديقُ. وقد تَزَنْدَقَ. والاسْمُ: الزَّنْدَقَةُ والتزندق (القاموس المحيط، مج1، 1151).

(4) ينخونَ: النَّخُّ الزَّجْرُ، كقولك للبعير: إخْ. إخْ! وقد نَخَّها يَنُخُّها (كتاب العين 4/ 143).

فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده، ولا يشك في أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم، وأنه يؤثر في ربه، ويحركه بذلك، ويَهزه، ويُنَخِّيه[1].

وهؤلاء- على الحقيقة- ينبغي أن يُرحم جهلهم، وضعف عقولهم[2]!

[عقائدهم الكفرية في الله تعالى]:

وأيضًا، فإن عندهم في توراتهم: أن موسى صعد الجبل مع مشائخ أمته، فأبصروا الله جهرة، وتحت رجليه كرسي، منظره كمنظر البِلَّوْر[3]. ذلك قوله:

---

(1) هذا تصور اليهود لإلههم: أنه يحتاج إلى من ينشطه ويُحَمِّيه؛ حتى يغار لنفسه، ويقوم من رقاده! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا. وقد دلت الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، والشرع الشريف على إثبات التنزيه المطلق لله تعالى؛ فلا يُنسب إليه شيء من نقائص البشر. وهذا التصور المشوه من اليهود لذات الله سبحانه لا عذر لهم فيه، بعد أن جاءتهم رسل ربهم بالحق، وأتاهم علم الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الجاثية:16-17].

(2) يُسامح الجاهل إلى أن يتعلم، ويجب عليه أن يسعى في طلب الحق. كما يجب على أهل العلم دعوة الشارد، وتعليم الجاهل. وبالبلاغ تقوم الحجة على من بلغه الحق. فإذا عاند الحق، ورفض= =الحجة، وجحد البيان، صار عدوًا لا يستحق الشفقة والرحمة، ولكن الشدة والغلظة لاستكباره. كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[الأعراف:175- 176].

(3) في سفر الخروج (33:20): «وقال: لا تقدر أن ترى وجهي؛ لأن الإنسان لا يراني ويعيش». وقال الله سبحانه في القرآن: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:143].

«ويراو إيث إلوهى يســرائيل وتاحث رغلا وكراي لبناث هســفير وخعيصــم مشــامايم لا ظوهر»[□].

ويزعمون أن اللوحين مكتوبان بإصبع الله في قولهم:

«بإصباع ألوهيم»[□].

ويطول الكتاب إذا عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم[□].

(1) خروج 9-11: 24 «ثم صعد مو سى، وهرون، ونا داب، وأبيهو، و سبعون من شيوخ إ سرائيل.10 ورأوا إله إ سرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفّاف، وكذات السماء في النقاوة.11 ولكنه لم يمدّ يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله، وأكلوا وشربوا».

(2) خروج 31:18 «ثم أعطى موسى- عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء- لوحي الشهادة. لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله».

(3) يثبت الكتاب لله سبحانه يدا، وتثبت السنة لله تعالى أصابع. ولا يعني هذا تجسيمًا؛ فإنا لا ننسب لله جارحة كجوارح البشر؛ ولكنا نثبت له يدا ليست كأيدينا، وأصبعا ليس كأصبعنا. فلا ننفي حقيقة ما أثبته الله لنفسه وما نسبه ر سوله له، ولا نؤوله تأويلا يخرج به عن مضمونه الذي يعرفه أهل= =اللغة. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10]. و قال النبي ﷺ: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبهما كما يشاء» (أخرجه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (2140). وصححه الألباني.

على أن أحبارهم قد تهذَّبوا كثيرًا عن معتقد آبائهم بما استفادوه من توحيد المسلمين[1].
وأعربوا عن تفسير ما عندهم بما يدفع عنهم إنكار المسلمين عليهم، مما لا تقتضيه الألفاظ التي فسروها ونقلوها. و صاروا متى سئلوا عما عندهم من هذه الفضائح، استتروا بالجحد والبهتان؛ خوفا من فظيع ما يلزمهم من الشناعة[2]!

ومن ذلك أنهم ينسبون إلى الله ﷻ الندم على ما يفعل. فمن ذلك قولهم في التوراة التي بأيديهم:

«ويتناحم أذوناي كي عاشا إث هاأدم باإرض ويتعصب إن لبون».

تفسيره: وندم الله على خلق البشر في الأرض، وشقَّ عليه[3].

---

(1) هناك تأثير كبير للمسلمين في تحضير اليهود وتقدمهم. وقد أورد الدكتور محمد الشرقاوي عددًا من الكتب والأبحاث في ذلك، منها: (1) التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية: نفتالي فيدر، ترجمة د.محمد سالم الجرج، 1965م. (2) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية: جورج فايدا، ترجمة: د.علي سامي النشار، وعباس أحمد الشربيني، ط2، 1972م. (3) الأثر العربي في الفكر اليهودي: د.إبراهيم موسى هنداوي، الأنجلو، القاهرة.وأهم هذه التأثيرات ظهور أول حركات الاحتجاج على اليهودية الحاخامية. وهي حركة القرّائين.

(2) ينال الإنسان من التهذيب بالاتصال بمن هو أفضل منه الكثير. كما ينال الأمم بالاتصال بالأمم الأرقى الكثير؛ لذا كان الاتصال المباشر، والكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة أفضل أساليب الدعوة إلى الله، والتأثير في الناس.

(3) تكوين 6: 6 «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض.وتأسف في قلبه.7 فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم».

وقد أفرط المترجم في تعصبه، وتحريفه للألفاظ عن موجب اللغة. وفسر:

«**ويناحم أذوناي**»: «**وثاب أدوناي بميمره**».

يعني: وعاد الله في رأيه!

وهذا التأويل- وإن كان غير موافق للغة، فهو أيضًا- كفر. بل مناقضٌ لما يدفعونه من البداء، والنسخ.

وأما الدليل إلى أن تفسير:

«**ويتعصيب أل لبو**»: وشقَّ عليه.

فهو ما جاء في مخاطبة حواء- عليها السلام:

«**سعيصب تليدي بانيم**».

تفسيره: وبمشقة تلدين الأولاد[1].

فقد تبيَّن أن الـ«**عصيب**» في اللسان العبراني هو المشقة.

وهذه الآية عندهم في قصة قوم نوح، زعموا أن الله تعالى لما رأى فساد قوم نوح، وأن شرهم وكفرهم قد عظما، ندم على خلق البشر، وشقَّ عليه!

(1) تكوين 3:16 «وقال للمرأة تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادًا. وإلى رجلك يكون اشتياقك. وهو يسود عليك».

ولا يعلمون- البُله- أن من يقول بهذه المقالة، لزمه أن الله قبل أن يخلق البشـر، لم يكن عالمًا بما سيكون من قوم نوح، وغير ذلك من النقص. تعالى الله عما يكفرون!

وعندهم أيضًا، أن الله تعالى قال لشموائيل النبي عليه السلام:

«**نيحا متى كى هملاخي إن شاو الميلخ على يسراييل**».

تفسيره: ندمت إذ وليتُ شاؤول ملكًا على بني إسرائيل[1].

وفي موضع آخر من سفر شموائيل:

«**واذوناى نيحام كى هميليخ إنى شااول على يسراييل**».

تفسيره: والله ندم على تمليكه شاؤول على إسرائيل[2].

وأيضًا، فإن عندهم أن نوحًا النبي عليه السلام لمَّا خرج من السفينة، بدأ ببناء مذبح لله تعالى، وقرَّبَ عليه قرابين.

---

(1) صموئيل الأول 15: 11 «ندمت على إني قد جعلت شاول ملكا؛ لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي. فاغتاظ صموئيل، وصرخ إلى الرب الليل كله».

(2) صموئيل الأول 15:35 «ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته؛ لأن صموئيل ناح على شاول. والرب ندم؛ لأنه ملّك شاول على إسرائيل».

ويتلو ذلك:

«ويارح أذوناي اث دييح هنيجو وح ولومر أذوناي ال لبو لواســيف عوذ لقليل إث هاإذا ماعا عبورها إذا م كى ييصـــير ليب هاإذا أم راع منعور أو ولو أو ســيف مود لهلكوث إث كل حاي كا اثير عاسيثي».

تفسيره: فاستنشق الله رائحة القُتار[1]. فقال الله- تعالى في ذاته: لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس؛ لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة، ولن أعاود إهلاك جميع الحيوان- كما صنعتُ[2]!

ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزَّلة على موسى- صلوات الله عليه. ولا نقول أيضًا: إن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها[3]. بل الحق أولى ما اتبع[4].

(1) القتار: الدخان من المطبوخ. وزنا، ومعنىً (المصباح المنير 2/ 489).

(2) تكوين 8:20 «وبنى نوح مذبحًا للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح. 21 فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان؛ لأن تصوّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضًا أميت كل حيّ كما فعلت».

(3) ربما يقصد السموأل هنا أن اليهود لم يجتمعوا كلهم على تبديل التوراة وتحريفها، وإنما فعل ذلك فريق منهم، كان أمينًا على الكتاب، فخان الأمانة، وسطر بيده، ثم ادعى أنه كلام الله، كما فعل عزرا الوراق. وفي ذلك يقول الله- ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:79].

(4) علق هنا ابن القيم فال: «وقد واجهوا رسول الله ﷺ وأصحابه ﵃ بأمثال هذه الكفريات. فقال قائل منهم للنبي ﷺ: إن الله ﷻ خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح. فشقَّ ذلك على النبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:38]. وتأمل قوله تعالى عقيب ذلك: {فَا صْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ....} (ق:39)؛ فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو مُنزَّهٌ عنه. فأمره الله ﷻ أن يصبر على قولهم، ويكون له أسوة بربه ﷺ، حيث قال أعداؤه فيه مالا يليق. وكذلك قال فنحاص لأبي بكر ﵁: إن الله فقير ونحن أغنياء؛ ولهذا ا ستقر ضنا من أموالنا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[آل عمران:181]. وقالوا أيضًا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة:64]» (إغاثة اللهفان 2/ 239-240).

(7)

ذكر السبب في تبديل التوراة

ونحن نذكر الآن حقيقة سبب تبديل التوراة[1]:

[قتل حفاظ التوراة الهارونيين]:

علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم، لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم، أنها المنزَّلة على موسى البتة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل؛ ولم يبثها فيهم. وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي. ودليل ذلك قول التوراة:

«**ويختوب موشى إث هتورا هزوت وبيتناه ال هكوا هنيم بنى ليوي**».

تفسيره: وكتب موسى هذه التوراة، ودفعها إلى الأئمة بني ليوي[2].

(1) قال ابن القيم هنا: «ونحن نذكر السبب الموجب لتغيير ما غُيِّر منها. والحق أحق ما اتبع. فلا نغلو غلو المستهينين بها، المتمسخرين بها، بل معاذ الله من ذلك. ولا نقول: إنها باقية كما أنزلت من كل وجه كالقرآن» (إغاثة اللهفان 2/ 358).

(2) التثنية 31:9 «وكتب موسى هذه التوراة، وسلَّمها للكهنة، بني لاوي، حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل».

وكان بنو هارون قضــاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة، وخدمة القرابين، وبيت المقدس، كانت موقوفة عليهم. ولم يبذل موســى من التوراة لبنى إســرائيل إلا نصــف ســورة، يقال لها: «**هاأزينو**»[1].

فإن هذه السورة من التوراة هي التي علمها موسى بنى إسرائيل، ذلك قوله:

«**ويختوب موسى إنى هئسيرا هزوث ويلمذاه لبنى يسراييل**».

تفسيره: وكتب موسى هذه السورة، وعلمها بنى إسرائيل[2].

وأيضًا، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة:

«**وهايت إلى هشيرا هزوث لعيد ببني يسراييل**».

وتفسيره: وتكون لي هذه السورة، شاهدًا على بنى إسرائيل[3].

---

(1) تثنية 32:44 «فأتى مو سى، ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو ويشوع بن نون.45 ولما فرغ مو سى من مخاطبة جميع إســرائيل بكل هذه الكلمات46 قال لهم: وجّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشــهد عليكم بها اليوم، لكي توصوا بها أولادكم؛ ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة».

(2) التثنية 31:22 «فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم، وعلم بني إسرائيل إياه».

(3) التثنية 31:19 «فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلم بني إ سرائيل إياه. ضعه في أفواههم؛ لكي يكون لي هذا النشيد شاهدا على بني إسرائيل».

وأيضًا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة:

«**كى لوتشا خاخ مفى زرعون**».

تفسيره: لأن هذه السورة لا تُنسى، من أفواه أولادهم[1].

يعني أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم، وأنهم سيخالفون شرائع التوراة، وأن السُخْط يأتيهم بعد ذلك، وتُخْرب ديارهم، ويُشتتون في البلاد.

قال: فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم، كالشاهد عليهم، الموافق لهم على صحة ما قيل لهم[2].

فهذه السورة لما قال الله تعالى عنها: إنها لا تُنسى من أفواه أولادهم؛ دَلَّ ذلك على أن الله تعالى علم أن غيرها من السور تُنسى.

---

(1) تثنية 31:21 «فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد، يجاوب هذا النشيد أمامه شاهدا؛ لأنه لا ينسى من أفواه نسله».

(2) دلت التوراة على ذلك بقولها في سفر التثنية (31:20 «لأني أدخلهم الأرض التي أقسمت لآبائهم، الفائضة لبنا وعسلا؛ فياكلون؛ ويشبعون؛ ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى، ويعبدونها، ويزدرون بي، وينكثون عهدي».

وأيضًا، فإن هذا دليل على أن موسى لم يُعْطِ بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة. فأما بقية التوراة، فدفعها إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم(1).

وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها- قتلهم «**بُختْ نَصَّر**»(2) على دم واحد، يوم فتح بيت المقدس.

ولم يكن حِفْظُ التوراة فرضًا، ولا سُنَّة. بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة.

---

(1) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:44].

(2) بخت نصَّر، أو نبوختنصر (605-562 ق.م): مؤسس الإمبراطورية الكلدانية (البابلية الجديدة)، وأعظم ملوك الكلدانيين. أسقط الإمبراطورية الآشورية، وهزم القوات المصرية في معركة قرقميش عام 605 ق.م. وقاد نبوختنصر حملتين ضد المملكة الجنوبية: الأولى في عام 597 ق.م لإخماد التمرد فيها، فأحل صدقيا محل يهوياكين، ونفى ثمانية آلاف يهودي من الأرستقراطيين. وبعد بضع سنين، عندما أعاد العبرانيون الكرَّة بإيعاز من حاكم مصر، قاد نبوختنصر حملة أخرى عام 586 ق.م. ورغم أن المصريين أرسلوا المساعدات للعبرانيين، فقد أسقط القدس، وخرَّب هيكل سليمان، وأسر سبعين ألفا من اليهود، نفاهم إلى بابل العراق، وعيَّن جداليا حاكما لفلسطين.

[عزرا جمع التوراة بعد ضياعها]:

فلما رأى **عزرا**[1] أن القوم قد أُحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرَّقَ جمعهُم، ورُفِعَ كتابهم- جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما **لَفَّق** منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن.

(1) عزرا (منتصف القرن الخامس الميلادي): اسم كاتب الشريعة الموسوية، وهو كاهن من أسرة صادوق، ورئيس الجماعة اليهودية العائدة من بابل. وقد جاء في سفر عزرا (7:1) أنه سمع عن= =تدهور اليهود واليهودية في فلسطين بعد عودة زروبابل، فاستأذن من الإمبراطور أرتحشتا الأول (465 ـ 424 ق.م) في العودة إلى القدس ليُصلح الشعب، ويعيد بناء اليهودية على أساس التوراة والشريعة، فأذن له الملك بذلك، ولحق به نحميا. وجاء في التلمود أن عزرا هو الذي استرجع كثيرًا من القوانين القديمة، وجمع أسفار الكتاب المقدَّس، ونظمها وحدَّد نصَّ أسفار موسى الخمسة، وأقام المجمع الكبير (كنيست هاجدولا). وقد دُفن عزرا في بابل بعد موته حسب المرويات اليهودية (موسوعة اليهودية والصهيونية).

ولذلك بالغوا في تعظيم **عزرا** هذا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره، الذي عند بطائح العراق(1)؛ لأنه عمل لهم كتابًا يحفظ دينهم(2).

فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة: كتاب **عزرا**. وليس كتاب الله(3)!

---

(1) بطائح العراق: البطائح جمع البَطِيحة، والبطحاء. وتبطح السيل إذا اتسع في الأرض. وبذلك سميت بطائح واسط؛ لأن المياه تبطحت فيها، أي سالت، واتسعت في الأرض. وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. وكانت قديمًا قرىً متصلة، وأرضًا عامرة، فاتفق في أيام كسرى إبرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة، وزاد الفرات أيضا بخلاف العادة فعجز عن سدها، فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع؛ فطرد أهلها عنها. فلما نقص الماء، وأراد العمارة، أدركته المنية. وولي بعده ابنه شيرويه، فلم تطل مدته. ثم ولي نساء لم تكن فيهن كفاية. ثم جاء الإسلام فاشتغلوا بالحروب. ولم يكن للمسلمين دربة بعمارة الأرضين. فلما ألقت الحروب أوزارها، واستقرت الدولة الإسلامية قرارها، استفحل أمر البطائح، وانفسدت مواضع البثوق، وتغلب الماء على النواحي، ودخلها العمال بالسفن، فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها، فبنوا فيها قرى، وسكنها قوم (معجم البلدان 1/ 450).

ولا يزال قبر عزرا الكاتب قائمًا في بلدة العزير شمال القرنة، وهي من أقدم مدن ميسان؛ لأنها عاصمة مدينة ميسان التاريخية، عند ملتقى دجلة والفرات، جنوب العراق.

(2) جاء في سورة التوبة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة:30]، والمعنى هنا أن بعض اليهود هم الذين يؤمنون بأن عزيرًا ابن الله، ونسب ذلك القول إلى اليهود جاء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد، فيُقال فلان يركب الخيول وهو لا يركب إلا واحداً منها، وفلان يجالس السلاطين وهو لا يجالس إلا واحدًا. وبالفعل، هناك من اليهود من يستخدم مفهوم ابن الله باعتباره مفهوماً محوريًا (موسوعة اليهودية والصهيونية). =

= وعن أبي سعيد الخدري ﵁: أن أناسا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم .... إذا كان يوم القيامة، أذَّن مؤذن: تتبعْ كل أمة ما كانت تعبد. فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يبقى إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب، فيُدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله. فيقال لهم: كذبتم! ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد» (أخرجه البخاري،كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء، 4305. ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، 183).

(3) يقول الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:79]. ويبين ابن القيم هنا أن ما كتبه عزرا: «فيها كثير من التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى– عليه الصلاة والسلام. ثم تداولتها أمة قد مزقها الله تعالى كل ممزق، وشتت شملها؛ فلحقها ثلاثة أمور. أحدها: بعض الزيادة والنقصان. الثاني: اختلاف الترجمة. الثالث: اختلاف التأويل والتفسير». ثم ذكر أمثلة لذلك (إغاثة اللهفان 2/ 360).

وهذا يدل على أنه- أعني الذي جمع هذه الفصـول التي بأيديهم- رجلٌ فارغٌ، جاهل بالصفات الإلهية؛ فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله، والإقلاع عن مثلها. وغير ذلك مما تقدم ذكره.

وأيضـا فمما يُستدل به على بطلان تأويلاتهم، وإفراطهم في التعصب وتشديد الإصر، ما ذكروه في تفسير هذه الآية:

«**ريست بكورى إذ ماشخا تخا تابى ببث أذوناى ألوهيخا لو تبشيل كدى باحليب أمو**».

تفسيره: بكور ثمار أرضك تُحمل إلى بيت الله ربك. لا تنضج الجدي بلبن أمه[1].

والمراد من ذلك: أنهم أُمروا عقيب افتراض الحج عليهم أن يستصحبوا معهم إذا حجوا إلى القدس أبكار أغنامهم، وأبكار مستغلات أرضهم؛ لأنهم قد كان فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخولة البقر والغنم[2] وراء أمهاتها سبعة أيام، ومن اليوم الثامن فصاعدًا، تصلح أن تكون قربانًا لله تعالى.

(1) خروج 23:19، 34:26 «أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جديًا بلبن أمه».

(2) سخولة: السَّخْلَةُ ولد الشاة من المَعَز والضَّأْن، ذكرًا، أَو أُنثى. والجمع سَخْلٌ وسِخَالٌ. وسِخَلةٌ الأَخيرة نادرة وسُخْلانٌ» (لسان العرب 11/ 332).

فأشار في هذه الآية في قوله: «لا تنضج الجدي بلبن أمه». إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث بكور أولاد الغنم والبقر وراء أمهاتهن، بل يستصحبوا أبكارهن اللاتي قد عبرن سبعة أيام من ميلادهن معهم، إذا حجوا إلى بيت المقدس؛ ليتخذوا منها القرابين.

فتوهم المشائخ البُلْهُ، المترجمون لهذه الآية، والمفسرون لمعانيها: أن المشرِّع يريد بالإنضاج هنا إنضاج الطبيخ في القِدْر.

وهَبْهُمْ صادقين في هذا التفسير، فلا يلزم من تحريم الطبخ تحريم الأكل؛ إذ لو أراد المُشَرِّعُ الأكل لما منعه مانع من التصريح بذلك.

و ما كفاهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة، حتى حرَّموا أكل [سائر][1] اللُّحمان باللبن[2].

(1) زيادة من إغاثة اللهفان 2/ 364.

(2) قال ابن القيم هنا: «فألغوا لفظ الجدى، وألغوا لفظ أمه، وحَمَّلوا النص ما لا يحتمله. وإذا أرادوا أن يأكلوا اللحم واللبن، أكلوا كلا منهما على حدة» (إغاثة اللهفان 2/ 364).

وهذا مضاف إلى ما يُستدل به على جهل المفسرين والنقلة، وكذبهم على الله تعالى، وتشديد الإصر على طائفتهم[1].

فأما الدليل على تفسير «**تبشيل**»: الإنضاج، الذي هو البلوغ، فهو قول رئيس السقاة ليوسف الصديق، وهما في السجن؛ إذ شرح له رؤياه، فقال في جملة كلامه:

«**ويكيفن شلوشا ساريفيم وهي حفوراحث عالثا نصاه هبشيلو سكلوثيها غنابين**».

تفسيره: وفي الكرمة ثلاثة عناقيد، وهي كأنها قد أثمرت، وصعد نوارها، ونضجت عناقيدها عنبًا[2].

فقد تبين أن الإنضاج، الذي يُعَبَّر عنه بالـ «**هبشيلو**»، إنما هو البلوغ.

[خضوع اليهود لسلطان الأمم القوية]:

(1) للآن يُحرم اليهود الجمع بين اللحم واللبن. ولذا، يُحرمون طبخ اللحوم في السمن والزبد، بل يجب أن تُطبَخ في زيوت نباتية، كما يحرم تناول اللحم والجبن أو الزبد أو نحوهما في وجبة واحدة. (ويجب أن يفصل بين تناول أيٍّ منها والآخر ست ساعات). بل من المُحرَّم أن يوضع اللحم في إناء كان قد وُضع فيه لبن أو جبن من قبل، أو أن يُستعمَل سكين واحد في تقطيع اللحوم والجبن، أو ما إليهما. ولذلك، تُضطر المطاعم التي تقدم الأكل المباح شرعا (كاشير، أو كوشير) إلى أن يكون لديها مجموعتان من الأوعية، واحدة لطبخ اللحوم، وأخرى للألبان، على أن يحفظا في مكانين منفصلين.

(2) تكوين 40:10 «وفي الكرمة ثلاثة قضبان. وهي إذ أفرخت- طلع زهرها، وأنضجت عناقيدها عنبًا».

ولا ينبغي للعاقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال، واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال؛ فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة، باستيلاء غيرها عليها، وأخذها بلادها، انطمست حقائق سالف أخبارها، واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها؛ لأن الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمصادمات، وإخراب البلاد، وإحراق بعضها. فلا تزال هذه الفنون متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلا، [وعزها ذلا، وكثرتها قلة][1].

وكلما كانت الأمة أقدم، واختلفت عليها الدول المناوئة[2] لها بالإذلال والإيذاء، كان حظها من اندراس الآثار أكثر.

وهذه الطائفة بلا شك، أعظم الطوائف حظًّا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عهدًا؛ ولكثرة الأمم التي استولت عليها، من الكنعانيين[3]، والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى[4]، والإسلام.

(1) زيادة من إغاثة اللهفان 2/ 365.

وقال المحقق د.محمد الشرقاوي هنا (ص143): «في الأصل كلمتان لم أستطع قراءتهما، ويبدو أنهما: أكثرها قلا». وأثبت عبد الوهاب الطويلة هنا (ص144): «وآثارها تلالا». ولا معنى لها!

(2) في الأصل: «المتناولة». ولعل الأوضح ما أثبت.

(3) «كنعان» كلمة حورية، تعني «الصبغ القرمزي»، وهو الصبغ الذي كان الكنعانيون يصنعونه، ويتاجرون فيه. وتبعًا لجدول أنساب سفر التكوين، فإن الكنعانيين هم نسل كنعان بن حام بن نوح. وقد صُنِّفوا في العهد القديم باعتبارهم من الحاميين، مع أنهم من الساميين، ولغتهم سامية، وربما ذلك لتبرير الحروب التي نشبت بينهم وبين العبرانيين. ولكن الكنعانيين- في الواقع- قبائل سامية، نزحت منذ زمن بعيد من صحراء شبه الجزيرة العربية، أو الصحراء السورية، وربما كان ذلك في النصف الأول من الألف الثالث في هجرات مكثفة (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(4) المقصود بالنصارى الرومان.

وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشد القصد، وطلب استئصالهم، وبالغ في إحراق بلادهم وإخرابها، وإحراق كتبهم- إلا المسلمين(1). فإن الإسلام صادف اليهود تحت ذمة الفرس، ولم يبقَ لهم مدينة، ولا جيش، إلا العرب المتهودة بخيبر(2).

[تبديل ملوكهم العصاة لدينهم]:

فأشد على اليهود من جميع هذه الممالك، ما نالهم من ملوكهم العصاة. مثل **أخاب**(3)

(1) زاد ابن القيم هنا: «... إلا المسلمين؛ فإنهم أعدل الأمم فيهم، وفي غيرهم؛ حفظا لوصية الله تعالى بهم، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:135]. ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8]» (إغاثة اللهفان 2/ 365).

(2) أضاف ابن القيم هنا: «لم يبقَ لهم مدينة، ولا جيش، ولا حصن، إلا بأرض الحجاز وخيبر. فأعزُّ ما كانوا هناك. فلما قام الإسلام، واستعلن الرب تعالى من جبال فاران، صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى، وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة، فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذَنوبًا مثل ذَنوب أصحابهم. وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء؛ فكتب الله عليهم الجلاء؛ وشتتهم ومزقهم بالإسلام كلَّ ممزق. ومع هذا، فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين، ولا آمن؛ فلأن الذي نالهم من النصارى والفرس وعباد الأصنام، لم ينلهم من المسلمين مثله» (هداية الحيارى، ص206).

وقال ابن القيم أيضًا: «فإنهم إنما قصدوا تلك الناحية؛ لِمَا كانوا وُعِدوا به من ظهور رسول الله ﷺ، وكانوا يقاتلون المشركين من العرب، فيستنصرون عليهم بالإيمان برسول الله ﷺ قبل ظهوره، ويعدونهم بأنه سيخرج نبي نتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله ﷻ نبيه ﷺ، سبقهم إليه مَن كانوا يحاربونهم من العرب؛ فحملهم الحسد والبغي على الكفر به وتكذيبه!» (إغاثة اللهفان 2/ 366).

(3) أخاب (871-852 ق.م): هو ابن عمري، أحد ملوك المملكة الشمالية. وقد بدأ حكمه نحو عام 871 ق.م. أثرت فيه زوجته إيزابيل ابنة ملك صيدا (وكانت امرأة وثنية)، فانقاد لها، وأدخل عبادة بعل، وهو ما أدَّى إلى احتدام الصراع بينه وبين الأنبياء.

، و**أحزيا**[1]، و**أمصيا**[2]، و**يهورام**[3]، و**يربعام بن نباط**. وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها؛ وتعليم رسوم عبادتها، وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل. وعكف على عبادتها الملوك، ومعظم بنى إسرائيل، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة، وأعصارًا متصلة[4]!

فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قِبَل ملوكهم، ومنهم على أنفسهم. فما ظنك بالآفات المتفتنة، التي تواترت عليهم، من استيلاء الأمم فيما بعد عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم!

(1) أحزيا (852-851 ق.م): هو ثامن ملوك المملكة الشمالية. وهو ابن أخاب وإيزابيل. وقد تخلَّى هذا الملك عن عبادة يهوه، واتبع العبادة الوثنية.

(2) أمصيا (97 – 769): هو تاسع ملوك المملكة الجنوبية، استطاع أن يجمع جيشًا من المرتزقة من المملكة الشمالية لإخضاع أدوم لهيمنته.

(3) يهورام: ملك يهورام بن أخآب على مملكة إسرائيل، بعد موت أبيه، كما في سفر أخبار الأيام الثاني (5: 21): «كان يهورام ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك. وملك ثماني سنين في أورشليم.6 وسار في طريق ملوك إسرائيل، كما فعل بيت آخآب؛ لأن بنت آخآب كانت له امرأة. وعمل الشر في عيني الرب».

(4) في سفر القضاة «11: 2 وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم 12 وتركوا الرب إله آبائهم، الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها، واغاظوا الرب. 13 تركوا الرب، وعبدوا البعل، وعشتاروث».

فإن الفرس كثيرًا ما منعوهم عن الختانة، وكثيرًا ما منعوهم عن الصلاة؛ لمعرفتهم أن معظم صلوات هذه الطائفة دعاءٌ على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان[1].

(1) أرض كنعان: استُخدم اسم كنعان في أول الأمر للدلالة على غربي فلسطين، ثم أصبح اللفظ علمًا على ما هو متعارف عليه جغرافياً باسم «فلسطين»، وعلى قسم كبير من سوريا. وأرض كنعان هي الأرض التي وعد الرب بها نسل إبراهيم، حسبما جاء في سفر التكوين. وكان على اليهود أن يخوضوا معارك ضارية ضد الكنعانيين ليستوطنوها، فقد ورد في أحد أسفار العهد القديم (عدد 33:50-65): «و كلَّم الرب موسى... قائلاً كلّم بني إسرائيل، وقل لهم: إنكم عابرون الأرض، إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم. تملكون الأرض، وتسكنون فيها؛ لأني قد أعطيتكم الأرض؛ لكي تملكوها، وتقتسمون الأرض بالقرعة، حسب عشائركم... وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم». وقد تسلل العبرانيون إلى أرض كنعان بعد خروجهم أو هجرتهم من مصر. وقد كان الوجود العبراني في كنعان جيوبًا وحسب؛ إذ إن الوجود الحضاري والإثني للشعوب الأخرى ظل مستمرًا. ويتضح هذا من احتفاظ القدس (مدينة اليبوسيين) باستقلالها إلى أن احتلها داود. كما أن= =الشعوب السامية المختلفة، من مؤابيين، وأنباط، وعمونيين، والشعوب التي جرى استيعابها في الحضارة السامية (مثل الفلستيين)- ظل لها وجود مستمر حتى بعد الهجمات البابلية والآشورية. وقد جاء في سفر نحميا شكوى من أن العناصر العبرانية التي لم تُهجَّر إلى بابل قد استوعبت هي الأخرى ضمن العناصر المحلية: «في تلك الأيام رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي» (نحميا 23ـــ 24: 13). وتُطلق الأدبيات الدينية اليهودية على كنعان اسم «إرتس يسرائيل»، أي «أرض إسرائيل»، وهي أيضاً في هذه الأدبيات «صهيون». (موسوعة اليهودية والصهيونية).

[ابتداع اليهود عبادات باطلة]:

فلما رأت اليهود الجدَّ من الفرس في منعهم عن الصلاة، اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولا من صلاتهم، وسموها الحزَّانة[1]، وصاغوا لها ألحانًا عديدة، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها[2].

والفرق بين هذه الحزَّانة، وبين الصلاة. أن الصلاة بغير لحن، وأن المصلي يتلو الصلاة وحده، ولا يجهر معه غيره. وأما الحزَّانة، فيشاركه جماعة في الجهر بالحزَّانة، ويعاونونه في الألحان. فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم، زعمت اليهود أنهم يغنون أحيانًا، وينوحون أحيانًا على أنفسهم، فتركوهم وذلك.

(1) في الأصل الخزانة. والصحيح الحزانة: المشتقة من الكلمة الآشورية «حزانو»، بمعنى «الحاكم»، أو «المراقب». و«المرتِّل» هي المقابل العربي للكلمة العبرية «حزَّان». وهذه الكلمة كانت تشير إلى الموظف الذي يقوم بوظيفة معينة في الجماعة، ثم صارت تشير إلى المواطن الذي تُوكَل إليه مهمة الحفاظ على النظام والأمن في المدينة، وتنفيذ أحكام الجَلد. وكان الحزان يضطلع أيضاً ببعض الوظائف الدينية، مثل تلاوة التوراة في المعبد، وإنشاد القصائد الدينية. وتشير الكلمة في الوقت الحاضر إلى المرتل، وهو قائد الإنشاد في الصلوات اليهودية. ولم يكن المصلون في العصور القديمة في حاجة إلى قائد أو مرشد، ولكنهم بنسيانهم العبرية، بدأت تظهر حاجتهم إلى قائد حتى أصبح المنشد جزءًا من الصلاة، وأصبح من الواجب توافر شروط معيَّنة في الفرد ليضطلع بهذه الوظيفة. وفي العصر الحديث، يقوم الحاخام في كثير من الأحيان بدور قائد الجوقة (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) جمع اليهود هنا بين خطأين: الأول أنهم ابتدعوا عبادةً ما أنزل الله بها من سلطان. مع أن العبادات توقيفية؛ فلا يجوز أن يُعبد الله إلا بما شرع، كما يبين سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:21]. والثاني أنهم صاغوا صلاتهم بالألحان. ولم يشرع الله سبحانه صلاة يتقرب بها العباد إليه بالألحان قط. بل ذم ذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال:35].

ومن العجب أن دولة الإسـلام لما جاءت مقرة للذمة على أديانها، وصـارت الصـلاة مباحة لهم، صــارت الحزانة- عند اليهود- من الســنن المســتحبة في الأعياد والمواســم والأفراح. يجعلونها عوضًا عن الصلاة، ويستغنون بها عنها، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك[1]!

(1) إلى هنا آخر نقل إغاثة اللهفان من هذا الكتاب.

(8)

فصل فيما يعتقدونه في دين الإسلام

هم يزعمون أن المصــطفى ﷺ، وشــرُفَ، وعظُمَ، وكرُمَ- كان قد رأى أحلامًا، تدل على كونه صــاحب دولة[1]، وأنه ســافر إلى الشــام في تجارة لخديجة- رضــوان الله عليها، واجتمع بأحبار اليهود، وقَصَّ عليهم أحلامه، فعلموا أنه صاحب دولة[2]،

(1) رأى النبي ﷺ في المنام ما يدل على أنه سيُبعث نبيًا رسولا، لا على ما يدل أنه سيكون ملكًا من ملوك الدنيا. فعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصــبح. ثم حُبِبَ إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه- وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك ...» (أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (3)).

(2) هل يكفي أن يرى الرائي في المنام أنه صاحب دولة حتى يصير كذلك؟!

فأصحبوه **عبد الله بن سلام**[1]، فقرأ عليه علوم التوراة وفقهها مدة[2].

وأفرطوا في دعواهم، إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة- التي في القرآن- إلى تأليف **عبد الله بن سلام**[3]،

(1) عبد الله بن سلام، من يهود بني قينقاع الذين سكنوا يثرب، وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا بعد هجرة النبي ﷺ إليها. ولم يره النبي ﷺ قبل ذلك. ويسرد أنس قصة إسلامه، قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة. فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ، لا يعلمهن إلا نبي. ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهنَّ آنفا جبريل». قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة! فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا أولُ أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأمَّا أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد الحوت. وأمَّا الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه، كان الشبه له. وإذا سبق ماؤها، كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله! ثم قال: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهْت؛ إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟».= =قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟!». قالوا: أعاذه الله من ذلك! فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. فقالوا: شرنا، وابن شرنا. ووقعوا فيه» (أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (3151).

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10] (أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه (3601)).

(2) لم يقرأ النبي ﷺ التوراة، ولا الإنجيل. وأتى القرآن من عند الله يبين ما أخفت اليهود، ويصلح ما حرفت من الوحي الإلهي، بقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:15]. وقال- عز اسمه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:48].

(3) كل ما ذكر هنا كذبٌ من بهت اليهود؛ فلم يكن نبي الله محمد ﷺ تلميذا لأحد من البشر، بل هو أستاذ البشرية؛ لذا ردَّ الله سبحانه على من زعم ذلك، قال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:103]. و قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:48]. ولم يرَ رسولُ الله ﷺ عبد الله بن سلام إلا بعد بعثته بثلاث عشرة سنة، بعد أن هاجر من مكة إلى المدينة.

وأنه قرر في شرع النكاح: أن الزوجة لا تستحل بعد الطلاق الثالث إلا بنكاح آخر؛ ليجعل - بزعمهم- أولاد المسلمين: «**ممزريم**»[1]!

وهذه كلمة جمع، واحده «**ممزير**». وهو ا سم لولد الزنا؛ لأن في شرعهم أن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره، كان أولادهما معدودين من أولاد الزنا[2].

---

(1) «مامزير» تعني أن الطفل غير شرعي. وهي كلمة عبرية معناها «طفل يهودي غير شرعي». ومنزلة المامزير أقل من منزلة اليهودي العادي؛ لأنه ثمرة علاقة جنسية محرَّمة، مثل زواج رجل من امرأة محرمة عليه كأخته أو أمه، أو اتصال امرأة يهودية متزوجة اتصالاً جنسيًا بغير زوجها، وهي= =علاقات عقوبتها الرجم. ويُحرَّم على اليهودي مولدًا أن يتزوج من مامزير، لكن المامزير يمكنه أن يتزوج من مامزير مثله، أو من متهود، وهذا يعني أن الطفل غير الشرعي في منزلة المتهود (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) تثنية 1: 24 «إذا اخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه؛ لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته 2 ومتى خرجت من بيته، ذهبت وصارت لرجل آخر 3 فإن أبغضها الرجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته. أو إذا مات الرجل الأخير، الذي اتخذها له زوجة 4 لا يقدر زوجها الأول- الذي طلقها- أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست؛ لأن ذلك رجس لدى الرب. فلا تجلب خطية على الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا».

فلما كان النسخ مما لا ينطبع فهمه في عقولهم، ذهبوا إلى أن هذا الحكم في النكاح من موضوعات **عبد الله بن سلام**(1)، قصد به أن يجعل أولاد المسلمين «**ممزريم**»- بزعمهم(2).

[نسبة اليهود للأنبياء الزنا والكفر]:

ثم أكثر العجب منهم أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام «**ممزيرًا**» من وجهين، وجعلوا منتظرهم(3) «**ممزيرًا**» من وجهين.

---

(1) علق ابن القيم هنا قال: «ولا ريب أن مثل هذا البَهْت يروجُ على كثير من حميرهم. وقد خلق الله تعالى لكل باطل وبَهْت حَمَلَة، كما جعل للحقِّ حمَلة. وليس وراء هذا البَهت بهت. وليس بمستنكر من أمة قدحت في معبودها وإلهها، ونسبته إلى ما لا يليق بعظمته وجلاله، ونسبت أنبياءه إلى ما لا يليق بهم، ورمتهم بالعظائم: أن ينسبوا محمدا ﷺ وبَجَّلَ وكَرَّمَ وعَظَّمَ- إلى ذلك، وعداوتُه لهم، وملاحمه فيهم، وإجلاؤه لهم من ديارهم وأموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم- معلوم غير مجهول. وقد نسبت هذه الأمة الغضبية عيسى ابن مريم إلى أنه ساحر، ولد بغيَّة. ونسبت أمه إلى الفجور. ونسبت لوطا إلى أنه وطئ ابنتيه، وأولدهما وهو سكران من الخمر. ونسبوا سليمان عليه السلام إلى أنه كان ملكًا ساحرًا، وكان أبوه عندهم ملكًا مسيحًا. ونسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه حل تِكَّة سراويله، وتِكَّة سراويل سيدته، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته، وأنَّ الحائط انشق له، فرأى أباه يعقوب عليه السلام عاضًا على أنامله، فلم يقم حتى نزل جبريل عليه السلام فقال: يا يوسف! تكون من الزناة، وأنت معدود عند الله تعالى من الأنبياء؟! فقام حينئذ. ومعلوم أن ترك الفاحشة عن هذا لا مدح فيه؛ فإن أفسق الناس لو رأى هذا؛ لَوَلَّى هاربًا، وترك الفاحشة» (إغاثة اللهفان 2/ 344-345).

(2) شريعة القرآن وسط بين شريعة التوراة، التي تبت الطلاق، وشريعة الإنجيل التي منعت الطلاق. ونظام المراجعة الإسلامي للمطلقة حل رشيد، ووسط سديد؛ ليكون للزوجين فرصة بعد أخرى للإصلاح؛ وحفظ الأسرة من التمزق؛ وصيانة للذرية من الضياع. وهذا تشريع إلهي حكيم. وهو أوفق لحياة الناس، وأقرب لاستقرار المجتمع؛ وإقامة حدود الله؛ فإن انفصام عرى الزوجية من أول مرة، وتحريم المرأة على زوجها الأول تحريمًا مؤبدًا فيه من الرهق الكثير. يقول الله تعالى:
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾ [البقرة:229-230].

(3) المسيا المنتظر: هو عند اليهود نبي آخر الزمان، الذي ينتظرونه للآن، ويزعمون أنه يكون منهم. لذلك كذبوا بمحمد ﷺ.

وذلك أنهم لا يشكُّون في أن **داود بن يشَّاي بن عوبيد**[1].

وأبو **عوبيد** هذا يقال له **بوعز**، من سبط **يهوذا**[2].

وأمه يقال لها **روث المؤآبية**، من بني مؤاب[3].

ومؤاب هذا منسوب عندهم في نص التوراة، في هذه القصة. وهي أنه لما أهلك الله تعالى أمة لوط لفسادها، ونجا بابنتيه فقط، خالتا ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن تستبقيان منه نسلا. فقالت الكبرى للصغرى:

«إن أبانا لشيخٌ. وإنسانٌ لم يبقَ في الأرض؛ ليأتينا كسبيل البشر. فَهَلُمِّي نسقي أبانا خمرًا، ونضاجعه لنستبقي من أبينا نسلا»[4].

ففعلتا ذلك بزعمهم- لعنهم الله! وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سكر، ولم يعرف ابنتيه، ثم وطئهما، فأحبلهما وهو لا يعرفهما. فولدتْ إحداهما ولدًا سمته **مؤاب**. تعنى أنه من الأب. والثانية سمت ولدها **بن عمِّي**، تعنى أنه من قبيلتها[5].

---

(1) راعوث 4:22 «وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد داود».

(2) راعوث 4:21 «وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد».

(3) راعوث 4-17 :9. أخبار الأيام الأول 2/ 1-15.

(4) تكوين 19:31 «وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا، كعادة كل الأرض. 32 هلمَّ نسقي أبانا خمرًا، ونضطجع معه. فنُحْيي من أبينا نسلا».

(5) هذا صريح ما ورد في سفر التكوين 30-38: 19.

وذلك الولدان عند اليهود «ممزريم» ضرورة؛ لأنهما من الأب وابنتيه.

فإن أنكروا ذلك؛ لأن التوراة لم تكن نزلت. لزمهم ذلك؛ لأن عندهم: أن إبراهيم الخليل عليه السلام لمَّا خاف في ذلك العصر من أن يقتله المصريون بسبب زوجته، أخفى نكاحها، وقال هي أختي؛ علمًا منه بأنه إذا قال ذلك، لم يبقَ للظنون إليهما سبيل[1].

وهذا دليل على أن حظر نكاح الأخت كان في ذلك الزمان مشروعًا[2]. فما ظنك بنكاح البنت، الذي لم يجزْ، ولا في زمن آدم عليه السلام؟!

وهذه الحكاية منسوبة إلى **لوط** النبي في التوراة الموجودة بأيدي اليهود، فلن يقدروا على جحدها. فيلزمهم من ذلك أن الولدين المنسوبين إلى لوط «ممزريم»؛ إذ توليدهما على خلاف المشروع!

وإذا كانت **روث** من ولد **مؤاب**، وهي جدة **داود** عليه السلام، وجدة مسيحهم المنتظر، فقد جعلوهما جميعًا من نسل الأصل الذي يطعنون فيه.

(1) تكوين 12:11 «وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. 12 فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلونني، ويستبقونك. 13 قولي إنك أختي. ليكون لي خيرٌ بسببك، وتحيا نفسي من أجلك».

(2) في تكوين 20/ 12: «وبالحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة».

فمن أفحش المُحال أن يكون شيخٌ كبيرٌ، قد قارب المئة سنة، قد سُقِيَ الخمر حتى سكر سـكرًا، حال بينه وبين معرفة ابنتيه، فضـاجعته إحداهما، واسـتنزلت منيَّه، وقامت عنه وهو لا يَشعر! قاتلهم الله أنى يؤفكون!

نطق كتابهم في قوله:

«**ولو ياذاع بشخبا وبقوماه**».

تفسيره: ولم يشعر باضطجاعها وقيامها[1].

وهذا حديث من لا يعرف كيفية الحَبَل؛ لأنه من المحال أن تَعْلَق المرأة من شـيخ طاعن في السن، قد غاب حِسُّه؛ لِفَرْطِ سُكْرِه!

ومما يؤكد اسـتحالة ذلك: أنهم زعموا أن ابنته الصـغرى فعلت كذلك به في الليلة الثانية. فعلقتْ أيضًا[2].

(1) تكوين 19:35.

(2) تكوين 19:36 «فحبلت ابنتا لوط من أبيهما».

وهذا ممتنع من المشــائخ الكبار: أن يُعلق من أحدهم في ليلة، ويعلق منه أيضًــا في الليلة الثانية**!** إلا أن العداوة التي مازالت بين بني **عمون** و**مؤاب**، وبين بني إســرائيل، بعثت واضــع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال؛ ليكون أعظم الأخبار فحشًا في حق بني عمون ومؤاب[1]**!**

وأيضًــا، فإن عندهم: أن موســى جعل الإمامة في الهارونيين[2]، فلمَّا ولي **طالوت**، وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان **عزرا** هذا خادمًا لملك الفرس، حظيًا لديه؛ فتوصل إلى بناء بيت المقدس؛ وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم.

فلما كان هارونيًا، كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضــاف في التوراة فصــلين طاعنين في نسب داود: أحدهما قصة بنات لوط. والآخر قصة **ثامار**. وسيأتي ذكرها.

ولقد بلغ- لعمري- غرضــه، فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس، لم يملك عليهم فيها داوديون، بل كانت ملوكهم هارونيين.

---

(1) في سفر العدد 20-23 ذكر ما بين بني إسرائيل وهؤلاء من العداوة.

(2) عدد: 3:5 «وكلم الرب موسى قائلا: 6 قدم سبط لاوي، وأوقفهم قدَّام هرون الكاهن، وليخدموه. 7 فيحفظون شعائره، وشعائر كل الجماعة قدام خيمة الاجتماع، ويخدمون خدمة المسكن».

و**عزرا** هذا ليس هو **العزير**- كما يُظن؛ لأن العزير هو تعريب **العازار**.

فأما عزرا فإنه إذا عُرِّبَ لم يتغير عن حاله؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف؛ ولأن عزرا عندهم ليس بنبي، وإنما يسمونه «**عزرا هوفير**». وتفسيره: الناسخ.

[قصة ثامار]:

وأيضًا، فإن عندهم في التوراة قصة أعجب من هذه. وهي أن **يهوذا** بن **يعقوب**- عليهما السلام، زوَّج ولده الأكبر من امرأة يقال لها: **ثامار**. وكان يأتيها مستدبرًا. فغضب الله من فعله فأماته. فزوجها من ولده الآخر، فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض[1]؛ علمًا منه بأنه إن أولدها، كان أول الأولاد مدعوًا باسم أخيه، ومنسوبًا إلى أخيه. فكره الله ذلك من فعله فأماته أيضًا. فأمرها **يهوذا** باللحاق بأهلها إلى أن يكبر «**شيلا**» ولده، ويتم عقله؛ حذرًا من أن يصيبه ما أصاب أخويه. فأقامت في بيت أبيها.

فماتت من بعد زوجة يهوذا. وأصعد إلى منزل يقال له: **تمنة** ليجز غنمه.

فلما أُخبرت **ثامار** بإصعاد حميِّها إلى **تمنة**، لبست زي الزواني، وجلست في مستشرف على طريقه؛ لعلمها بشيمه.

(1) الإمناء على الأرض عند جماع الزوجة حتى لا تحبل يسمى العزل، وورد فيه أحاديث ظاهرها التعارض، ما بين مبيحة له، وما بين محرِّمة.

فلمَّا مَرَّ بها خالَها زانية، فراودها. فطالبته بالأجرة. فوعدها بجدي. ورهن عندها عصاه وخاتمه. ودخل بها، فعلقت منه **بفارص**، و**زارح**[1].

ومن نسل **فارص** هذا، كان **بوعز** المتزوج بروث، التي من نسل مؤاب. ومن ولدها كان **داود** النبي[2] عليه السلام!

وأيضًا، ففي هذه الحكاية دقيقة ملزمة بالنسخ، وهي أن **يهوذا** لما أخبر بأن كُنَّتَه قد علقت من الزنا، أفتى بإحراقها. فبعثت إليه بخاتمه وعصاه. وقالت: مِن ربِّ هذين أنا حامل! فقال: صدقت. مني ذلك. واعتذر بأنه لم يعرفها. ولم يعاودها!

وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان كانت مقتضية إحراق الزواني، وأن التوراة أتت بنسخ ذلك، وأوجبت الرجم عليهن[3].

(1) تكوين 38: 6-30.

(2) أخبار الأيام ألأول 2: 1-15.

(3) تكوين 38: 24 «ولما كان نحو ثلاثة أشهر، أخبر يهوذا، وقيل له: قد زنت ثامار كنتك. وها هي حبلى أيضًا من الزنا. فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق. 25 أمَّا هي فلمَّا أخرجت، أرسلت إلى حميها قائلة: مِن الرجل الذي هذه له أنا حبلى. وقالت: حقّقْ لِمَن الخاتم والعصابة والعصا هذه؟».

وفيها أيضًا من نسبتهم الزناء والكفر إلى بيت النبوة، ما يقارب ما نسبوه إلى لوط النبي عليه السلام[1].

وهذا كله عندهم في نص كتابهم، وهم يجعلون هذا نسبًا لداود، وسليمان، ولمسيحهم المنتظر.

ثم يرون المسلمين أحق بهذا اللقب من منتظرهم.

وكذبهم في هذا القول من أظهر الأمور وأبينها[2].

[تكذيب اليهود لإعجاز القرآن]:

فأما دفعهم لإعجاز القرآن للفصحاء، فلست أعجب منه؛ إذا كانوا لا يعرفون من العربية ما يفرقون به بين الفصاحة والعِي؛ مع طول مكثهم فيما بين المسلمين!

---

(1) من الكذب نسبتهم الكفر إلى نبي الله سليمان، ففي سفر الملوك الأول (11:4): «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه- كقلب داود أبيه». ومن هذا الكذب نسبتهم الزنا إلى نبي الله داود بامرأة قائده «أوريا»، وتدبيره قتله حتى لا يفضح أمره. ففي سفر صموئيل الثاني 2: 11 «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ. وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا. 3 فأرسل داود، وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت اليعام، امرأة أوريا الحثّي. 4 فأرسل داود رسلا، وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهّرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. 5 وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود، وقالت: إني حبلى».

(2) يعد اليهود الحاخاميون كلَّ يهودي قرّائي مامزيرًا، إذ بينما يعتبرون الزواج القرّائي شرعيًا، فإنهم يعتبرون الطلاق غير شرعي، وبالتالي فإن كل امرأة قرّائية تُطلَّق ثم تتزوج للمرة الثانية، يكون زواجها الثاني غير شرعي، وتكون ثمرته مامزيرًا. ولأن هذا الأمر استمر عبر الأجيال، فإن كل القرّائين صاروا مامزيرًا.

وأيضًا، فمن اعتراضهم على المسلمين، أنهم يقولون: كيف يجوز أن يُنسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضًا؟!

يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضًا!

فنقول لهم: أما تحسين جواز ذلك، فقد ذكرناه في أول هذه الكلمة[1]. وأما تعجبكم منه، وتشنيعكم به، فإن كتابكم غير خالٍ من مثله.

فإن أنكروا ذلك قلنا لهم: ما تقولون في السبت[2]؟ أيهما أقدم افتراضها عليكم، أو افتراض الصوم الأكبر[3]؟

فيقولون: السبت أقدم.

لأنهم إن قالوا: الصوم أقدم. كذبناهم بأن السبت فرضت عليهم في أول إعطائهم المنَّ. والصوم الأكبر فرض عليهم بعد نزول اللوحين، ومخالفتهم وعبادتهم العجل. ولمَّا رُفع عنهم عقاب ذنبهم ذلك في هذا اليوم، فرض عليهم صومه وتعظيمه.

(1) يعني أول هذا الكتاب.

(2) خروج 16:29 انظروا! إن الرب أعطاكم السبت؛ لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين. اجلسوا كل واحد في مكانه. لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع».

(3) الصوم الأكبر: هو صوم يوم الغفران في العاشر من تشري، وهو الصوم الوحيد الذي ورد في أسفار موسى الخمسة، حيث جاء في سفر اللاويين (27: 23): «أمَّا العاشر، من هذا الشهر السابع، فهو يوم الكفّارة محفلا مقدسًا يكون لكم، تذللون نفوسكم، وتقربون وقودًا للرب». وقد فسرت هذه العبارة على أنها إشارة إلى الصوم.

فإذا أقروا بتقديم السبت، قلنا لهم: ما تقولون في يوم السبت؟ هل فرضت فيه عليكم الراحة والدعة، وتحريم المشقات، أم لا؟

فيقولون: بلى!

فنقول لهم: فلِمَ فرضتم فيه الصوم إذا اتفق صومكم الأكبر يوم السبت، مع كون صومكم فرض بعد فريضة السبت؟ ولكم في ذلك الصوم أنواع من المشقة، منها القيام جميع النهار، أليس هذا أيضًا قد نسخ فريضة السبت؟

[سب اليهود رسول الله ﷺ]:

وأما سيدنا رسول الله- وعظُمَ، وكرُمَ- فله فيما بينهم اسمان فقط. فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أحدهما: فاسول[1]. **وتفسيره**: الساقط.

والثاني: موشكاع[2]. **وتأويله**: المجنون.

وأما القرآن العظيم، فإنهم يسمونه فيما بينهم: «قالون».

وهو اسم للسوءة بلسانهم. يعنون بذلك أنه عورة المسلمين.

وبذلك وأمثاله صاروا أشد عداوة للذين آمنوا[3]. فكيف لا يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون[4]؟!

(1) الفَسْلُ من الرجال: الرذل (مختار الصحاح 1/ 517).

(2) تَسَكَّعَ في أَمره: لم يهتدِ لوُجْهَتِه. ورجل سُكَعٌ: متحير. وفلان في مَسْكَعةٍ من أَمره، وفي مُسَكِّعةٍ: هي المُضَلِّلةُ المُوَدِّرَةُ، التي لا يُهْتَدى فيها لوجه الأَمر (لسان العرب 8/ 159).

(3) يقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:82].

(4) يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:159].

(9)

فصل مُعْرِب عن بعض فضائحم [1]

ومن الفضائح التي عندهم مذهبهم في قصة البياما والحالوص[2].

وذلك أنهم أُمروا أنه إذا أقام أخوان في موضـــع واحد، ومات أحدهما، ولم يعقب ولدًا، فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي. بل ولد حميها ينكحها. وأول ولد يُولِدُها، يُنســـب إلى أخيه الدارج[3].

فإن أبى أن ينكحها، خرجتْ مشتكية منه إلى مشيخة قومها قائلة:

---

(1) قال ابن القيم في هذا الموضـــع: «ومن تلاعب الشـيطان بهذه الأمة الغضـبية: أنهم إذا رأوا الأمر أو النهي، مما أمروا به أو نهوا عنه- شـــاقا عليهم، طلبوا التخلص منه بوجوه الحيل. فإن أعيتهم الحيل قالوا: هذا كان علينا لما كان لنا الملك والرياسة» (إغاثة اللهفان 2/ 335).

(2) في بعض النسخ «اليتامى والجالوس». والصحيح ما أثبت؛ فإن «يباماه» في العبرية هي الأرملة التي مات زوجها ولم تنجب أطفالاً.

(3) يُحرِّم العهد القديم زواج أرملة الأخ إن كان لها أطفال، فإن لم يكن لها أطفال يجب عليه أن يتزوجها. وفي ســـفر التثنية «(5: 25): إذا ســـكن إخوة معًا، ومات واحد منهم وليس له ابن، فلا تصـــر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها، ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخي الزوج. 6 والبكر الذي تلده يقوم با سم أخيه الميت لئلا يُمحَى اسمه من يسرائيل».

«قد أبي ابن حميي أن يستبقي اسمًا لأخيه في إسرائيل، ولم يُرِدْ نكاحي»[1].

فيحضره الحاكم هناك، ويكلفه أن يقف، ويقول:

«لوجافا صتى لفختاه».

تفسيره: ما أردتُ نكاحها[2]!

فتتناول المرأة نعله، فتخرجها عن رجله، وتمسكها بيدها، وتبصق في وجهه، وتنادى عليه:

«كاخا يعاسى لا اه يش اشير لو بينى إث بيث أحيو».

تفسيره: كذا فليُصنعْ بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه[3].

ويُدعى فيما بعد اسـمه بالمخلوع النعل. وينبز بيته بهذا اللقب- أعنى: بيت المخلوع النعل[4].

---

(1) التثنية 7: 25 «وإن لم يرضـى الرجل أن يأخذ امرأة أخيه، تصـعد امرأة أخيه إلى الباب، إلى الشـيوخ، وتقول: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج».

(2) تثنية 8 «فيدعوه شيوخ مدينته، ويتكلمون معه. فإن أصرَّ وقال: لا أرضى أن أتخذها».

(3) تثنية 9: 25 «تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشـيوخ، وتخلع نعله من رجله، وتبصـق في وجهه، وتصـرح وتقول: هكذا يُفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه».

(4) تثنية 10: 25 «فيدعى اسمه في إسرائيل: بيت مخلوع النعل».

هذا كله مفترض في التوراة عليهم[1].

وفيه حكمة مُلْجِئة للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج؛ لأنه إذا علم أنه قد فُرض على المرأة أن تشتكي إلى نادي قومها، فذلك مما يحمله على نكاحها.

فإن لم يردعه الحياء من ذلك، فربما إذا حضر استحيا أن يقول: ما أردتُ نكاحها.

فإن لم يخجله ذلك، فربما يستحي من انتهاك العرض، بخلع نعله، وكون المرأة تُشيل[2] نعله، وتبصق في وجهه، وتنادي عليه بقلة البركة والمروءة.

فإن هو استهان بذلك، فربما استعظم أن يُنْبَز باللقب، ويبقى عليه وعلى آله من بعده عاره وقبح اسمه، فيُلجئه ذلك إلى نكاحها.

فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك، فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك. وليس في التوراة غير هذا.

---

(1) تثنية 5-10: 25. وهذه تُسمَّى شعائر الحليتساه، أو الحالوص.

(2) أَشالَ الحَجَرَ، وشالَ به، وشاوَلَهُ: رَفَعه (لسان العرب 11/ 374).

ففرَّع فقهاؤهم على ذلك ما فيه خزيهم وفضيحتهم، وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخي زوجها المتوفى، أكرهوه على النزول عنها، ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم الحاخاميم، ولقنوها أن تقول:

«**مباين بيامن لها قيم لا جو شيم بيسرايل لوا ابا يبمى**».

تفسيره: أبى ابن حميي أن يُقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل، ولم يُرِدْ نكاحي.

فيلزمونها الكذب عليه؛ لأنه أراد فمنعته، فكان الامتناع منها، والإرادة منه.

وإذا لقنوها تلك الألفاظ، فهم يأمرونها بالكذب.

ويحضرونه، ويأمرونه بأن يقوم ويقول:

«**لوحا فاصيتي لفحتا**».

تفسيره: ما أردتُ نكاحها.

ولعل ذلك سؤله ومناه. فيأمرونه بأن يكذب.

وأما إخراقها به، وبصقها في وجهه، فغاية التعدي؛ لأنه ما كفاهم بأن يكذبوا عليه، وألزموه بأن يكذب، حتى ألزموه عقابًا على ذنب لم يجنه. فصاروا كما قال الشاعر[1]:

وجُرْمٌ جَرَّهُ سفهاءُ قومٍ ... فحلَّ بغير جانيه العقابُ[2]

(1) البيت للمتنبي.

(2) علق ابن القيم هنا قال عن اليهود: «القوم بيت الحيل والمكر والخبث. وقد كانوا يتنوعون في عهد رسول الله ﷺ بأنواع الحيل والكيد والمكر عليه وعلى أصحابه. ويرد الله ﷻ ذلك كله عليهم. فتحيَّلوا عليه، وأرادوا قتله مرارًا، والله تعالى ينجيه من كيدهم، فتحيلوا عليه، و صعدوا فوق سطح، وأخذوا رحًا أرادوا طرحها عليه، وهو جالس في ظل حائط، فأتاه الوحي، فقام منصرفا، وأخذ في حربهم وإجلائهم. ومكروا به، وظاهروا عليه أعدائه من المشركين، فظفَّره الله تعالى بهم. ومكروا به، وأخذوا في جمع العدو له، فظفَّره الله تعالى برئيسهم فقتله. ومكروا به، وأرادوا قتله بالسم، فأعلمه الله تعالى به، ونجَّاه منه. ومكروا به، فسحروه حتى كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، فشفاه الله تعالى وخلصه. ومكروا به في قولهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران:72]. يريدون بذلك تشكيك المسلمين في نبوته؛ فإنهم إذا أسلموا أول النهار، اطمأنَّ المسلمون إليهم، وقالوا: قد اتبعوا الحقَّ، وظهرت لهم أدلته، فيكفرون آخر النهار، ويجحدون نبوته، ويقولون: لم نقصد إلا الحق واتباعه، فلما تبين لنا أنه ليس به، رجعنا عن الإيمان به. وهذا من أعظم خبثهم ومكرهم. ولم يزالوا موضعين مجتهدين في المكر والخبث، إلى أن أخزاهم الله بيد رسوله وأتباعه ﷺ و رضي الله عنهم- أعظم الخزي، ومزَّقهم كل ممزق، وشتَّتَ شملهم كل مشتت. وكانوا يعاهدونه- عليه الصلاة والسلام- ويصالحونه، فإذا خرج لحرب عدوه، نقضوا عهده. ولما سلب الله تعالى هذه الأمة ملكها وعزها، وأذلها وقطعهم في الأرض، انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان، إلى التدبير بالمكر والدهاء، والخيانة والخداع. وكذلك كل عاجز جبان، سلطانه في مكره وخداعه وبهته وكذبه» (إغاثة اللهفان 2/ 335-337).

(10)

ذكر السبب في تشديدهم الإصر على أنفسهم

تشديدهم الإصر[1] على أنفسهم له سببان: أحدهما من جانب فقهائهم، وهم الذين يُدْعون الحاخاميم[2].

وتفسير هذه اللفظة: الحكماء.

[وضع فقهاء اليهود كتاب التلمود]:

وكان اليهود في قديم الزمان تسمي فقهاءها بالحكماء. وكانت لهم في الشام والعراق والمدائن مدارس، وكان لهم ألوف من الفقهاء. وذلك في زمان دولة النبط البابليين[3]، والفرس، ودولة اليونان، ودولة الروم. حتى اجتمع الكتابان اللذان اجتمع فقهاؤهم على تأليفهما. وهما **المشنا**، و**التلمود**.

---

(1) الإصر: الإِصْرُ: الذنب، والثقل (مختار الصحاح، ص 18).

(2) قال ابن القيم هنا: «ومن تلاعب الشيطان بهم، ما شدَّدوه على أنفسهم في باب الذبائح وغيرها مما ليس له أصل عن موسى عليه السلام، ولا هو في التوراة، وإنما هو من أوضاع الحاخاميم وآرائهم. وهم فقهاؤهم» (إغاثة اللهفان 2/ 329).

(3) «الأنباط» قبائل من العرب. ا ستمرت الحرب بينها وبين الـسلطة اليهودية في فلـسطين في أثناء حكم الهيروديين، فحارب ملكها مالك الأول (50ـــ 28 ق.م) ضد هيرود. وقدم الأنباط مساعدة للرومان في إخماد التمرد اليهودي الأول. وبلغت المملكة أقصى اتساعها في عهد الحارث الرابع (91ـــ40 ق.م)، فكانت تضم جنوبي فلسطين، وشرقي الأردن، وسوريا الجنوبية الشرقية، وشمال الجزيرة العربية. والحارث هو الذي هزم أنتيباس بن هيرود. ولكن بلاد الأنباط فقدت استقلالها مع ظهور القوة الرومانية، ثم ضمها تراجان إلى الإمبراطورية.

فأما **المشنا،** فهو الكتاب الأصغر، وحجمه نحو ثمانمئة ورقة[1].

وأما **التلمود**، فهو الكتاب الأكبر. ومبلغه نحو نصــف حِمْل بَغْل لكثرته. ولم يكن الفقهاء الذين ألَّفوه في عصر واحد، وإنما ألَّفوه في جيل بعد جيل[2].

فلمَّا نظرَ المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مرَّ عليه جيل زادوا فيه، وأن في هذه الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف-

---

(1) المشناه: هي مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير لأسفار العهد القديم، وتتكون من الفتاوى والتشريعات اليهودية التي وضعها معلمو المشناه (تنائيم) على مدى ستة أجيال (10ـــ 220). وتُعَدُّ المشناه مصدرًا من المصادر الأساسية للشــريعة، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم، الذي يُطلَق عليه لفظ «مقرا» (من «قرأ») باعتبار أن العهد القديم هو الشريعة المكتوبة التي تُقرأ. أما المشناه، فهي الشريعة الشفوية، أو التثنية الشفوية. ويرى واضعو المشناه أنها جزء من الوحي الذي تلقاه موسى، فهي التوراة (أو الشريعة الشفوية) لا بمعنى أن بعض أجزائها تلقاه موسى شفاهة في سيناء ثم تم تناقلها شفاهة عبر الأجيال من حاخام إلى آخر، وإنما بمعنى أن تقاليد التوراة الشفوية لا تزال مستمرة حتى وقتنا هذا. وقد ظلت المشناه أهم كتب اليهود المقدَّسة والمصدر الحقيقي للتشريع والأحكام والفتاوى. إلا أن المشناه بدأت- منذ القرن الســادس عشــر- تفقد شــيئًا من أهميتها ومركزيتها، وذلك مع شــيوع القبَّالاه، وازدياد نفوذ القبَّاليين، الذين أخذوا يهاجمون الحاخامات، ويُصدرون الفتاوى استنادًا إلى «الزوهار» وأقوال «لوريا» (موسوعة اليهودية والصهيونية).

(2) حل التلمود محل التوراة في العصــور الوسـطى باعتباره كتاب اليهود المقدَّس الأســاســي، حتى أن كثيرًا من الحاخامات كانوا يعرفون التلمود أساسًا، ويعرفون العهد القديم بدرجة أقل. وقد تركزت في التلمود، بعد تدوينه، كل السلطة الدينية والروحية في اليهودية، حتى أن كل قرار في الحياة اليهودية، مهما علا شــأن هذا القرار أو صَــغُر، قد جرى اتخاذه وفقاً للسلطة التلمودية. وتتضح الخاصية التراكمية العميقة في التلمود، فهو يضم داخله وجهات نظر شتى متناقضة تمامًا، فهو عبارة عن موسوعة تتضمن: الدين والشريعة، والتأملات الميتافيزيقية، والتاريخ والآداب، والعلوم الطبيعية. كما يتضمن أيضًـــا، فصــولاً في الزراعة وفلاحة البســاتين والصـــناعة والمهن والتجارة والربا والضــرائب وقوانين الملكية والرق والميراث، وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم، والقصص الشعبي. بل ويغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة. ويُلاحَظ أن التلمود كتاب هائل الحجم، متعدِّد الأجزاء، مجلداته ضــخمة، تصــل في بعض الطبعات إلى ما يزيد على عشرين مجلدًا (موسوعة اليهودية والصهيونية).

علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك، ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلل الظاهر، والتناقض الفاحش. فقطعوا الزيادة فيه، ومنعوا من ذلك، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وإضافة شيء آخر إليه، وحَرَمُوا[1] مَن يُضيف إليه شيئا آخر، فوقف على ذلك المقدار.

وكان أئمتهم قد حرموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة الأجانب. أعني من كان على غير ملتهم. وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذباحة من لم يكن على دينهم؛ لأنهم- أعني علماءهم وأئمتهم- علموا أن دينهم لا يبقى عليهم في هذه الجلوة[2]، مع كونهم تحت الذل والعبودية، إلا إن صدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم[3].

وحرموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائحهم. ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يبتدعونها من أنفسهم، ويكذبون بها على الله تعالى؛ لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم؛ لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام، والكفر بالله تعالى[4].

(1) الحرمان: يعني الطرد من جماعة المؤمنين. وهو التكفير.

(2) الجلوة: عكس الخلوة. والمراد بها مخالطة الناس.

(3) عدم مخالطة اليهود للأمم فرضه عليهم أحبارهم. ولا يكتفي كتابهم بتحريم الزواج من غير بنات إسرائيل، بل يحذر اليهود من مخالطة شعوب الأرض ففي سفر يشوع «12: 23 »ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب، أولئك الباقين معكم، وصاهرتموهم، ودخلتم إليهم، وهم إليكم 13 فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونوا لكم فخا و شركا، و سوطا على جوانبكم، و شوكا في أعينكم، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلهكم».

(4) تثنية 6:14 «لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم».

وحرم عليهم في التوراة أكل ذبائح الأمم الذين يذبحونها قربانا للأصـنام؛ لأنها قد سـمي عليها غير اسم الله تعالى[1].

فأما الذبائح التي لم تذبح قربانًا، فلم تنطق التوراة بتحريمها، وإنما نطقت التوراة بإباحتهم تناول المأكل من يدي غيرهم من الأمم في قول الله تعالى لموسـى حين اجتازوا على أرض بني العيص:

«لوثنكار وبام كي لو ابتين ثخامياً رحمام عاذ بذراح كف راغل».

تفسيره: لا تتحرشوا بهم؛ فإني لا أعطيك من أرضهم، ولا مسلك قدم[2].

«أوحل تشبروميا ثام بنسيف زاخلين وعم ياعم تخزو باءتام تكيف وشيدثيم».

(1) خروج 22:20 «من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك».

(2) تثنية 2:5 «لا تهجموا عليهم؛ لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم؛ لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا».

تفسـيره: مأكولا تمتاروا[1] منهم بفضـة و تأكلوه. وأيضًـا ماء تشـتروا منهم بفضـة وتشربوا[2].

فقد تبيَّن من نص التوراة: أن المأكول مباح لليهود تناوله من يد غيرهم من الأمم وأكله[3].

وهم يعلمون أن بني العيص كانوا عابدي الأ صنام، وأ صحاب كفر. فلا يكون الم سلمون على كل حال بدون هذه المنزلة- أعني أن يساوى بينهم وبين بني العيص، فينبغي لهم أن يأكلوا من مأكولات المسـلمين، وأن يجعلوا للمسـلمين تفضـيلا بتوحيدهم وإيمانهم، وكونهم لا يعبدون الأصـنام، فموسـى عليه السلام إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصـنام، وأكل ما يذبحونه بأسمائها، ولسنا نعرف أحدًا من المسلمين يذبح ذبيحة باسم صنم، ولا وثن.

(1) تمتاروا: المِيرَةُ الطعامُ يَمْتارُه الإِنسان (لسان العرب 5/ 188).

(2) تثنية 6: 2 «طعامًا تشترون منهم بالفضة لتأكلوا، وماء أيضًا تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا».

(3) حرم اليهود شرب خمر أعدها أو لمسها شخص من الأغيار. بل يُحرِّمون أيضًا أكل خبز أو طعام أعده شخص من الأغيار، حتى لو أُعدَّ حسب قوانين الطعام اليهودي. فقد وسع الحاخامات نطاق التحريم بحيث أصبح يشمل ما أعده الوثني، أو أي إنسـان غير يهودي. كما لم تَعُد المسـألة إعداد الخمر، وإنما مجرد فتح الزجاجة. وينطبق هذا القانون أسـاسًـا على المسيحيين، وبدرجة أخف على المسلمين. فإذا فتح مسيحي زجاجة وجب سكبها، ولكن إذا لمسها مسلم، فإنه يحرم شربها، وإن كان يحل بيعها. كما حرَّم بعض الحاخامات تناول الطعام في منزل الأغيار، أو حتى معهم (مو سوعة اليهودية والصهيونية).

فما بال هؤلاء لا يأكلون من ذبائح المسـلمين؟! بل ما بال من سـكن بالشـام وبلد العجم منهم لا يأكلون من أ يدي المسـلمين: اللبن، والجبن، والحلوى، والخبز، وغير ذ لك من المأكولات؟!

فإن قالوا: لأن التوراة حرمت علينا أكل **الطريفا**.

قلنا لهم: إن **الطريفا** هي الفريسة التي يفترسها الأسد، أو الذئب، أو غيره من السباع. ودليل ذلك قول التوراة:

«**وباساد بساذي طريفا لوثو حانو لمكيلب تشيلخووثو**».

تفسيره: ولحمًا في الصحراء فريسة لا تأكلوا، للكلب ألقوه[1].

[وضع فقهاء اليهود كتاب الذباحة]:

فلما نظر أئمتهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم، إلا عباد الأ صنام، وأن التوراة قد صرحت بأن تحريم مواكلتهم ومخالطتهم؛

(1) خروج 22:31 «وتكونون لي أناس مقدّسين. ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا. للكلاب تطرحونه».

خوف اســتدراجهم بالمخالطة إلى مناكحتهم؛ وأن مناكحتهم إنما تكره خوف اســتتباعها الانتقال إلى أديانهم، وعبادة أوثانهم. ووجدوا جميع هذا واضحًا في التوراة- اختلقوا كتابًا سموه «**هلكت شحيطا**»[1]، ومعناه: **علم الذباحة**.

ووضــعوا في هذا الكتاب من تشــديد الإصــر عليهم، ما شــغلوهم به عمَّا هم فيه من الذل والمشقة؛ وذلك أنهم أمروهم بأن ينفخوا الرئة حتى تمتلئ هواءً، ويتأملوها حتى يخرج الهواء من ثقب منها، أم لا. فإن خرج منها الهواء حرَّموه. وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه.

وأيضًــا، فإنهم أمروا الذي يتفقد الذبيحة أن يُدخل يده في بطن الذبيحة، ويتأمل بإصــبعه، فإن وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة- حَرَّموه، ولم يأكلوه، وسموه طريفا. ويعنون بذلك: أنه نجس.

وهذه التســمية هي أول التعدي منهم؛ لأنه ليس موضــوعها في اللغة إلا المفترس، الذي يفترسه بعض الوحوش. ودليل ذلك قول يعقوب- لما جاءوه بقميص يوسف ملوثًا بالدم:

(1) «الذبح الشرعي» هو الترجمة العربية للكلمة العبرية «شحيطاه».

«**ويكيراه ويومر كثوث بنى حياراعا احالا ثهوطاروف طوارف يوسيف**».

تفسيره: فتأملها وقال: دُرَّاعة[1] ابني! وحشٌ رديء أكله. افتراسًا افترس يوسف[2]!

فقد تبين أن تفسير «**طروف طوراف يوسف**»: افتراسًا افترس يوسف.

فالطريفا هي الفريسة.

ودليل آخر أنه قال: ولحمًا في الصحراء فريسة لا تأكلوا[3].

والفريسة أبدًا إنما توجد في الصحراء[4].

(1) دُرّاعةُ ومِدْرعُ: ضرب من الثياب التي تُلْبَس. وقيل: جُبَّة مشقوقة المُقَدَّم (لسان العرب 8/ 81).

(2) تكوين 37:33 «فتحققه وقال: قميص ابني! وحش رديء أكله. افترس يوسف افتراسًا».

(3) خروج 22:31 «ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا».

(4) الطريفا هي الفريسة التي فترسها الأسد أو الذئب أو غيرها من السباع، وهو الذي عبَّر عنه القرآن بقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[المائدة:3].

وليس ينبغي أن يُعجب من ذلك؛ فإن هذا النهي عن أكل الفريســة إنما نزل على قوم ذوي أخْبِية يسـكنون البر؛ وذلك أنهم مكثوا يترددون في التِّيْه(1) والبراري تمام أربعين سـنة، وكانوا أكثر هذه المدة لا يجدون طعامًا إلا المَنَّ(2). فلما ا شتد قَرَمُهم(3) إلى اللحم، جاءهم مو سى بالسَّلوى. وهو طائر صغير يُشبه السُمَانى(4). وخا صيته أن أكل لحمه يُلين القلوب القا سية، ويَذهب بالخُنْزُوانة(5)، والقساوة.

وذلك أن هذا الطائر يموت إذا سمع صوت الرعد، كما أن الخُطَّاف(6) يقتله البرد؛ فيلهمه الله ﷻ أن يسكن جزائر البحر، التي لا يكون بها مطر ولا رعد، إلى انقضاء أوان المطر والرعد، فيخرج من الجزائر، وينتشر في الأرض.

(1) التِّيهُ: المفازة يُتاه فيها. وهو الموضع الذي ضـلَّ فيه موسـى بن عمران ﷺ وقومه. وهي أرض بين أيلة، ومصـر، وبحر القلزم، وجبال السراة من أرض الشام (معجم البلدان 2/ 69. مختار الصحاح، ص83).

(2) المنّ: هو العَسلُ الحُلْوُ، الذي يَنْزِلُ من السماء عَفْوًا بِلاَ عِلاَجٍ (النهاية في غريب الأثر 4/ 802).

(3) قرمهم: القَرَمُ بفتحتين شدة شهوة اللحم. وقد قَرِمَ إلى اللحم، من باب طرب (مختار الصحاح، ص 560).

(4) السماني: السمان طائر بري، يعيش في أوروبا وآ سيا. ا ستئنس منذ زمن بعيد. وهو من الطيور المهاجرة، يطير لمسافات طويلة جدا في أثناء الهجرة. ويهاجر شتاءً إلى منطقة البحر المتوسط وأفريقيا.

(5) الخنزوانة: هي الكِبْر؛ لأَنها تُغَيِّرُ عن السَّمْت الصالح (لسان العرب 5/ 346).

(6) الخطاف أو النون: طائر بري أسود اللون، تسميه العامة عصفور الجنة. يبني عشه على حافة الهاوية، أو على جدران المباني والباحات الخارجية على شكل أ صيص مدور مجوف. وغالبًا ما يبني عشه تحت نتوء صخري؛ كي تحميه الصخرة من الأمطار المتساقطة.

فجلب الله إليهم هذا الطائر؛ لينتفعوا بما في أكل لحمه من الخاصية، وهي تليين القلوب القاسية[1].

وكان قد اشتد قرَمهم إلى اللحم قبل ذلك[2]، بحيث لم يمنعهم من أكل الفريسة والميتة، إلا نزول تحريمها في التوراة[3].

فقد تبيَّن التعدي من مشائخهم في تفسير الطريفا؛ وأنه الفريسة.

فأمَّا فقهاؤهم، فإنهم اختلقوا من أنفسهم هذيانات وخرافات تتعلق بالرئة والقلب. وقالوا ما كان من الذبائح سليمًا من هذه الشروط فهو «**دخيا**». وتفسير هذه الكلمة: طاهر. وما كان خارجًا عن هذه الشروط فهو «**طريفا**». وتفسير هذه الكلمة: حرام.

وقالوا: معنى قول التوراة:

«ولحمًا فريسة في الصحراء لا تأكلوا. للكلب ألقوه».

---

(1) قلوب يهود. يقول الله ﷻ عنها: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:74]. وفي التوراة عنها أيضًا (مزامير 81:11): «فلم يسمع شعبي لصوتي. وإسرائيل لم يرضَ بي. 12 فسلمتهم إلى قساوة قلوبهم؛ ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم».

(2) قال موسى (عدد 13: 11): «من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب؟ لأنهم يبكون عليَّ قائلين: أعطنا لحمًا لنأكل».

(3) لاويين 22:8 «ميتة أو فريسة لا يأكل فيتنجس بها. أنا الرب».

يعني إذا ذبحتم ذبيحتكم، ولم توجد فيها هذه الشـروط، فلا تأكلوها. بل تبيعوها على من ليس من أهل ملتكم.

وذلك أنهم فسروا قوله: «للكلب ألقوه». أي لمن ليس على ملتكم[1]: أطعموه وبيعوه[2].

ألا إنهم على الحقيقة أشبه بالكلاب، وأحق بهذا اللقب والتشبيه[3]، لقبح عقولهم، وسوء ظنونهم، واعتقادهم فيمن سواهم من الأمم[4]!

(1) في متَّى (7:6) تفسير الكلاب بالأمم. قال: «لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير؛ لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم».

(2) يعلق ابن القيم هنا قائلا: «فتأملْ هذا التحريف والكذب على الله، وعلى التوراة، وعلى موسى. ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك، فقال في السورة المدنية التي خاطب فيها أهل الكتاب: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:114-115]. وقال في سورة الأنعام: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:145]. فهذا تحريم زائد على تحريم الأربعة المتقدمة. وقال في سورة النحل- وهي بعد هذه السورة نزولا: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل:118]. فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن» (هداية الحيارى، ص202).

(3) يقول الله سبحانه في اليهود: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:60].

(4) عند اليهود: ينقسم البشـر إلى يهود- وهم شعب الله المختار، وأمميين (جوييم). ويصور اليهود الجوييم بالعدو، الذي يجب إخضاعه، أو القضاء عليه واستئصاله: ويُنظَر إلى الأغيار على اعتبار أنهم جميعًا أشرار مدنَّسون، يستحيل معاملتهم، وأنهم كاذبون في بطبيعتهم؛ ولذا لا يؤخذ بشهاداتهم في المحاكم الشـرعية اليهودية. وقد تحوَّل هذا الرفض إلى عدوانية واضحة في التلمود، الذي يدعو دعوة صريحة إلى قتل الغريب، حتى ولو كان من أحسن الناس خلقا.

[فرقتا اليهود: القراءون والربانيون]:

ثم إن اليهود فرقتان: إحداها عرفت أن أولئك السلف، الذين ألَّفوا المشنا والتلمود، وهم فقهاء اليهود- قوم كذابون على الله تعالى، وعلى موسى النبي. أصحاب حماقات ورقاعات هائلة.

من ذلك أن أكثر مسائل فقههم ومذهبهم يختلفون فيها، **ويزعمون أن الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في كل واحدة من هذه المسائل، يُوحِي الله إليه بصوت يسمعه جمهورهم يقول: الحقُّ في هذه المسالة مع الفقيه فلان!**

وهم يسمون هذا الصوت: «**بث قول**»[1].

فلما نظر **اليهود القراءون**[2]، وهم أصحاب **عانان بن داود**[3]، **وبنيامين**[4]- إلى هذه المحالات الشنيعة، وإلى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقالتهم، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله تعالى، وقالوا- بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم ادعوا النبوة، وزعموا أن الله تعالى كان يُوحِي إلى جميعهم في كل يوم مرات: قد فسقوا، ولا يجوز قبول شيء منهم.

(1) معناه: القول الفصل.

(2) قامت دعوات الاحتجاج الشعبي اليهودية من الصوفية، والمشيحانية على أساس معارضة التلمود، ومضادة سلطته، ومقاومة المؤسسة التي تدرسه، وتهيمن باسمه. وأهم هذه الدعوات فرقة القرائين، التي كانت دعوة عقلانية، متأثرة بالمحيط الإسلامي. فمعنى القرائين: المتمسكون بالكتاب وحده، أي أسفار العهد القديم وفقط. ولا يزال لهذه الفرقة أتباع كثيرون من اليهود في مختلف البلاد في العصر الحاضر.

(3) عنان بن داود: أحد علماء اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد، مؤسس مذهب القرّائين، ويقوم مذهبه على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات. وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الربانيون التي استندوا في تقريرها إلى أسفار التلمود، وأدخل على كثير من تشريعاتهم التي استمدوها من فهمهم لنصوص العهد القديم تعديلات استمدها هو من اجتهاده الخاص. فقد انفرد في استنباط الأحكام من هذه النصوص بآراء كثيرة، مستخدمًا منهج القياس الذي استقاه من الفقه الإسلامي، وخصوصًا من منهج الإمام أبي حنيفة. فمن الواضح أن اليهودية كانت تواجه تحدياً فكرياً ضخمًا بعد انتشار الإسلام، وكان عليها أن تستجيب له، وتبدي قدرًا من المرونة والتطور (موسوعة اليهودية والصهيونية. موقع بينات- العلامة محمد حسين فضل الله).

(4) بنيامين بن موسى: عالم قرّائي، عاش في فارس والعراق، نادى بتعاليمه في أوائل القرن التاسع الميلادي. ويُعَدُّ (مع عنان بن داود) مؤسس المذهب القرّائي. وهو صاحب مصطلح «قرّائي». اتسم بتبحره في العلوم الإسلامية الدينية والدنيوية، له آراء تأثر فيها بمذاهب المعتزلة وفلاسفة الإسلام، وخاصة الفارابي وابن سينا. انشغل بتحديد عقائد القرّائين، وبذل جهدًا كبيرًا في تطهير الفكر اليهودي من أية اتجاهات لخلع صفات بشرية على الإله؛ ولذا أصرَّ على قوله بأن الشريعة لم تُوحَ إلى موسى مباشرة، وإنما أُوحِيَتْ إليه من خلال ملاك. وقال بأن الإله لم يَخلُق العالم مباشرة، وإنما خلقه من خلال ملاك أيضًا. وليس عجيبًا رفض القرّاءين رأيه هذا (موسوعة اليهودية والصهيونية. موقع بينات- العلامة محمد حسين فضل الله).

فخالفوهم في ســائر ما أضــلوا به من الأمور التي لم ينطق بها نص التوراة، وأكلوا اللحم باللبن. ولم يُحرموا ســوى ابن الجدي بلبن أمه فقط؛ مراعاة للنص. أعني قول التوراة: «لا ينضج الجدي بلبن أمه»(1).

وأما الترهات التي ألفها الحخاميم الفقهاء، وسموها «**هلكت شحيطا**». أعني علم الذباحة. وهي المســائل الفقهية التي رتبها الفقهاء، ونســبوها إلى موســى عن الله تعالى، فإن القرائين أطرحوها مع غيرها وألغوها، وصــاروا لا يحرمون شــيئا من الذبائح التي يتولون ذباحتها البتة(2).

(1) خروج 23:19، 34:26 أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جديًا بلبن أمه».

(2) اشتدَّ الخلاف بين القرائين والربانيين، وهما الفرقتان اليهوديتان الباقيتان إلى العهد الحاضر، وشنَّتْ كلتاهما حربًا عنيفة على الأخرى، ورمتها بالكفر. وا ستقلت بمعابد خا صة، لا يُسمح بدخولها لغير أتباعها. وقد بيَّن الله اختلافهم هذا بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:93].

فهذا حال هذه الطائفة من اليهود، أعني القرائين.

ولهم أيضا فقهاء أصحاب تصانيف، إلا أنهم لم يبالغوا في الكذب على الله تعالى إلى حدِّ أن يدَّعوا النبوة، ولا نسبوا شيئا من تفاسيرهم إلى النبي، ولا إلى الله تعالى، بل إلى اجتهادهم.

***

والفرقة الثانية يقال لهم: **الربانيون**[1].

وهم أكثر عددًا، وهم شيعة الحخاميم الفقهاء المفترين على الله ﷻ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت الذي أسموه «**بث قول**».

(1) الربانيون أو الفر سيون: أهم فرق اليهود، وأكثرها عددًا في ما ضي تاريخهم وحا ضره. ويُعَدُّ الفكر الفريسي أهم تطوُّر في اليهودية. ظهروا باسمهم الذي يُعرَفون به في عهد يوحنا هيركانوس الأول (104-135 ق.م)، وانقسموا فيما بعد إلى قسمين: بيت شماي، وبيت هليل. وتتميز هذه الفرقة من ناحية العقيدة بأمرين: أحدهما أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود. والآخر أنها تؤمن بالبعث، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر. ونادوا بأنه يمكن عبادة الخالق في أي مكان، وليس بالضرورة في الهيكل في القدس. وقد كان الفريسيون من أنصار الشريعة الشفوية، بخلاف الصدوقيين (أنصار الشريعة المكتوبة) الذين كانوا يرون أن الشريعة الشفوية غير ملزمة. ومع هذا، كان الفريسيون لا يدَّعون النبوة، فقد كانوا ينادون بأن مرحلة النبوة وصلت إلى نهايتها، وأنهم أقرب إلى حكماء الحضارة الهيلينية (موسوعة اليهودية والصهيونية. موقع بينات- العلامة محمد حسين فضل الله).

و**هذه الطائفة** أشــد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم؛ لأن أولئك الفقهاء المفترين على الله تعالى قد أوهموهم أن المأكولات والمشـروبات إنما تحل للناس بأن يسـتعملوا فيها هذا العلم الذي نسـبوه إلى موسـى وإلى الله تعالى، وأن سـائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم إنما شـرَّفهم الله بهذا. وأمثاله من التُّرَهات[1] التي أفسدوا بها عقولهم.

فصـــار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم، كما ينظر الرجل العاقل إلى العَذِرَة[2]، أو إلى صـــديد الموتى. وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها!

فهذا هو الأصـــل في بقاء هذه الطائفة على أديانها؛ لشـــدة مباينتها لغيرها من الأمم؛ ولأنهم ينظرون إلى الناس بعين النقص والإزراء إلى أبعد غاية[3].

(1) التُّرُّهات والتُّرَّهات: الأَباطيل. واحدتُها تُرَّهة، وهي التُّرَّهُ بضم التاء وفتح الراء المشدّدة. وهي في الأَصل الطُّرُق الصغار المُتَشَعِّبة عن الطريق الأَعظم، والجمع التَّرَارِه (لسان العرب 13/ 480).

(2) العَذِرةُ: الخُرْءُ (لسان العرب 1/ 64).

(3) طبقًا لأقوال التلمود: اليهود أبناء الله، أما غيرهم فحيوانات نجســة. وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده. ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنســبة لباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شـيطانية، وشـبيهة بأرواح الحيوانات. وإذا لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشــمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنســان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وباقي الشعوب. وإن الخارج من دين اليهود حيوان على العموم، فسمه: كلبًا، أو حمارًا، أو خنزيرًا، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان! (من التلمود: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الكنز المرصود في فضائح التلمود: أوجست روهلنج- دراسة: د.محمد عبد الله الشرقاوي، ص190-254).

وأما **الطائفة الأولى**، وهم القراءون. فأكثرهم خرج إلى دين الإسـلام أولا، فأولا، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير؛ لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام؛ لسلامتهم من محاولات فقهاء الربانيين، أصحاب الافتراء الزائد، الذين شدَّدوا على جماعتهم الإصر[1].

فقد تبين مما ذكرناه: أن الحخاميم هم الذين شددوا على هذه الطائفة دينهم، وضيَّقوا عليهم المعيشة والإصر، فقصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم؛ حتى لا يختلطوا بهم؛ فيؤدي اختلاطهم بهم إلى خروجهم من دينهم.

***

(1) ذكر ابن القيم هنا أن القرائين كانوا «أقرب استعدادًا لقبول الإسلام لأمرين: أحدهما إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله، وطعنهم عليهم. والثاني تمسكهم بالظواهر، وعدم تحريفها، وإبطال معانيها» (هداية الحيارى، ص203).

[التشديد والمبالغة دين اليهود]:

و**السبب الثاني في تضييق الإصر عليهم**[1]: أن اليهود مبددون في شرق البلاد وغربها[2]، فما من جماعة منهم في بلدة، إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة، يظهر لهم الخشونة في دينه، والمبالغة في التورع والاحتياط.

فإن كان من المتفقهة، فهو يشرع في إنكار أشياء عليهم، ويُوهمهم التنزه عمَّا هم فيه، وينسبهم إلى قلة الدين، وينسب ما ينكره عليهم إلى مشائخه وأهل بلده، ويكون في أكثر ذلك الإسناد كاذبًا. ويكون قصده بذلك: إما الرئاسة عليهم، وإما تحصيل غرض منهم. ولاسيما إن أراد المقام بينهم، أو التدبير بينهم.

فتراه- أول ما ينزل بهم- لا يأكل من أطعمتهم، ولا من ذبائحهم، ويتأمل سكين ذباحهم، ويُنكر عليهم بعض أمرهم، ويقول: أنا لا آكل إلا من ذباحة يدي.

فتراهم معه في عذاب، لا يزال ينكر عليهم الحلال والمباح، ويوهمهم تحريمه بإسنادات يخترعها حتى لا يشكوا في ذلك.

---

(1) السبب الأول هو أنهم قصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم؛ فيؤدي اختلاطهم بهم إلى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية.

(2) كما قال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:168].

فإن وصـل بعد مدة طويلة من أهل بلده من يعرف أنه كاذب في تلك الإسـنادات، فلا يخلو أمره من أن يوافقه، أو يخالفه.

فإن وافقه؛ فإنما يوافقه ليشاركه في الرئاسة الناموسية التي حصلت له؛ وخوفا من أن يُكذَّب إن خالفه؛ ويُنسب إلى قلة الدين.

وأيضًـا، فإن القادم الثاني في أكثر الأمر، يسـتحسـن ما اعتمده القادم الأول من تحريم المباحات، وإنكار المحللات، ويقول لهم: لقد عظَّم الله ثواب فلان؛ إذ قوَّى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة؛ وشيَّد سياج الشرع عندهم!

وإذا لقيه على الانفراد يشكره، ويُجزيه خيرًا، أو يقول له: لقد زيَّن الله بك أهل بلدنا.

وإن كان القادم الثاني ينكر ما أتى به القادم الأول من الإنكار عليهم والتضـييق، لم يبقَ من الجماعة واحد يسـتصـحبه، ولا يُصـدِّقه. بل جميعهم ينسـبونه إلى قلة الدين؛ لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضييق المعيشة، وتحريم المحللات هو المبالغة في الدين والزهد.

وهم أبدًا يعتقدون أن الدين والحق مع من يُضيق عليهم، ولا ينظرون هل يأتي بدليل، أم لا؟ ولا يبحثون عن كونه محقا، أم مبطلا[1]؟

هذا حال القادم إلى بلد من متفقهتهم.

فأما إن كان القادم أحد أحبار اليهود وعلمائهم، فهنالك ترى العجب من الناموس الذي يعتمده، والسنن التي يُحْدثها، ويلحقها بالفرائض! ولا يقدر أحدهم على الاعتراض عليه[2].

فتراهم مستسلمين إليه، وهو يَحْتَلِبُ دَرَّهم، ويَجْتلب بحيله دِرْهَمهم،

---

(1) تشدد اليهود في تحري الحق- في زعمهم، فشددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم في كثير من الشرائع التي ألزمهم بها، كما حدث في شأن البقرة التي أُمروا بذبحها. ومن ذلك تشدد اليهود في وجوب اعتزال الحائض، فإنهم لا يساكنونها، ولا يواكلونها، ولا يشاربونها. وتشددوا في النجاسات حتى إن أحدهم إذا أصابت ثوبه النجاسة لا يغسلها بالماء، وإنما يشق الثوب الذي فيه النجاسة؛ لأنهم يعتقدون أن الماء لا يطهر النجاسة. وتساهل النصارى، فنسخوا الشريعة الموسوية، وأكلوا الخنزير، وجامعوا الحائض، ولم يتنزهوا عن شيء من النجاسات. وأما المسلمون، فإنهم وسط في الحلال والحرام بين تشدد اليهود، وتساهل النصارى. فهم لا يُحرمون إلا ما حرم الله ورسوله، فيؤاكلون الحائض، ويساكنونها، ولا يتحاشون إلا جماعها. ويغسلون موضع النجاسة من الثوب.

(2) يقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة:31].

حتى لو بلغه أن بعض أحداث اليهود قد جلس على قارعة الطريق في يوم السبت، أو اشترى لبنا من بعض المسلمين، أو خمرًا- ثَلَبَه[1] و سبَّه في مجمع من يهود المدينة، وأباحهم عر ضه، ونسبه إلى قلة الدين[2].

فهذا السبب، والسبب الذي ذكرناه قبله، هما العلة في تشديد الإصر الذي جعلته اليهود على أنفسها، وتضييق المعيشة عليها، وتجنبهم مآكل غيرهم، ومخالطة من كان على غير ملتهم. وقد أوْضحناهما للمتأمل[3].

(1) ثَلَبَه يَثْلِبُه ثَلْبًا: لامَه، وعابَه، وصَرَّحَ بالعيب، وقالَ فيه، وتَنَقَّصَه (لسان العرب 1/ 241).

(2) يضيف ابن القيم هنا: «فيضيق به البلد على هذه الحال؛ فلا يسعه إلا أن يُصلح ما بينه وبين الحبر، بما يقتضيه الحال؛ فيقول (الحبر) لليهود: إن فلانا قد أبصر رشده، وراجع الحق، وأقلع عمَّا كان فيه، وهو اليوم يهودي على الوضع. فيعودون له بالتعظيم والإكرام من شريعتهم» (هداية الحيارى، ص205).

(3) وهما: (1) الخوف من الذوبان في الأمم. (2) اعتقادهم أن التشدد هو الدين القويم.

خاتمة الكتاب

مسارعة اليهود في الباطل وتصديقهم المستحيلات

أحق الناس بأن يُوْسَـم بالجهالة، ويُنبذ بالضـلالة- مَن كان طبْعه آبيًا عن الانقياد للحقائق، وعقله بعيدًا عن فهم اليقين[1].

فأمَّا من شـقَّتْ درجته عن ذلك، وكان- مع امتناعه عن تسـليم الحقائق- مسـرعًا إلى قبول الباطل، وتصديق المستحيل، فهو حقيق بالنسبة إلى الجنون والسقوط[2].

وهذه الطائفة أحقُّ الناس بذلك؛ لأن آباءهم كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات الحسية، والنار السماوية، ما لم يره غيرهم من الأمم[3].

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك:22].

(2) يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:71].

(3) شـاهد اليهود آيات كثيرة، منها: بياض يد موسـى من غير برص حين يخرجها من جيبه، قلب عصـا موسـى حية تسـعى، وابتلاعها حبال سحرة فرعون وعصيهم، و شق البحر بالعصا، وتمهيد طريق يابس و سطه لعبور بني إ سرائيل، ونجاتهم من فرعون وقومه، ونزول المن والسـلوى عليهم في سـيناء، وإرسـال الرجز (الطوفان، والجراد، والقمل، والضـفادع، والدم) على فرعون وقومه، وانفجار الماء اثني عشـر عينًا من الحجر الذي ضـربه موسـى بعصـاه. وفي التوراة (خروج 9:23): «فمدّ موسـى عصـاه نحو السـماء. فأعطى الرب رعودًا وبردًا». وأما النار السـماوية فقوله (عدد 16:35): «وخرجت نار من عند الرب، وأكلت المئتين والخمسين رجلا الذين قرّبوا البخور».

وهم مع ذلك يهمُّون برجم موسى وهارون في كثير من الأوقات[1]. وكفى باتخاذهم العجل في أيام موسى[2]، وإيثارهم العودة إلى مصر، والرجوع إلى العبودية؛ ليشبعوا من أكل اللحم، والبصل، والقثاء[3].

ثم عبادتهم الأصنام بعد عصر **يوشع بن نون**[4].

ثم انضمامهم إلى **أبشالوم**، الولد العاق، ولد داود من بنت ملك **الكرج**[5].

(1) الخروج 17:4 «فصرخ موسى إلى الرب قائلا: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجمونني!».

(2) يقول الله سبحانه: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[الأعراف:148].

(3) الخروج 14:12 «أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كفَّ عنا، فنخدم المصريين. لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية؟». وفي الخروج 16:3 «وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر؛ إذ كنا جالسين عند قدور اللحم؛ نأكل خبزًا للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر؛ لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع؟!». وفي العدد 11:5 «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا، والقثاء، والبطيخ، والكرّاث، والبصل، والثوم».

(4) يوشع بن نون: من سبط أفرايم. نبي من أنبياء بني إسرائيل. هو الذي صحب موسى عليه السلام في حياته، وسار معه إلى الخضر، كما في سورة الكهف. وبعد وفاة موسى عليه السلام أوحى الله إلى يوشع بن نون، واستخلفه على بني إسرائيل، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه، ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار وقتال شديد. واستمر يشوع في حكم العبرانيين مدة ثمانية وعشرين عامًا. ويصوره العهد القديم سفاكًا للدماء، يُبيد السكان، ويحرق المدن، مستخدمًا الوسائل كافة ــ ومن ذلك الخداع والتجسس عن طريق العاهرات! وهناك سفر باسمه في العهد القديم يسرد أعماله.

(5) الكرج: هي بلاد الكرج (جورجيا حاليًا). وصل الإسلام إليها في سنة (25) هجرية، بعد فتح أرمينيا. وشهدت تلك البلاد على مرّ العصور جمهرة من الفقهاء والشعراء والمحدثين. وأبشالوم ابن معكة بنت تلماي، ملك جشور. كما في سفر صموئيل الثاني (3:3).

فإن سـوادهم الأعظم انضـم إلى هذا الولد العاصـي العاق، وشـدوا معه على حرب الملك الكبير، والنبي الكريم، نبي الله داود!

ثم إنهم لما عادوا إلى طاعة داود، جاءت وفودهم وعساكرهم متقاطرة إليه، مستغفرين مما ارتكبوه، مستبشرين بسلامة الملك داود، بحيث اختصم الأسباط مع سبط يهوذا إذ عبروا بالملك الأردن قبل مجيء عساكر الأسباط؛ غيرةً منهم على السبق إلى خدمة الملك، وتعاتبوا في ذلك عتابًا دقيقا، فقال سـبط يهوذا: نحن أحق الناس بالسـبق إلى الملك، والاختصـاص بخدمته؛ لأنه منَّا. فلا وجه لعتبكم علينا يا بني إسرائيل!

فنبغ فضوليٌ يقال له: **شيبع بن بكري**، فنادى برفيع صوته: «لا نصيب لنا في داود. ولا حظَّ في ابن يساي. ليمضِ كل منكم إلى خبائه- يا إسرائيليون!»[1].

(1) صمويل الثاني 1: 20 «واتفق هناك رجل لئيم اسمه شبع بن بكري، رجل بنياميني، فضرب بالبوق وقال: ليس لنا قسم في داود! ولا لنا نصيب في ابن يسّى! كلُّ رجل إلى خيمته يا إسرائيل».

فما كان أسرع من انفضاض عسكر بني إسرائيل عن داود، بسبب كلمة ذلك الفضولي!

ولما توصَّل الوزير **يؤابُ** إلى قتل ذلك المُشَغِّب، عادت العساكر جميعها إلى طاعة داود[1]!

فما كان القوم إلا مثل رعاع همَج العوام، الذين تجمعهم دبدبة[2]، وتفرقهم صيحة!

***

وأما عبادتهم الكبشين، وتركهم الحج إلى القدس[3]. ثم إ صرارهم على مخالفة الأنبياء إلى انقضاء دولتهم، فمما لا يصدر عن متمسك بأهداب العقل.

---

(1) أذل أمنون، أخو أبشالوم غير الشقيق، أخته ثامار، فاغتاظ أبشالوم، وقتل أمنون. ثم ظل أبشالوم ثلاث سنوات لاجئًا عند ملك جشور، جده لأمه. ثم بوا سطة يوآب رجع إلى أور شليم، وبقى سنتين دون أن يرى وجه الملك أبيه. ثم بتأثير كلام يوآب يوافق داود ويقابل أبشالوم، ويتغاضى داود عن توقيع العقوبة عليه، ومع ذلك نرى أبشالوم يأتي متعجرفا متكبرًا دون أن يعترف بجرم أتاه. وبعد رجوعه، نسي أبشالوم مكانه، وسعى لاغتصاب المُلك من أبيه وأثار حربًا أهلية، ولكنه قُتل في الحرب. ومع ذلك كان وقع خبر موته أليمًا على قلب داود- الأب الشيخ. وكل ذلك مذكور في سفر صموئيل الثاني 3:3 وما بعدها.

(2) دبدبة: الدَّبْدَبَةُ شبه طبل. والجمع دَبَادِبُ (المصباح المنير 1/ 188).

(3) كان الحج منذ إبراهيم إلى بيت الله الحرام بمكة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة:125]. وقال سبحانه: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:97].

وسبيلهم[1] أن لا يتطرقوا إلى معايب أحد من الأمم إذا كانت هذه مخازيهم وفضائحهم.

[قصة مناحيم المحتال]:

فأما تسرعهم إلى قبول الباطل والمستحيل، فإنا نذكر منه طرفًا، يُنبئ عن قلة عقولهم. وهو ما جرى في زماننا من أذكاهم وأكيسهم وأمكرهم. وهم يهود بغداد:

فإن محتالا من شبان اليهود نشأ بسواد الموصل، يقال له: **مناحيم بن سليمان**[2]- ويُعرف بابن الروحي. وكان ذا جمال في صورته. وقد تفقه في دينهم- بالإ ضافة إلى الجمهور من اليهود الساكنين بالناحية المعروفة **بالعمادية**[3] من بلد الموصل.

---

(1) أي الواجب على اليهود.

(2) مناحيم بن سليمان: اسمه داود بن سليمان، وشهرته داود الرائي. وهو الذي أطلق على نفسه مناحِّم، أي «المواسِّي»، وهو أحد الألقاب التي كانت تُطلَق على الماشيَّح. أشهر المسحاء الكذبة في القرن الثاني عشر الميلادي. وهو من مواليد مدينة آمد في إقليم كردستان سنه 1135، مع اشتداد الحروب الصليبية، ظهر في مدينة كردستان، درس التوراة، المدراش، المنشا والتلمود، وأتقن علوم العرب ولغتهم، وتعلَّم فنون التنجيم والسحر والتصوف اليهودية. ونشر الانحلال والزندقة ، وتجسس لأعداء المسلمين، فأثار القلاقل على الدولة العباسية والسلجوقية، وقد كتب عنه أحد معاصريه وهو «بنيامين بن نوديلا» قائلا: «إن داود الرائي قد صمم على الا ستيلاء على فلسطين بالقوة، مدعيًا أن الله قد أر سله لا ستعادتها. وقد آمن به عدد كبير من اليهود على أنه مسيح الله المنتظر». ونشر داود الرائي دعوته بين يهود بغداد والموصل. ثم نجح في تجنيد جيش من المتطوعين اليهود في أذربيجان، حاصر به مدينة آمد. ولكنه هُزِم، وقُتل مع غالب أتباعه في الحرب. وبعد مقتله، تحوَّل إلى أسطورة حافلة بالخوارق والمعجزات الخرافية. وقد بقى= =المؤمنون من يهود أذربيجان ينتظرون عودته، وكانت فرقتهم تُسمَّى «النحمانيين». وقد كتب دزرائيلي رواية خيالية تدور أحداثها حوله (موسوعة اليهودية والصهيونية. موقع رابطة أدباء الشام).

(3) العمادية: قلعة حصينة مكينة عظيمة في شمالي الموصل، ومن أعمالها. عمَّرها عماد الدين زنكي بن آق سنقر في سنة 735هـ. وكانت قبلها حصنًا للأكراد. (معجم البلدان 4/ 149).

وكان المتولي هناك ذا ميل إلى ذلك المحتال، وحب له؛ لحسن اعتقاده فيه؛ ولِمَا تَوَهَمَ فيه من ديانة تظاهر بها، بحيث كان الوالي يسعى إلى زيارته.

فطمع ذلك المحتال في جانب الوالي، وا ستضعف عقله؛ فتوهم أنه يتمكن من الوثوب على القلعة وأخذها، وأنها تضحي له معقلا حصينا. فكتب إلى اليهود المستقرين بنواحي بلاد **أذربيجان** وما والاها؛ لأنه علم أن يهود الأعاجم أقوى جهالة من سائر اليهود، وذكر في كتبه أنه قائمٌ قد غار لليهود من يد المسلمين. وخاطبهم بأنواع من المكر والخديعة.

فبعض فصول كتبه[1] التي رأيتها يحوي ما هذا معناه:

«.... ولعلكم تقولون هذا: لأي شيء قد استنفرَنا، لحرب أم لقتال؟ لا. لسنا نريدكم لحرب، ولا لقتال. بل لتكونوا واقفين بين يدي هذا القائم، ليراكمْ هناك مَن يغشاه من رسل الملوك الذين ببابه».

(1) أي رسائله.

وفي أواخر الكتاب:

«ينبغي أن يكون مع كل واحدٍ منكم سيف، أو غيره من آلات الحرب، ويُخفيه تحت أثوابه».

فاستجابت إليه يهود الأعاجم، وأهل نواحي العمادية، وسواد الموصل. ونفروا إليه بالسلاح المستتر، حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة.

وكان الوالي- لحسن ظنه به- يظن أن أولئك القادمين إنما جاءوا لزيارة ذلك الحبر، الذي قد ظهر لهم بزعمه في بلده، إلى أن انكشفت له مطامعهم.

وكان حليمًا عن سفك الدماء؛ فقتل صاحب الفتنة المحتال وحده.

فأما الباقون فَتَهَاجَوْا[1] مدبرين، بعد أن ذاقوا وبال المشقة والخسارات والفقر.

(1) تهاجوا: أي سبَّ بعضهم بعضًا.

ولم تنكشف هذه القصة لهم، مع ظهورها لكل ذي عقل. بل هم إلى الآن يفضلونه على كثير من أنبيائهم. أعني يهود العمادية. وفيهم من يعتقده المسيح المنتظر بعينه[1]. ولقد رأيت جماعة من يهود الأعاجم **بخُوَيَّ**[2] و**سَلَمَاس**[3] و**تِبْرِيْز**[4] و**مراغة**، وقد جعلوا اسمه قسَمَهم الأعظم!

وأما مَن بالعمادية من اليهود، فصاروا أشد مباينة ومخالفة في جميع أمورهم لليهود من النصارى.

وفي تلك الولاية، جماعة منهم على دين، ينسبونه إلى مناحيم المحتال المذكور.

ولما وصل خبره إلى بغداد، اتفق هناك شخصان من محتالي اليهود، ودواهي مشيختهم، فزورا على لسان مناحيم كتبًا إلى بغداد، تبشرهم بالفرج الذي كانوا قديمًا ينتظرونه، وأنه يُعيِّن لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس. فانقاد اليهود البغداديون إليه، مع ما يدعونه من الذكاء، ويفخرون به من الخِبِّ[5].

(1) ظهر بين أعضاء الجماعة اليهودية عدد كبير من المشحاء الدجالين، ادعى كل منهم أنه المسيح المنتظر. نذكر منهم في القديم: بركوخبا، وأبا عيسى الأصفهاني، ويودغان، وداود الرائي. أما في العصر الحديث في الغرب، فيمكن أن نذكر منهم: ديفيد رءوبيني، وشبتاي تسفي، وجوزيف فرانك.

(2) خوى: كسمى، مدينة بأذربيجان (تاج العروس، مج1، ص 8377).

(3) سَلَماس: مدينة مشهورة بأذربيجان. وأَحَدُ ثُغورِ فارِسَ المَشْهُورَة، على ثلاثَةِ أَيّام من تِبْرِيزَ. وبينها وبين أرمينية يومان. وبين سلماس، وخوي مرحلة (معجم البلدان 3/ 238).

(4) تِبْرِيز: أشهر مدن أذربيجان (معجم البلدان 2/ 13).

(5) الخبّ: المكر والخداع. ورجل خَبٌّ: هو الداهية (لسان العرب 6/ 116).

انقادوا بأ سرهم إلى تصديق ذلك، وذهبت نسوانهم بأموالهن وحليهن إلى ذينك الشيخين، ليتصدقا به عنهن على من يستحقه بزعمهما، وصرف اليهود جُلَّ أموالهم في هذا الوجه، واكتسوا ثيابًا خضرًا، واجتمعوا في تلك الليلة على السطوح، ينتظرون الطيران بزعمهم على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس.

وارتفع للنسوان منهم بكاء على أطفالهن المرتضعين؛ خوفًا أن يطرن قبل طيران أولادهن، أو يطير أطفالهن قبلهن، فتجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم!

وتعجب المسلمون هناك مما اعترى اليهود حينئذ، بحيث أحجموا عن معارضتهم حتى تنكشف آثار مواعيدهم العرقوبية[1].

فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أسفر الصباح عن خذلانهم وامتهانهم. ونجا ذانك المحتالان بما وصل إليهما من أموال اليهود!

(1) من أَمثالهم في خُلْفِ الوَعْدِ: مواعِيدُ عُرْقوب. وعُرْقُوبٌ اسم رجل من العَمالِقة. قيل: هو عُرْقُوبُ بن مَعْبَدٍ. كان أَكذبَ أَهل زمانه. ضَرَبَتْ به العَرَبُ المَثَلَ في الخُلْف فقالوا: مَواعِيدُ عُرْقوبٍ؛ وذلك أَنه أَتاه أَخٌ له يسأَله شيئا، فقال له عُرْقوبٌ: إِذا أَطْلَعَتْ هذه النخلةُ فلكَ طَلْعُها. فلما أَطْلَعَتْ أَتاه للعِدَةِ فقال له: دَعْها حتى تصيرَ بَلَحًا. فلما أَبْلَحَتْ قال: دَعْها حتى تَصيرَ زَهْوًا، فلما أَبْسَرَتْ قال: دَعْها حتى تَصير رُطَبًا. فلما أَرْطَبَتْ قال: دَعْها حتى تصير تمرًا. فلما أَتْمَرَتْ، عَمدَ إِليها عُرْقُوبٌ من الليل فَجَدَّها، ولم يُعْطِ أَخاه منه شيئًا. فصارت مَثَلاً في إِخْلاف الوعد. وفيه يقول الأَشْجَعي:
وعَدْتَ وكان الخُلْفُ منكَ سَجِيَّةً   مَواعيدَ عُرْقُوبٍ أَخاه بيَتْرَبِ (لسان العرب 1/ 594).

وانكشـف لهم بعد ذلك وجه الحيلة، وما تظاهر به من جلباب الرذيلة، فسـموا ذلك العام **عام الطيران**، وصاروا يعتبرون به سني كهولهم والشبان، وهو تاريخ البغداديين من المتهودة في هذا الزمان.

فكفاهم هذا الأمر عارًا دائمًا، وشنارًا[1] ملازمًا.

وفيما قد أوردناه كفاية قاضية للوطر[2] من إفحامهم، وإلجامهم بما هو عين ما عندهم.

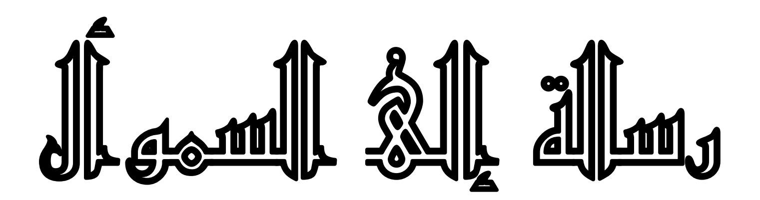
وأعوذ بالله مما يشركون، وإليه البراءة مما يكفرون.

[انتهى كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» للسموأل بن يحيى المغربي، ويليه رسالة إلى السموأل وجوابها].

(1) شنار: هو العيب، والعار، ونحوه (غريب الحديث: ابن سلام 4/ 429).

(2) الوطر: كلُّ حاجةٍ كان لصاحبها فيها همة فهي وَطَرُه (لسان العرب 5/ 285).

الرسالة الثالثة



وجوابه عليها

تحوي أسئلة عن إسلامه

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

انتقال سـيدنا الإمام الحبر، العالم الأوحد الرئيس، مؤيد الدين، شـمس الإسـلام، أوحد العصـر، ملك الحكماء. أدام الله تأييده، وأرغم حسـوده- من الملة الإسـرائيلية إلى الملة الإسلامية: إما هوى واستحسان وعبث، أو بدليل وبرهان!

فأما الهوى والاسـتحسـان والعبث، فهو ما يقبح بمثله، ولا يليق لمن وصـل إلى درجته من العلم، ولاسيما في الاعتقاد والدين.

وإن قال: إنه بدليل وبرهان، وبحث ونظر. فإن كان هذا البحث والنظر بعقل حدث له فيما بعد. فربما حدث له عقل آخر، فيُريه أن ما هو عليه الآن باطل!

وإن كان ذلك البحث بالعقل الأول، فهلا كان ذلك البحث قبل ذلك الوقت؟ ولعله لو ازداد في البحث والنظر، لَعلِم أن الحق في غير المذهب الذي صار إليه.

وإن قال: عرفت أن الحق في هذا الدين بالدليل والبرهان.

قلنا: بأي طريق؟ ثم إنه لا يعلم أحد أن مذهبًا أصــح من ســائر المذاهب، إلا إذا بحث واســتقصــى عن جميع المذاهب، وتأمل جميع ما أصَّــله أربابُها وحججهم. فإن هو أدعى ذلك فهو مُحال؛ لأن عمره لا يفي لمطالعة جميع ما أصَّــله ســائر أصــحاب المذاهب والأديان. ولعله لو سُئل عن حقيقة دين المجوس[1]، والثنوية[2] والبراهمة[3] لما كان قيِّمًا بعلوم مذهبهم.

وأيضًا، فإن الملة التي قد انتقل إليها هي على مذاهب كثيرة. فإلى أيها انتسب؟ وأيها اختار؟

فإن كان إلى الآن غير منتسب إلى أحدها، فهو إلى الآن غير مسلم[4].

وإن كان قد رجح أحد المذاهب، فبأي طريق؟

(1) المجوس: هم عبدة النار. وكانت هذه العبادة منتشرة بفارس قبل أن يمحوها الإسلام بفتح هذه البلاد، وانتقال أهلها إلى دين الحق.

(2) الثنوية: ديانة وثنية، نشــأت في بلاد فارس والهند. يقول أصــحابها بخالقين اثنين، إله للنور، وإله للظلمة. ويعتقدون بأن النور يخلق الخير، ولا يكون منه الشر، والظلام يفعل الشر، ولا يكون منه الخير (الفرق بين الفرق: البغدادي 1/ 120).

(3) البراهمة: ديانة وضعية، وضعها حكماء الهند، يقول أهلها بحدوث العالم، وتوحيد الصانع. ولكنهم ينكرون جميع الأنبياء، ويبطلون الشرائع، ويبنون على مجرد تحسين العقل وتقبيحه (الملل والنحل: الشهرستاني 2/ 249. 2/ 57).

(4) لا يجب على المســلم اتباع مذهب معين، ولا تقليد إمام، ولا متابعة شــيخ. وإنما يجب عليه اتباع كتاب الله تعالى، وســنة النبي محمد ﷺ، والخلفاء الراشدين المهديين من بعده، كما قال ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» (أخرجه، كتاب الســنة، باب في لزوم الســنة (4607). والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالســنة، واجتناب البدع (2676). وابن ماجه، كتاب في الإيمان وفضــائل الصــحابة والعلم، باب اتباع ســنة الخلفاء الراشــدين المهديين (42). وصححه الألباني.

إن ادعى البرهان استحال ذلك؛ لأنه يلزم منه أن يكون قد اطلع على سائر كلام أصحاب الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد.

وإن كان قد رجَّح أحد المذاهب استحسانا وهوىً، أو تقليدًا، فذلك مما لا يليق بالعلماء والحكماء!

وحينئذ يرتفع عنهم الملك.

ورأى سيدنا الإمام الحبر في تأمل ذلك، والإجابة عنه أعلى.

نسخة الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة:142].

تأملتُ ما ذكره هذا المعترض- السائل عمَّا لا يعنيه. فليعلمْ أن الله هداني بالدليل الواضح، والحجة الثابتة، من غير تقليد لمعلم، أو والد.

وأمَّا سؤاله عن **وقت الإذعان بالكلمة الإسلامية**: هل كان تاليًا لاعتقادها، أو تخلل بينهما زمان، كانت هذه الكلمة فيه مضمرة غير مظهرة؟

فهو ضرب من الفضول؛ لأن الإسلام مقبول عند الله، وعند أهل الدين في أي الوقتين كان.

وأما نسبته لتأخير إظهاره إلى العبَث. فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخي وقت، أو لمحاذرة عدو؟!

على أنَّا نبرأ إلى الله من التضـجيع[1] في إجابة الداعي إلى الحق بعد معرفته. ولكن عقيب ما كشف الله عن البصيرة، وجاد بنور الهداية، بادرت إلى الانضمام إلى زمرة[2] الحق.

(1) التَضْجِيعُ في الأمر: التقصير فيه والتأخير (مختار الصحاح، ص 403).

(2) زُمْرَةُ: فَوْجُ، وجماعَةُ في تَفْرِقَةٍ. جمعها زُمَرٌ (القاموس المحيط، 1/ 514).

وأما قوله: إنه كما حدث له هذا عقلا، فربما حدث له عقل آخر، يريه أن ما هو عليه باطل!

فجوابه: أن هذا تمثيل فاسـد، وكلام مختل؛ لأن هذا الاعتراض إنما يرد على من انتقل إلى دين ببحث ونظر، ثم انتقل عن الدين الثاني إلى دين ثالث، ببحث آخر، ونظر آخر، لا على مَن نبذ المحالات التي حصلت في وهمه بالتلقف[1] من الآباء في الطفولة، وأنس بها، واعتادها من غير أن تصح عنده ببحث ونظر.

ثم إنه لما اتفق له إعمال الفكر والبحث، أدَّاه العقل والأدلة الصحيحة إلى الحق؛ لأن ذلك المهجور المتروك لم يؤده إليه نظر. فكيف يلزمه ما ذكر من الشبهة؟!

وأما قوله: **هل بحث عن جميع المذاهب**....

فانه لا حاجة لي إلى ذلك؛ لأن الحق في جهة واحدة، وليس بمتعدد. فلما قادني الدليل إلى المذهب الحق، لزم من صحته بطلان سائر المذاهب المخالفة له، من غير حاجة إلى الإطلاع على جميع ما حرَّره أربابها.

(1) في الأصل: «بالتلفق». والصواب ما أثبتناه.

وأما قوله: **لو بحث لعلم أن الحق في غير ما هو عليه.**

فهو محال؛ لأن الحق لا يتعدد[1].

وأما سؤاله عن ما **الطريق الذي صحت به عندي دعوة المصطفى؟**

فإن شـــهادة هذه الأمم العظيمة بنبوته، مع المعجز الأعظم الذي لم يبارَ فيه، وهو فصـــاحة القرآن- دلني على ذلك. وأكدَّ ذلك إشـــارات فهمتها من التوراة، دلتْ عليه. إلا أن الأول هو الأصل في الدلالة.

وأما سؤاله عن **المذهب الإسلامي** الذي انتسبتُ إليه، وما زعم أنه يلزمني من مطالعة جميع مذاهب الأئمة. فهو شبهة لا تلزمني، وسؤال عما لا يعنيه.

إلا أن جوابي عنه هو الجواب الأول بعينه. وهو أن الدليل قادني إلى مذهب أعتقد بصــحته، فلا حاجة لي إلى تصفح غيره؛ لأن الحق غير متعدد في المذاهب؛ كما أنه غير متعدد في الملة.

(1) يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153].

على أن الاختلاف بين الأئمة المسـلمين، إنما هو في توابع وصـغائر، لا في أصـل العقيدة، بحيث يكفر بعضـهم بعضًـا. أعني أصـحاب الشـافعي، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد ﷺ، دون أصحاب البدع[1].

على أن هذا السـائل عما لا يعنيه، إذا قام هذا المقام، فسـبيله أن يقوي ما هدمتُ من حجج اليهود، ويتشاغل بنصرتهم عن السؤال عما لا يعنيه؛ لأني قد أظهرت فساد اعتقادهم، وتناقض ما عندهم في «الإفحام»، فذلك أولى من الإخلاد إلى شـبهة الزنادقة، وهذيانات المتفلسـفة الكفار، الذين يجب قتلهم في الملة التي فارقتُها، والملة التي هداني الله إليها.

(1) الخلاف بين هؤلاء الأئمة في الفروع الفقهية، وأدلة اسـتنباط الأحكام من مواردها في المسـائل الاجتهادية التي تتنازعها الأدلة، ويتردد فيها النظر. كمقدار مسافة القصر، وحكم النقاب، والمجزئ في التيمم ... إلخ.

أما ما ختم به كلامه، فذاك أمر مرفوع على الحقيقة، إلا أن الملوك والسلاطين جرت عادتهم أن يخصوا كل واحد بما يرونه له أهلا، حراسةً للمراتب من تطاول غير الأكفاء.

والحسد لا يزيد أهله إلا خمولا!

وإذا خفيتُ على الغبي فعاذِرٌ　　أن لا تراني مُقْلة عمياءُ

والسلام.

تم الجواب.

[انتهى كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» للسموأل بن يحيى المغربي، ورسالة إلى السموأل وجوابها].

[ويليه «الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية» للحبر الأعظم إسرائيل بن شموائيل الأورشليمي].

الرسالة الرابعة

الرسالة السبعية

الحاوية للضوابط الإرشادية

للحبر الأعظم

إسرائيل بن شموائيل الأورشليمي

تحقيق وتعليق

دكتور محمود النجيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص ذاته العلية بقوله السامي﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء:23]، وجعلَ الناس أحزابًا وفرقًا. تراهم- بجهل وعلم- كافةً إليه يسألون. وأرسل إليهم رسلا وأنبياء جَمَّة[1]، وأحصى عددهم بمحمد خاتم المرسلين ﷺ، وأمرنا بالصلاة والسلام عليهم، وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين.

أما بعد

فهذه هي الرسالة المُسَمَّاة: «**السَّبْعِيَّة الحاوية لسبعة من القضايا التنبيهية**». قد تتعلق بجواب، يُفيدُ معرفةً واستدلالا لزوميًا للأحكام التوراتية بالشرائع القرآنية، على سؤال يَرِدُ من أحبار اليهود البواقي من الملة الإسرائيلية إلى رجل مهتدٍ إلى الديانة المحمدية.

(1) جَمَّة: كثيرة.

صورة السؤال:

ألا يا حبيبي! ما الذي ألجأك إلى أن تترك دين آبائك وأجدادك وتوراتهم وشريعتهم، وتنتقل إلى دين «الجوييم»[1]، دين الإسلام، الذي كنت تبغضه وتشنؤه، كما نحن الآن جماعة اليهود، ونكره الدخول فيه؟

صورة الجواب:

ألا يا بني إسرائيل!

يا أقربائي، وبني جنسي!

إني أُعلمكم بأن الذي ألجأني إلى أن أترك ما عندكم، وأدخل في دين الإسلام، هو مُرَكَّب من سبع قضايا:

(1) الجوييم (Gentiles; Goyyim): «الأغيار» هي المقابل العربي للكلمة العبرية «جوييم». استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، والتمييز القاطع بين اليهود، بزعم أنهم شعب الله المختار (شعب مقدَّس) من جهة، والشعوب الأخرى غير المقدسة) من جهة أخرى. فقد جاء في سفر أشعياء (61:5): «ويقف الأجانب، ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. 6 أما أنتم فتُدْعون كهنة الرب، تُسمون خدَّام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمرون». كما جاء في سفر ميخا (4:13): «قومي ودوسي يا بنت صهيون! لآني أجعل قرنك حديدًا، وأظلافك أجعلها نحاسًا، فتسحقين شعوبًا كثيرين».

أولها: أني فحصتُ الفحصَ البليغ، وتركت الغرض والعناد القبيح، فوجدت كلام الأنبياء- عليهم السلام، وإشاراتهم عن هذا النبي العظيم محمدﷺ - الذي اتبعتُه- منطبقةً عليه من كل الجهات.

ثم هذه النبوءات التي رأيتها في كتب الأنبياء وسـمعتها. ليس عليها مَرَدٌّ مطلقًا في اعتقادي، ولا ناقض لها بوجه من وجوه الحق. وهي من سـيدنا موسـى، وإشـعياء[1]، وداود[2]، وزكريا[3]، وغيرهم- عليهم السلام.

ثم مفردات هذه الشـهادة مبددة في محلات كثيرة من كتب المباحثات والمجادلات في هذا المعنى، ومأخوذة من التوراة عينها.

---

(1) البشـارات من سـفر أشـعياء عن محمد ﷺ وأمته ومكة والبيت الحرام، تبلغ أكثر من اثنتي عشـرة بشـارة. ومن ذلك (21:13): «وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر، في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين».

(2) في المزامير (110:1): «لداود.مزمور. قال الرب لربي: اجلس عن يميني؛ حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك».

(3) في سـفر زكريا 9:9 «ابتهجي جدا يا ابنة صـهيون! اهتفي يا بنت أورشـليم. هو ذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصـور، وديع وراكب على حمار، وعلى جحش ابن أتان. 10 واقطع المركبة من إفرايم، والفرس من أورشـليم، وتقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى البحر. ومن النهر إلى أقاصي الأرض».

فمن جملة ما ذكرتْ التوراة في سفر التكوين المُسَمَّى بالعبراني (بارا شيت): أن لسيدنا إسحق- جد الأنبياء عليه السلام- بركة واحدة(1)، وذكرتْ لسيدنا إسماعيل عليه السلام جملة بركات، وعليكم يا أحبائي بمراجعتها(2).

(1) في سفر التكوين عن إسحق (26: 2): «وظهر له الرب، وقال: لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. 3 تغرب في هذه الأرض. فأكون معك، وأباركك؛ لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. 4 وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض».

(2) منها: (16:11 «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى؛ فتلدين ابنًا. وتدْعين اسمه إسماعيل؛ لان الرب قد سمع لمذلّتك. 12 وأنه يكون إنسانا وحشيًا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن». وبعدما رُزق إبراهيم بإسماعيل- وقبل أن يرزقه الله بإسحق- قطع له هذا العهد (5:17): «فلا يُدعى اسمك بعد إبرام، بل يكون اسمك إبراهيم؛ لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. 6 وأثمرك كثيرًا جدًا، وأجعلك أممًا. وملوك منك يخرجون. 7 وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًا؛ لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك. 8 وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكًا أبديًا. وأكون إلههم». ومنها أيضًا (20:17): «وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه، وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثني عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة». ومنها أيضًا (21:17): «فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: ما لك يا هاجر! لا تخافي؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. 18 قومي احملي الغلام، و شدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. 20 وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس». ومنها في قصة الذبيح- الذي هو إسماعيل، لا إسحق (22:16): «وقال: بذاتي أقسمت. يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تُمسكْ ابنك وحيدك 17 أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه».

وثانيًا: أنه قبل مطالعتي لهذه البراهين، كان دائمًا يخطر بفكري- كما الآن يخطر لفكركم- بأن توراتنا وزبورنا ونبوات أنبيائنا[1] لم يوجد فيها أدنى إ شارة عن نبي الم سلمين، ولكن بعد مدة مديدة من الزمان؛ راجعت ذاتي، وقلت في عقلي: وَيْهَ. وَيْهَ[2]. كيف لنبي مثل هذا- الذي تبعته ألوف وربوات ومليونات، وشعوبه وأمته أكثر بكثير من شعوب موسى؟!

وكيفية تبشــيره للناس، وإ نذاره بترك الكفر، والحث على الإيمان بالله[3]، وغيرته الشهيرة[4] .... أمِثلُهُ يُهمل ويُترك، ويُنسى من الذكر عند أنبياء بني إسرائيل[5]؟!

---

(1) كتب اليهود المقدَّسة تنقسم إلى: الكتاب المقدَّس (التوراة)، وهي أسفار موسى الخمسة. ثم كتب الأنبياء. وكتب الحكم والأمثال والأناشيد.

(2) وَيْهَ: لفظ تحريض. وهو ا سم فعل أمر، بمعنى: أُحرِّضُ، افعل كذا. إذا أغراه بالشيء. وقد يُنوَّن فيُقال: وَيْهًا يا فلان! وهو تحريض كما يُقال دونك يا فلان (مختار الصحاح، ص 740).

(3) عن أبي هريرة قال: «لما نزلت {وأنذر عشيرتك الأقربين} جمع رسول الله ﷺ قريشًا، فخصَّ وعمَّ فقال: يا معشر قريش! أنقذوا أنفسكم من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله ضرًا ولا نفعًا. يا معشر بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله ضرًا ولا نفعًا. يا معشر بني قصي! أنقذوا أنفسكم من النار؛ فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا. يا معشر بني عبد المطلب! أنقذوا أنفســكم من النار؛ فإني لا أملك لكم ضــرًا ولا نفعًا. يا فاطمة بنت محمد! أنقذي نفســك من النار؛ فإني لا أملك ضرًا ولا نفعًا. إن لك رحمًا سأبلها ببلالها» (أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الشعراء (3185).

(4) عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يُؤتى إليه حتى تنتهك من حرمات الله فينتقم لله» (أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب كم التعزير والأدب (6461).

(5) يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[آل عمران:81].

فهذا القول- بهذا الشــكل الذي يُعلمنا به أحبارنا والحاخاميم- هو مضـــاد لكل عقل سليم، بحيث إن أنبياء بني إ سرائيل أنبئوا عن أ شياء كثيرة كلية وجزئية، وإ شارة عن هذا النبي هي من الأشياء الكلية اللازمة. فكيف يتركونها وينسونها؟!

وَيْهَ. وَيْهَ! أنا لا يقبل عقلي كلام الحاخاميم الباطل وتأويلاتهم.

فالتزمتُ عندما امتلأ فكري من هذا الميزان أن أفتش وأفحص بزيادة عما كنتُ أفحص من قبل، فوجدتُ كما قدمت. وقلت: إن معاني كثيرة، وإشارات غزيرة موجود في التوراة، تشير إلى هذا النبي العظيم محمد ﷺ.

وهذه هي التي كانت من جملة الأسـباب التي أحوجتني أن أترك الشـريعة التوراتية، وأتبع الشـريعة القرآنية المهندمة بغاية الهندام[1]، والمنتظم فيها أخص ما يوجد في الشـرائع السابقة[2].

وثالثها: اعلموا- يا أقربائي، وبني جنسـي- أني أخبركم أن الذي حملني بعد ذلك، على أن أتبع هذا النبي الجليل محمداًﷺ - هو كوني نظرت أن جماعة اليهود- عن بكرة أبيهم- في كل مصر ومكان، هم عائشون بغير شريعة التوراة، ولا عاملون بأحكامها اللازمة. لكون العمل بها غير ممكن. لا بل ممتنع. وقد تَصَّرَمَتْ عنهم[3] بالطبع وتلاشت، وهي باقية بالورق فقط.

(1) يقال: هذا شيء مهندم، أي مصلح على مقدار، وله هِندام. وهو معرب أصله بالفارسية «أندام». مثل مهندس. وأصله «أندازه» (تاج العروس، مج1، ص 7932).

(2) في سفر التثنية 18:15: «يقيم لك الرب إلهك نبيًا، من وسطك، من إخوتك مثلي. له تسمعون. 16 حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. 17 قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. 18 أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

وفي سفر التثنية 33:1 «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته 2 فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. 3 فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك».

يعني بمجيء الله من سيناء: نزول شريعة موسى فيها. ويعني بساعير: الجبل الذي هو قرب «أورشليم»، وهي نبوة عيسى. ويعني بفاران: نزول شريعة على رجل من نسل إسماعيل عليه السلام هو محمد ﷺ.

وفي سفر التكوين 49:10 «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب».

والمعنى: أن الملك سيظل في بني إسرائيل. وستظل الشريعة فيهم. إلى أن يأتي «شيلون» أي نبي السلام، وهو محمد ﷺ. ويملك أراضي الأمم والشعوب؛ ليحكمهم بشريعة جديدة.

(3) تصرمت عنهم: التَّصَرُّمُ التقطع. أي أنها ذهبت عنهم (مختار الصحاح، ص 375).

ويظهر من ذلك: أن الله ﷻ قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة، غير راضٍ بخلودها. لا بل إنه راضٍ بانقضائها وتبديلها. والبرهان على ذلك: هو من المشاهدات والمتواترات والتجريبات والحدسيات والأوليات. إذ إننا نرى أن أعمدة هذه الشريعة الموسوية وأركانها التي كانت مستندة عليها، وفيها قوامها واستيلاؤها؛ قد انهدمت بالكلية وعدمت، مثل: إبادة الملك والرياسة، وعدم وجود الأنبياء، وإبطال الكهنوت[1]، وخراب الهيكل السليماني، وهدم المذبح، واندثار الذبائح، ومحق الأسباط وما يتعلق بهم.

لأن هذه الأعمدة والأركان قد ربط بها الله ﷻ جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة. حتى الأحكام المدنية؛ لكي- إذا عدمتْ هذه اللوازم الركنية وبطلتْ- كما هو مشاهد الآن- نستدل من انعدامها على بطلان الديانة جميعها، تَعَلُّقُ الدين بها.

(1) أمر الله موسى أن يجعل الأئمة من نسل هارون من سبط لاوي. (عد 3:10 «وتوكل هرون وبنيه فيحرسون كهنوتهم»). وقد لعب الكهنة دورًا مهمًا في تطوير اليهود واليهودية؛ إذ وضعوا أنفسهم وسطاء بين الناس والإله، فلم تكن تُقبَل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، ولم يكن أحد غيرهم يستطيع تفسير الطقوس والشعائر الدينية تفسيرًا آمنًا من الخطأ. وكانوا يفصلون في الأمور القضائية، ويضطلعون بدور الطبيب. وكان فريق منهم يحمل تابوت العهد في أثناء تجوال العبرانيين وحروبهم، ثم أصبحوا بعد ذلك كهنة الهيكل. وفي أثناء التمرد اليهودي الأول (66 ــ 70)، حينما سيطر الغيورون على القدس، قاموا بطرد الكهنة، وذبحوا بعضًا منهم، واختاروا كاهنا أكبر من بين فقراء الكهنة. ولذا، حينما هدم تيتوس الهيكل عام 70م، كانت الأوضاع التاريخية مواتية تمامًا لاختفائهم ولظهور الحاخام باعتباره شخصية أساسية بين اليهود. ولعل أهم الأسباب الأخرى لاختفائهم تمامًا هو تدوين الشريعة، إذ أصبح الكتاب المقدَّس مركز العبادة بدلاً من العبادة القربانية. ومن الصعب تحديد مَن من نسل هارون، ومَن من قبيلة اللاويين في وقتنا الحاضر (موسوعة اليهودية والصهيونية).

والبرهان على ذلك: واضــح جدًا، وأجلي من ضــياء الشــمس بضــحاها، ومشــاهد تحت حواســنا بفناها. إذ إن الله ﷻ قد نزع الملك منكم، والاســتيلاء الذي به كنتم تُجْرُون الأحكام الدينية والمدنية، وأبطل وجود الأنبياء من ســلالتكم على الإطلاق، التي كانت تســوســكم، وتنصــحكم، وتُعلِّمكم، وتنبئكم على ما كان وما يكون، وتصــنع المعجزات لكي تثبت لكم أن الذي كانت تخاطبكم به هو وحي من عند الله. وهذه الكثرة من الأنبياء قد كانت موجودة. خاصة عند أمتكم بالحصر، وليس عند من سواها.

وأبادَ الكهنةَ ورؤ ساءَ الكهنة والكهنوت، الذين كان لا يتم الخلاص لليهود ولا الغفران إلا بهم وعلى أيديهم، حتى ولا يجوز العمل الذي كانوا يعملونه في الاســتغفارات، والتخلص من السيئات إلا بواسطتهم[1].

(1) في سفر العدد 15:28 «فيكفّر الكاهن عن النفس التي سهت عندما أخطأت بسهو أمام الرب للتكفير عنها؛ فيصفح عنها».

وهُدِمَ المذبحُ والهيكل اللذان عمرهما سـليمان، اللذان كانا لا تتم أعمال القرابين إلا بهما. ومَحَقَ اللهُ ﷺ، وهَدَمَ معرفة [نسـب] الأسـباط ورتبهم ووظائفهم المتعلقة بالخدمات الدينية والأحكام الحرسية والملكية(□).

(1) أشـار السـموأل إلى طرف من ذلك ببيانه عدم وجود رماد البقرة التي كان يطهر بها الكاهن الهاروني من يتنجس من بني إسـرائيل (انظر سـفر العدد 19:2 وما بعدها). وخرج من ذلك بحكم أنهم- عند أنفسـهم- الأنجاس أبدًا؛ لاسـتحالة التطهر عليهم! و سبق أن بينا أن ا ستخدام رماد البقرة الحمراء الصغيرة كان يحدث في الما ضي حتى القرن السادس، ثم فقد. فلماذا لا يضحي اليهود، إذن، ببقرة حمراء أخرى، ويستخدمون رمادها في عملية التطهير؟ هنا نجد أن الموقف حرج ودائري، إذ إنه لا يمكن أن يُ ضحي بالبقرة إلا الكهنة الطاهرون، ولكنهم بدون رمادها يظلون نجسين، ولا يوجد مخرج من هذه الورطة الدائرية. ويوجد الآن في إسـرائيل معهد لدراسـة البقرة الحمراء، وقد اقترحت إحدى المجلات العلمية الدينية في إسـرائيل أن تُعزَل امرأة يهودية حامل= =من إحدى الأسـر الكهنوتية داخل منزل يُبنى على أعمدة؛ حتى يُعزَل المنزل نفسـه عن أية جثث يهودية قد تكون موجودة تحته، ويقوم رجال آليون بتوليدها، ثم يقومون بعد ذلك على تنشـئة الطفل بعيدًا عن كل البشر، حتى يصل سنه الثالثة عشرة. ساعتها، يمكنه أن يصبح كاهنًا طاهرًا؛ فيُضحي بالبقرة الحمراء، وتُحَل المشـكلة. وقد اقترح آخرون القيام ببعض الحفائر حول بقايا الهيكل، فقد يُعثَر على زجاجة تضـم بقايا رماد البقرة الحمراء، وتُحل بذلك المعضـلة. ولكن مجلة تايم نشـرت (في عدد 16 أكتوبر 1989) أنه تقرَّر أن يبدأ الكهنة في تطهير أجسادهم، وأن ممثلي الحاخامية الأ سا سية في إ سرائيل قـضوا أ سبوعين في أوربا يبحثون عن جنين بقرة حمراء؛ ليُزرَع في إحدى أبقار مزرعة في إسـرائيل. وقد نقلت صـحيفة يديعوت أحرونوت عن الحاخام شـمارياشـور (أحد قادة إحدى الجماعات التي تعمل من أجل إعادة بناء الهيكل) أنه فحص بواسطة عدسة مكبرة بقرة حمراء في كفار حسيديم (يُعتقد أنها وُلدت نتيجة تلقيح اصطناعي لبقرة أمريكية وبقرة إسرائيلية لونها أسـود وأبيـض)، فلم يجـد فيها شـعرة لونها أسود. ومن ثم فهي صالحة لأن يُضحى بها، ويُستخدَم رمادها في عملية التطهير اللازمة لإقامة الطقوس التعبدية، ودخول منطقة المسـجد الأقصـى، حيث يُفترض اليهود أن الهيكل كان قائمًا من قبل. وقد اسـتنكر بعض الحاخامات هذه المحاولة ووصفوها بأنها قد تؤدي إلى اندلاع الحرب (موسوعة اليهودية والصهيونية).

ورابعها: وهي الأغرب من كل ما ذكرناه- أن «إل شــداي أصــباؤت أهيه شــرا أهيه»[1]، حينما وضع شريعة التوراة وفرضها، قد جعل على الأمة اليهودية شرائع ووصايا، يجمع عددها ستمئة وثلاث عشــرة وصــية. وهذه الوصــايا الحاوية على هذا العدد قد ربطها، وحَكَمَ حكمًا صــارمًا على من لم يعملها بستمئة وثلاث عشــرة لعنة؛ لأنه يقول- في ســفر تثنية الاشــتراع، في الإصــحاح الســابع والعشــرين، والثامن والعشــرين: «ملعونًا يكون من لا يعملها، واحدة، واحدة»[2].

ثم إن هذا الإله ﷻ، الذي من جملة أســمائه بالعبراني: «ألوهيم»، و«أدوناي»، قد وضــع على من يخالف هذه الوصــايا، ولا يعمل بها؛ واســطة للتخلص من تلك اللعنة المترتبة على المخالف: تطهيرات، وتكفيرات، وغفرانات، وذبائح، وقرابين بأعداد من الحيوانات والطيور معلومات. وحصــر هذا- «ألوهيم» هذا، أو «أدوناي»- في هذه المذكورات أن تُصْــنعَ وتُقرَّبَ ضمن الهيكل والمذبح[3].

(1) إل معناها إيل. وهو من أسماء الله. ويأتي في آخر الأسماء للإضافة مثل يسرائيل، وشموائيل، ويشماعيل ... إلخ. وشداي معناها القوي الشديد. والصباءوت معناها إله الريح. وأهيه شرا أهيه، معناها أنا الذي هو. أي «يهوه». ويهوه هو اسم الله، العلم على ذاته.

(2) تثنية 27:26 «ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس؛ ليعمل بها. ويقول جميع الشعب آمين».

(3) من ذلك قوله في سفر الخروج (29:36): «وتقدم ثور خطية كل يوم لأجل الكفّارة.وتطهر المذبح بتكفيرك عليه.وتمسحه لتقديسه. 37 سبعة أيام تكفّر على المذبح وتقد سه. فيكون المذبح قدس أقداس. كل ما مسّ المذبح يكون مقد سًا 38 وهذا ما تقدمه على المذبح، خروفان حوليان كل يوم دائمًا ....».

ورَسَــمَ أيضًــا بأن من يُقدِّم قربانًا خارجَ الهيكل؛ يُقتل. وأمَرَ بأن تكون القرابين مقدَّمَةً له- تعالى، على أيادي الأحبار ورؤساء كهنتهم[1].

(1) هناك ترتيبات كثيرة يقوم بها الكهنة في المذبح، منها ما في سـفر اللاويين (2:8): «فتأتي بالتقدمة التي تصـطنع من هذه إلى الرب، وتقدمها إلى الكاهن، فيدنو بها إلى المذبح». وفي اللاويين (4:5) أيضًـا: «ويأخذ الكاهن الممسـوح من دم الثور، ويدخل به إلى خيمة الاجتماع 4:6 ويغمس الكاهن إصبعه في الدم، وينضح من الدم سبع مرّات أمام الرب لدى حجاب القدس. 4:7 ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذي في خيمة الاجتماع أمام الرب. و سائر دم الثور يصبّه إلى أسفل مذبح المحرقة الذي لدى باب خيمة الاجتماع».

وكان كل من يتعدى، ويخالف وصية من هذه الوصايا، وتلزمه لعنة من هذه اللعنات؛ أن يَخْلُصَ منها بواسطة الكهنة ورؤساء الكهنة، والهيكل، والمذبح، وباقي المذكورات- كما سبق من القول[1].

وأما الآن- يا أقربائي، وبني جنسي! قد رأيت أن عامة اليهود، الباقية من بني إسرائيل، عندما يخالفون وصية من هذه الوصايا،

(1) من أمثلة ذلك ما في سفر العدد 11: 5 «وكلم الرب موسى قائلا: 12 كلم بني إسرائيل، وقل لهم: إذا زاغت امرأة رجل، وخانته خيانة 13 واضطجع معها رجل اضطجاع زرع، وأخفي ذلك عن عيني رجلها، واستترت وهي نجسة، وليس شاهد عليها، وهي لم تؤخذ. 14 فاعتراه روح الغيرة، وغار على امرأته وهي نجسة، أو اعتراه روح الغيرة، وغار على امرأته وهي ليست نجسة 15 يأتي الرجل بامرأته إلى الكاهن، ويأتي بقربانها معها، عشر الإيفة من طحين شعير، لا يصبّ عليه زيتا،= =ولا يجعل عليه لبانا؛ لأنه تقدمة غيرة، تقدمة تذكار تذكّر ذنبا. 16 فيقدّمها الكاهن، ويوقفها أمام الرب 17 ويأخذ الكاهن ماء مقدسًا في إناء خزف، ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن، ويجعل في الماء 18 ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب، ويكشف رأس المرأة، ويجعل في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغيرة، وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المرّ. 19 ويستحلف الكاهن المرأة، ويقول لها: إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك، فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المرّ. 20 ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك، وتنجست، وجعل معك رجل غير رجلك مضجعه. 21 يستحلف الكاهن المرأة بحلف اللعنة، ويقول الكاهن للمرأة: يجعلك الرب لعنة، وحلفا بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة، وبطنك وارمًا. 22 ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك؛ لورم البطن؛ ولإسقاط الفخذ. فتقول المرأة: آمين. آمين. 23 ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب، ثم يمحوها في الماء المرّ 24 ويسقي المرأة ماء اللعنة المرّ، فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة. 25 ويأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمة الغيرة، ويردد التقدمة أمام الرب، ويقدمها إلى المذبح. 26 ويقبض الكاهن من التقدمة تذكارها، ويوقده على المذبح، وبعد ذلك يسقي المرأة الماء. 27 ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست، وخانت رجلها، يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة؛ فيرم بطنها؛ وتسقط فخذها؛ فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها. 28 وإن لم تكن المرأة قد تنجست، بل كانت طاهرة، تتبرأ وتحبل بزرع. 29 هذه شريعة الغيرة. إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست 30 أو إذا اعترى رجلا روح غيرة؛ فغار على امرأته؛ يوقف المرأة امام الرب، ويعمل لها الكاهن كل هذه الشريعة 31 فيتبرّأ الرجل من الذنب، وتلك المرأة تحمل ذنبها».

وتلزمهم لعنة من هذه اللعنات المشروحة من سيدنا موسى عليه السلام في التوراة؛ ليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقًا. وهم حزنانون من كونهم غير ممكنين من العمل بكامل الوصايا المشروحة. ومتحققون أنهم- وهم تحت مخالفتهم؛ ثقيلٌ عليهم حمل اللعنات الموضوعة عليهم. ويمتنع أيضًا فرارهم بالتطهيرات والتخلص من قصاصاتهم ما داموا تحت نيرها. لأن الباب مسدود بواسطة ما أنا عازم على شرحه.

ويْهَ. ويْهَ!

يا أسفاه! ويا حسرتاه!

لأن الهيكل الذي عَمَّرَهُ سليمان- الذي هو مثال القبة الموسوية مع المذبح. اللذيْن لا تكون هذه القرابين إلا بهما؛ قد خربا، وانهدما! والذبائح والقرابين مع الكهنة ورؤساء الكهنة، الذين كانوا يعملونها في الهيكل والمذبح للفداء والتطهير، مع باقي ما ذكرناه من النبوة والملك والأسباط ومتعلقاتهم؛ قد اضمحلوا وتلاشوا، وما بقي لهم أثر بالكلية.

فمن انعدام ما ذكرناه- أفرادًا أو جماعات. وبطلانه؛ ما عاد يمكن للباقي من الشعب الإسرائيلي التخلص من الخطايا، والمرتب عليها من القاصاصات. لا! بل وممتنع عليكم- يا أحبائي- التقربُ إلى الله، حيث التزمتم تبعة لعنات شريعتكم التوراتية، مع عدم مكنتكم أيضًا من التطهيرات المربوطة عليها[1].

و هذا القول ليس هو قولي. ولا يجوز عندي أن ألعنَ. بل هي لعنات شريعتكم وتوراتكم، فإني قصدت أن أُذكِّركم بها؛ لتخلصوا منها إن شئتم، كما تخلَّصتُ أنا منها بدخولي في الديانة المحمدية، المبيَّن عنها من موسى والأنبياء- عليهم السلام.

لأنه لو قصد الله خلود هذه الشريعة الموسوية، وحفظها ودوامها؛ لما كان هو ذاته سبحانه يربطها في كذا قضايا، ننظر إبادتها وإعدامها عيانًا ظاهرًا في كل حين وأوان عند العالم والغبي، والعاقل والجاهل، والشيخ والشاب. وجميعهم بالسوية ينظرون بأنها قد أعدمت وبطلت، ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين.

---

(1) معلوم أن النجس لا تصح له صلاة ولا تعبد، ولا يجوز أن يمكث في بيت الله. كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:6].

وكل عاقل يرغب في ثواب الآخرة، قد يستدل على أن الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ﷺ، هو أمر ضروري ولازم.

وخامسها: يا أحبائي، ليس خافيًا أنه في الزمان الماضي قد جاء سيدنا عيسى عليه السلام؛ فاستكبرتم عليه، وتكلمتم في حقه ألفاظًا غير جائزة ومحرمة، لاسيما أنها مبنية على الزور والبهتان والكذب، التي بسببها مع غيرها قد ورد عليكم القصاص في القرآن الشريف أكثر من أربع مرات، بألفاظ متعددة ومفزعة جدًا[1]. ومضمونها تكرار ما وضعه سيدنا موسى عليه السلام عليكم، على مخالفتكم الوصايا المار شرحها. ولكن مع هذا كله، [رأينا] أن أناسًا كثيرين من اليهود اتبعوا دين عيسى عليه السلام الأصلي الصحيح، وإنجيله السليم[2]. وهم ألوف وربوات ومليونات. وتخلصوا من لعنات الشريعة التي ذكرناها.

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:52]. ويقول: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء:157]. ويقول: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:110]. ويقول: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:6].

(2) دين عيسى الصحيح هو دين الإسلام، وهو ما كان عليه موسى وجميع الأنبياء والمرسلين. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:19]. وفي مجمع نيقية سنة (325 م) ارتد من أتباعه من ارتدوا، و سموا أنفسهم بالمسيحيين. وهم يزعمون أن النبي الخاتم هو عيسى وليس محمدًا ﷺ.

وقد وعد سيدنا عيسى عليه السلام بمجيء محمد المصطفى ﷺ، وأشار عنه بإشارات كثيرة. ومنها أنه قد سماه «الفارقليط»، وهي كلمة يونانية. وترجمتها للعربي: الداعي. وهي- أي الداعي- من جملة أسمائه الشريفة[1].

وقد نظرت هذه اللفظة مع جملة براهين مؤلفة من علماء النصارى وأحبار اليهود المهتدين. وهي بحق تصدق الدين المحمدي. لأنها مسندة على التوراة والإنجيل والزبور.

و هذه البراهين من هذه الكتب، قد كان ينظر فيها بعض حاخاميم اليهود في زمن المصطفى ﷺ بعين الإنصاف، ويتبعونه ويدخلون في دينه.

والذين دخلوا منهم عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار[2]، وغيرهم كثيرون رضي الله عنهم.

---

(1) البيرقليط (pereiklitos) الذي بشر به عيسى هو محمد ﷺ. ويعني بالضبط ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية، أي الممجد. وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف:6]. وقد ترجمها النصارى بالمعزي، أو المدافع والمحامي. وجعلوها لا تدل على شخص، وإنما تدل على الأقنوم الثالث في الثالوث، وهو روح القدس (انظر: محمد ﷺ في الكتاب المقدس: عبد الأحد داود الآشوري، ص222).

(2) كعب بن ماتع الحميرى أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار. كان من أهل اليمن، ثم سكن الشام. أدرك النبي ﷺ، وأسلم في خلافة أبى بكر. وهو من مسلمة أهل الكتاب. توفي في آخر خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين وقد بلغ مئة وأربع سنين. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير. وثقه ابن حجر (تهذيب الكمال: أبو الحجاج المزي 24/ 189. تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني 8/ 393).

وسـادسـها: ولما رأى الأحبار والحاخاميم الكثير من جماعتهم اليهود الموجودين في ذلك العصـر، تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين[1]، و ما بقي عندهم إلا القليل من الناس- كما هو مشاهَد- شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين الشـهادة الواردة في التوراة بحقهما، واخترعوا آراءً مسـتحدَثة، حتى يبقوا الباقين في دينهم إلى الآن.

ومع ذلك، لما كنتُ أتردد عندكم، كنت أرى أن بعضًا منكم مذبذبون، ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته، وهم من الناس العقلاء، وبعض منهم عارفون الحق، ولكنهم مربوطون في وظائفهم الدينية والأموال والعيال. وبعضـهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يلتزم بالدخول تحت نيرها جمهورهم بلا محالة، بحيث لا يمكنهم عمل الوصـايا- المربوط على من لم يعملها هذه اللعنات- مع عدم إمكان عمل الوسـائط بالقرابين التي كانت تخلص الناس منها.

(1) المقصود عيسى ومحمد عليهما السلام.

ثم. ومن أقوى هذه الآراء المستحدثة: أنهم قد اخترعوا لهم رأيًا أبتر، ليس له عندهم سند في التوراة مطلقًا. لا من موسى، ولا من الأنبياء، وهو التقميص[1]. أعني أن الإنسان اليهودي عندما يموت، وهو غير مكمل الوصايا المشروحة، ومديون في الكثير منها، وواقع تحت هذه اللعنات، يلزمه الرجوع للدنيا ثاني مرة، أو ثالث مرة، أو أكثر من ذلك ... إلى أن يُكمل كل الوصايا، ويتخلص من جرثومة هذه اللعنات، رويدًا رويدًا.

ثم. لَمَّا فحصتُ ودققت، ووصلت إلى معرفة هذه القواعد الدينية، ورأيت أنها حديثة، وليس لها سند في التوراة- كما تكلمتُ سابقًا- قلتُ في نفسي: وَيْهَ، وَيْهَ! ما الذي يحملك على قعودك في هذه الشريعة، غير الممكن إتقانها، والعمل بها؟! لا بل ممتنع أيضًا! وإنك مع جماعة اليهود- أبناء جنسك- واقعون تحت قصاصتها المحررة في التوراة!

(1) التقمص: تناسخ الأرواح، وهو انتقال الروح من جسد من مات إلى جسد إنسان آخر. وقد آمن القراءون بشكل من أشكال تناسخ الأرواح. وتظهر الفكرة أيضًا أوضح في القبَّالاه؛ سواء في الزوهار، أو في القبَّالاه اللوريانية. وقد سادت هذه الفكرة بين اليهود، وهيمنت على كثير منهم منذ القرن السابع عشر، فقد كان شبتاي تسفي (ومن تبعه) يتحدث عن حلول روح الإله في تسفي، أو حلول روح تسفي فيمن أتى بعده. وقد أصبحت هذه الفكرة مركزية بين الحسيديين. ومن مظاهر ذلك ما يفعله الأتباع على قبر أبي حصيرة؛ إذ يلقون أجسادهم عليه أملاً في أن تحل روحه فيهم. وتُسمَّى تلك العملية «شيطَّوح» أو «التسطح على القبر» (موسوعة اليهودية والصهيونية).

ثم حدَّثتُ نفسي وقلت: إذا كان غير ممكن العمل بكامل الوصايا، وممتنع أيضًا التطهير للواقع تحت مخالفتها، وديانة التوراة هي مربوطة بالوجهين[1]، ومن لا يعمل بهما فهو كالذي بغير دين.

فكيف أقعد أنا بغير دين، ولا شريعة؟

وكيف أنسب نفسي إلى أني يهودي، وتحت شريعة موسى عليه السلام والتوراة، وأنا عارٍ منهما وبرئ، وهما بعيدان عني بعدًا كبعد السماء من الأرض؟! وبذلك أكون- بلا شك، لا سمح الله- من أهل العذاب؛ لأنه ممتنع عليَّ أن أعمل الوصايا، ولا أقدر أن أُجريَ ما فرضه الله عليَّ من التطهيرات والتكفيرات- كما سبق القول!

ومن هنا أدركتُ أن الذي بناها بحكمته، هو هو الذي هدمها بحكمته. واحدٌ لا يُسأل عمَّا يفعل، وهم يُسألون. إذ إن مقاصد الحكمتين بعيدة عن معرفة عقولنا[2].

(1) هذا هو الدور الذي حير ألباب اليهود. فهم يحتاجون إلى العمل بالشريعة، ولا يوجد الكهان والو سائط لذلك. ولا يمكن إيجاد الكهان؛ فلا يمكن العمل بالشريعة. والشريعة تفرض العمل بها، وتفرض الترتيبات الكهنوتية. وكلاهما شرط في الآخر.

(2) من مقاصد ذلك التخفيف والتيسير، ووضع الآصار والأغلال التي في الشريعة الأولى، كما بيَّن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:157].

وسابعها: أني قلت في نفسي: يا هل ترى. ما الذي يمنعني عن إتباع الحق؟

فقلت: لا مانع.

ثم قلت: وما هو الفرق الحاصل فيما بين ديانتي، وبين الديانة المحمدية؟

فأجبت ذاتي وقلت: إن الفروقات الباقية والضرورية في هذا المعنى غير المتقدم شرحه؛ هن سبع:

الفرق الأول: هو ترك فرائض المأكولات التي حرَّمَها الحاخاميم وأثقالها.

الثاني: هو التخلص من هذه اللعنات ونكباتها.

الثالث: أن أطرح الكلام الردئ، والتجديف الذي كنت أتكلمه وأعتقده بحق عيسى ﵇ وأمه، وغيرهما من حواريه وتعليماته.

الرابع: أن أقر بأنه نبي ورسول من عند الله برسالة معلنة بأفرادها.

الخامس: أن أَقلعَ البغضــة المزروعة في قلبي بحق الأمم من الناس. وهي معي عن آبائي وأجدادي، وبحق محمد المصطفى ﷺ بنوع أبلغ، الحاوي أكثر المحامد وصفاتها[1].

(1) هذا إقرار من الكاتب بالتربية التي ينشأ اليهود عليها من الصغر، وهي البغض للأمم جميعًا، وخصوصًا لشخص محمد ﷺ ، ودينه وأمته.

الســادس: أعترف بأنه نبي عظيم، ورســول من عند الله، وشـفيع للقائلين له: أنت لها. أنت لها[1].

---

(1) شفاعة محمد ثابتة لأمته ففي صحيح البخاري (كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل [الإسراء]، حديث 4435 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة. وهل تدرون مِمَ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصــر. وتدنو الشــمس؛ فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس: ألا ترون ما قد= =بلغكم؟! ألا تنظرون من يشــفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم! فيأتون آدم ﷺ، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك. اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه! ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته. نفسي، نفسي، نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض. وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا! اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبًا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي. نفسي، نفسي، نفســي! اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض. اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات– فذكرهن أبو حيان في الحديث– نفسي، نفسي، نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله. فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس. اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإني قد قتلت نفسًا لم أومرْ بقتلها. نفسي، نفسي، نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى! أنت رســول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صـبيًا. اشـفع لنا! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فيقول عيســى: إن ربي قد غضــب اليوم غضــبًا لم يغضــب قبله مثله قط، ولن يغضــب بعده مثله– ولم يذكر ذنبًا– نفســي، نفســي، نفســي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمدًا ﷺ، فيقولون: يا محمد! أنت رســول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اشــفع لنا إلى ربك! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقعُ ســاجدًا لربي ﷻ، ثم يفتح الله علي من محامده وحســن الثناء عليه شــيئًا لم يفتحه على أحد قبلي. ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك. سَلْ تعطه. واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب! أمتي يا رب! فيقال: يا محمد! أدخل مِن أمتك مَن لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفســي بيده إن ما بين المصــراعين من مصــاريع الجنة، كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصــرى» (وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث 194).

السابع: أعترف أنه جاء بشريعة عدلية، وفضلية كاملة(1)، حاوية معنى جوهريات ما جاء في الشرائع السابقة، وأحسن القصص، مُهَنْدِمَة إياها بالاستثناء اللازم لها(2).

هذا هو الذي يزيد عليَّ ويَلزَمُني؛ إذ إن إيماني بوحدانية الله تعالى هو هو، وختاني بمطهوري هو هو، وبعدي عن المرأة في أوقات معلومة هو هو، وتطهيراتي وإسقاط غسلي هو هو. وكثير من الأحكام التوراتية، كأوجه الزواج المربوط بالقرابات-

(1) يقول ابن تيمية: «الشرائع ثلاثة: شريعة عدل فقط، و شريعة فضل فقط، و شريعة تجمع العدل والفضل، فتوجب العدل وتندب إلى الفضل. وهذه أكمل الشرائع الثلاث. وهي شريعة القرآن الذي جمع فيه بين العدل والفضل. مع أنا لا ننكر أن يكون موسى عليه السلام أوجب العدل، وندب إلى الفضل. وكذلك المسيح أيضًا، أوجب العدل، وندب إلى الفضل. وأما من يقول: إن المسيح أوجب الفضل، وحَرَّمَ على كل مظلوم أن يقتص من ظالمه. أو أن موسى لم يَندب إلى الإحسان- فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين. لكن قد يقال: إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال. والقرآن بيَّن أن السعداء أهل الجنة، وهم أولياء الله نوعان: أبرار مقتصدون، ومقربون سابقون. فالدرجة الأولى تحصل بالعدل. وهي أداء الواجبات، وترك المحرمات. والثانية لا تحصل إلا بالفضل. وهو أداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات. فالشريعة الكاملة تجمع العدل والفضل. كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[البقرة:280]. فهذا عدل واجب. من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة. ثم قال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:280]» (الجواب الصحيح 5/ 58).

(2) يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة:48].

عدا وجهين زائدين- هي هي[1]، واعترافي بموسى، ونوح، وإبراهيم، وباقي الأنبياء هو هو. والشرائع العدلية، كالعين بالعين، والسن بالسن- هي هي[2].

وقد رأيت كل ما يلزم، ويتعلق اتباعه لذلك- هو هو، محرر في القرآن الشريف، زائد الهندام، حَسَن التوقيع، مرتبط بأظرف عبارة، ومتعانق إليه كل ما يلزم من الأمور العائدة لإصلاح الدنيا والآخرة.

فهذا وأمثاله هو الذي أحوجني أن أترك الدين اليهودي المتروك بالطبع، إذ نراه كميتٍ لا يتحرك. وأتَّبعُ الدين المحمدي الحيَّ المتحرك والمحبوب، والصافي، والمخلِّص عند كل عاقل[3]، وأجهر بصوتي وأقول:

(1) يحرم اليهود زواج امرأة العم لأب، وامرأة الأخ. (انظر: المادة 66 من قانون الأحوال الشخصية للطائفة الإسرائيلية، لبنان).

(2) في سفر التثنية 19:21 «لا تشفق عينك. نفس بنفس. عين بعين. سن بسن. يد بيد. رجل برجل». وفي القرآن الكريم: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:45].

(3) يقول الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:122]. وعن النبي ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منه طائفة طيبة، قبلتْ الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها أجادب، أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس؛ فشربوا منها؛ وسقوا ورعوا. وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان، لا تُمسك ماءً، ولا تُنبت كلأ. فذلك مثل من فقُه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»

فأنتم- يا جماعة اليهود البواقي من بني إسرائيل. إن كان الأحبار طلبوني من كل قلوبهم، بسؤالهم أن أروي ما رأيته، وما الذي حَمَلني على ذلك، ويسمعوا ما سمعتُ وأُهديت به؛ فليكرروا مطالعة رسالتي هذه التي سميتها «**السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية**»، وليراجعوا الشهادات التي عرفت منها، المأخوذة من كتبهم الدالة على اسم المصطفى نبينا ﷺ و صفاته وتشكيلاته وأعماله، مع شرح بعض التحريف الموجود في كتبكم، المجموع في كتاب «**البحث الصريح في الدين الصحيح**» المنسوب إلى المرحوم الشيخ **زيادة**، في الباب الرابع والخامس[1].

ومن بعد وقوفكم على جوابي هذا، أرجو أن تعذروني. وإن كان يغيب عنكم شيء؛ فاطلبوا إلى الله تعالى أن يرشدكم ويأتيكم بالبيان.

والحمد لله رب العالمين.

(1) البحث الصريح في الدين الصحيح: للمهتدي الشيخ زيادة بن يحيى الراسي «من علماء القرن الحادي عشر الهجري». نشره عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، السعودية. بعنوان «البحث الصريح في أيِّما هو الدين الصحيح»، تحقيق ودراسة: سعود بن عبد العزيز الخلف.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

آمين.

[انتهت «الرسالة السبعية الحاوية للضوابط الإرشادية» للحبر الأعظم إسرائيل بن شموائيل الأورشليمي].

المراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية.

كتب السنة:

1. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط3، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

2. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/ 1993م.

3. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

4. المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

5. سنن أبو داود: سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر، بيروت.

6.

7. سنن الترمذي (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

8. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت،

9. سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/ 1986م.

الأديان والمقارنة بينها:

1. إظهار الحق: رحمت الله بن خليل الله الهندي، ط3، دراسة وتحقيق: د.محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، دار الحديث، القاهرة، 1414هـ/ 1994م.

2. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت 84هـ)، ط2، تحقيق: د.بكر زكى عوض، مكتبة وهبة، القاهرة، 1407هـ/ 1987م.

3. إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1990م.

4. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

5. بذل المجهود في إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، القاهرة، 2005م.

6. بذل المجهود في إفحام اليهود: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، ضبطه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، 1410هـ/ 1989م.

7. التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403هـ)، تقديم وتعليق: محمود محمد الخضري، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1366هـ/ 1947م.

8. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ابن كمونة، ط2، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.

9. التوراة السامرية: بعناية د.أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، 1398هـ/ 1978م.

10. التوراة الهيروغليفية: د.فؤاد حسنين علي، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.

11. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المدني، جدة، د.ت.

12. درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، 1391هـ.

13. دراسات في الكتاب المقدس: الدكتور محمود حماية، د.ن، القاهرة، 1989م.

14. دلائل النبوة- الأدلة على نبوة محمد ﷺ من النقل والعقل: أحمد بن تيمية، تحقيق: د.محمود النجيري، مكتبة النافذة، القاهرة، 2006م.

15. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت 505هـ)، ط2، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، 406هـ/ 1986م.

16. الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت، 1987م.

17. الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، 1386هـ.

18. الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

19. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

20. القواعد النورانية الفقهية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ.

21. الكنز المرصود في فضائح التلمود: روهلنج، تحقيق: د.محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، 1410هـ/ 1990م.

22. محاضرات في مقارنة الأديان: إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، 1409هـ/ 1989م.

23. محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن:محمد عزت الطهطاوي، ط2، مكتبة النور، القاهرة، 1406هـ/ 1986م.

24. المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية: د.منى ناظم، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، أبو ظبي، 1986م.

25. مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان: أبو عبيدة الخزرجي (ت 582هـ)، حققه ونشره: د.محمد شامة- بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1399هـ/ 1979م.

26. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ/ 1987م.

27. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ.

28. من التلمود، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

29. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: د.أحمد حجازي السقا، ط4، المكتبة القيمة، القاهرة، 1407هـ.

التاريخ:

1. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت.

2. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.

3. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، 1404هـ/ 1984م.

4. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ/ 1980م.

5. قصة الحضارة: وول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م.

6. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار صادر، بيروت، 1358م.

7. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1375هـ/ 1956م.

8. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1970م.

القواميس والمعاجم:

1. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

2. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/ 1998م.

3. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

4. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ/ 1995م.

5. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

6. معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626هـ)، دار الفكر، بيروت.

7. غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ.

كتب أخرى:

1. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

2. كتاب أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: د.فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، 1995م.

3. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1358هـ/ 1939م.

4. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.

5. تلبيس إبليس: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

6. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية).

7. الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

8. مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

9. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

10. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

11. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د.عبد الوهاب المسيري (نسخة إلكترونية).

مواقع الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت):

1. موقع بينات- العلامة محمد حسين فضل الله.

2. موقع رابطة أدباء الشام.

3. موقع ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة.

4. www.isesco.org

الفهرس